

سبعة رجال مجانيين

سبعة رجال مجانيين

روبرتو أرلته

ترجمة / إيمان نافع

الغلاف / هانيبال - هيبو
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٤



وكالة سفنكس

٧ شارع معزوف الدور السابع

وسط البلد - القاهرة

ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥

www.sphinxagency.com

info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية

Sphinx Agency © 2014

إهداء

إلى القاهرة بزخما وصخبها وجنونها ...
إلى بورسعيد بهدوئها وجمالها وجلالها .

محمد المغربي

أحمد المغربي

مدخل

" إذا كانت كلمة (عظيم) تعني كل شيء على الإطلاق،
إذاً فإن (روبرتو آرلت) يعد كاتباً عظيماً بكل تأكيد. فهو
أول أديب حضري تعرفه أمريكا اللاتينية بحق. وذلك هو
موطن القوة الذي شكل مصدر إلهام للأدباء ".

Martin Sevmour

مارتين سيفمور سميث

Smith

لقد صدرت رواية " المجانين السبعة " لأول مرة عام ١٩٢٩.
وهي رواية تجسد بصورة متكاملة صراع المجتمع الأرجنتيني
خلال فترة جوهريّة من تاريخه. ويعتبر قيام روبرتو باستكشاف
أغوار مدينة بيونس آيريس بكل شوارعها العشوائية ومبانيها
المزدحمة والتجاور والتراصف المجنون، بالإضافة إلي الآلام
المختلفة جوهر هذه الرواية. في خضم هذه المدينة التي تعج
بالعدائية، يهيم "إردوسين" في الشوارع محاولاً فهم الحياة
التي تضطرب خلف تلك الأبواب المظلمة. إنه يبحث -
بكل معني الكلمة- عن ذاته التي تسبب له الكثير من الألم
متسائلاً كيف يمكن أن تكون ذاته ؟

ولد " روبرتو آرلت " في مدينة بيونس آيريس عام ١٩٠٠.
وقد عاش طفولة تعيسة للغاية، كما ترعرع في أحضان منازل
مزدحمة ومتهالكة، وهي نفس المنازل التي يصورها في روايته
"المجانين السبعة". وبوصفه صحفياً، قام " آرلت " بوصف
الحياة في مدينة بيونس آيريس والتي تتسم بالثراء والحيوية.
وبوصفه مخترعاً، قام بتسجيل براءة اختراع وسيلة لمنع تمزق

توفى " روبرتو آرلت " فجأة إثر أزمة قلبية بمدينة بيونس آيريس عام ١٩٤٢. وهو مؤلف روايات " لعبة الغضب " Love The Enraged Toy وحب السحر The Enchanter وقاذفات اللهب The Flamethrowers بالإضافة إلى العديد من المسرحيات. وعندما صدرت رواية " المجانين السبعة " في عام ١٩٢٩ ، كانت فعلاً تصور صراع المجتمع الأرجنتيني خلال فترة حاسمة من تاريخه تصويراً رائعاً.

♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠ ♠

♣ ♣ ♣ ♣ ♣

مجرد أن فتح الباب الزجاجي الذي يغطيه الصقيع، والذي يؤدي إلى حجرة مكتب المدير، شعر ريمو إردوسين بالرغبة في أن يعود أدراجه، لقد أدرك أنه ضائع، ولكن بعد فوات الأوان.



كان في انتظاره ثلاثة أفراد وهم المدير، وهو رجل قصير وبدين ذو رأس كرأس دب متوحش وشعر رمادي مصفف كشعر إمبراطور إيطاليا أمبرتو الأول، وله نظرة حاقدة كأنها تنشق عن عين سمكة قرش رمادية، ثم هناك أيضاً جولدي وهو رجل ضئيل الحجم ونحيف، معسول الكلام، ولكن نظراته تنم عن عقل مدبر، ثم كان ثالثهم مساعد المدير، وهو ابن الرجل ذي الرأس التي تشبه رأس الدب، وهو شاب وسيم في الثلاثين من العمر، ولكن نظرة واحدة إليه قد تسبب لك صدمة حيث يغطي رأسه الشعر الأبيض، كما أن له طلة ساخرة، أضف إلى ذلك أن له صوتاً أجش، كما أن نظرتة - مثل نظرة أبيه - تنم عن القسوة. لم يكلف أحد منهم نفسه الرد علي تحية إردوسين. كان المدير محنياً حيث كان يبدو أنه منكب على دراسة بعض الحسابات، وكان مساعده مضطجعاً إلى الخلف على أريكة وهو يضع إحدى رجليه فوق ذراعها. وكان جولدي يتجول بالقرب من المكتب. كل ما حدث أن رفع مساعد المدير رأسه ثم قال :

- لقد قيل لنا إنك مخادع ... لقد سرقت منا ٦٠٠ بيزو. (١)

وأضاف جولدي :

وسبعة سنتات ...

قال ذلك وهو يمرر منشقة فوق توقيع المدير على أحد كشوف الحسابات. في هذه اللحظة رفع المدير عينيه وكأنه يبذل مجهوداً كبيراً برفع رقبته التي تشبه رقبة الثور ثم تكلم

(١) البيزو هي العملة الرسمية لدولة الأرجنتين (المترجم)

المدير وكأنه يتفوه بحكمة وهو يخرج إبهامي يديه من خلال
عري معطفه القصير رغم أن عينيه تبدو أن ذواتي ملامح
هزيلة وغير معبرة، فقال :

لم يبدو مظهرك رديئاً ؟

أجابه إدروسين قائلاً :

رغم أنني أعمل لديكم جابياً إلا أنني لا أكسب شيئاً !
فقال له متسائلاً :

وماذا عن المال الذي سرقتنا ؟

فأجابه :

لم أسرق شيئاً ... كل هذه مجرد أكاذيب ...

فقال له :

إذاً فإن وظيفتك هي فقط أن تبحث عن مبرر لكل شيء.
أليس كذلك؟

فأجابه :

إذا كانت تلك رغبتك .. أن أرحل، فليكن ذلك قبيل
منتصف اليوم ...

هذا الرد أدى إلي شعوره بشيء من الارتياح. كما تبادل
الرجال الثلاثة نظرات الاستفسار فيما بينهم، وأخيراً هز
مساعد المدير كتفيه قائلاً، يسانده في ذلك والده :

- لا ... لديك وقت حتى الثالثة من الغد ... أحضر دفاتر

حساباتك وإيصالاتك ... يمكنك الخروج الآن ...

أدهش ذلك القرار المفاجئ إردوسين إلى درجة أنه ظل واقفاً وهو يشعر بالإهانة الشديدة محملاً في الرجال الثلاثة. ظل ينظر إلى جولدي الذي كان دائماً ما يحقر من شأنه رغم أنه يدعي أنه اشتراكي، وظل ينظر إلى مساعد المدير الذي كان ينظر باحتقار إلى رابطة عنقه الرثة، كما ظل ينظر إلى المدير الذي تلتفت رأسه الشبيهة برأس الخنزير البري الصلدة ناحيته وهي تضم عينين ضيقتين.

ومع ذلك، لم يتزحزح إردوسين قيد أنملة ... لقد أراد أن يقول شيئاً ما لهم جميعاً، رغم أنه لا يعرف ما سيقول. أراد أن يقول شيئاً يجعلهم يفهمون سوء طالع الساق الذي أحال حياته شقاء. لذا.. فقد وقف هناك وحيداً، حيث كانت خزينة المال السوداء المكعبة الشكل في مستوى عينيه تماماً، وهو يشعر بأن ظهره يستمر في الانحناء أكثر وأكثر كلما مرت الدقائق، بينما ظل يطوي ثنية قبعته السوداء، وأضحت نظراته أكثر خداعاً وحزناً ثم قال فجأة :

إذا... هل يمكن أن أرحل؟

نعم...

لا... أقصد هل يمكن أن أسحب رأيي اليوم و....

لا... سلم الإيصالات لسواريز وأحضر كل شيء هنا غداً في تمام الساعة الثالثة.. دون تأخير...

نعم... كل شيء..

قال ذلك إردوسين وهو يولى الدبر ودون أن يضيف كلمة واحدة. ومشي خلال ستيلي ثم إلى باسيوكولون. لقد بدأ يشعر بضغوط خفية تقطع أوصاله.

وكلما انحدرت الشوارع إلى الأسفل كلما تظهر الشمس دواخل المنازل المقززة. لسوف يتطلب مثل هذا الموقف المعقد منه عدة ساعات من العمل الجاد حتى يمكنه حل ذلك اللغز. وعندما شرعت صور الماضي تترى أمام عينيه، لم يتذكر أنه حدث ذات مرة موقف تطلب منه أن يتساءل : من قد يكون وشى به ؟

حالات العقل



كان يعرف أنه لص. ولكن مثل هذا التصنيف كلص لم يكن يعجبه. بالإضافة إلى ذلك فإن كلمة لص ليس لها صدى كبير كذلك الذي يشعر به في داخله. فقد كان يعتوره شعور مختلف، ولقد كان هذا الشعور يمثل نوعاً من الصمت المطبق الذي يخترق جمجمته كقضييب من الصلب، والذي يجعله لا يستمع إلا إلى ما يعانيه من يأس مقيت.

تلك الدائرة التي يلفها الصمت والظلام قد شتت أفكار إردوسين. فكلما اضطرب تفكيره، كلما استحال عليه أن يجد رابطاً ما بين ذلك المكان الذي يسمى وطناً وبين تلك المؤسسة التي تحمل اسم " السجن " .

لقد كان يفكر بطريقة مختزلة وكأنه يكتب برقية ولهذا

كان يحذف حروف الجر من تفكيره. وهو ما كان يوتر أعصابه أكثر. لقد عاش ساعات خالية لا نهاية لها عندما كان يسعى إلى ارتكاب أية جريمة دون أن يشعر بأدنى مسئولية. ولو فكرنا بأسلوب منطقي فلن يتفهم أي قاض ما كان يجري فعلاً. ومع ذلك فإن إردوسين رجل ليس لديه شخصية. إنه كقوقعة تحركت بفعل قوة العادة فقط.



لو كان قد ذهب ليعمل لحساب شركة السكر، فلم يك ذلك لكي يسرق المزيد من المال، بل لأنه كان يأمل القيام بعمل شئ غير عادي؛ شئ غير عادي تماماً؛ شئ قد يمثل في حياته نقطة تحول غير متوقعة بحيث يمكن أن تعمل على إنقاذه من براثن كارثة يرى أنها سوف تدق بابه.

إن اسم "إردوسين" يوحي له بالخيال والأرق وهو ما جعله يهيم كمن يسير عبر الأيام وهو نائم، وذلك كان يشكل لديه "منطقة الآلام".

كان يتخيل تلك المنطقة وكأنها تطفو فوق المدن وكأنها كالصحاري التي تظهر على الخرائط حيث تتحدد بعدد من النقاط الصغيرة والكثيفة.

إن منطقة الآلام ليست سوى نتائج لمعاناة البشرية. وقد تسلفت من مكان إلى آخر مثل سحابة من الغاز السام مرتشحة من خلال الحوائط ومارة نحو كل مبنى مباشرة دون أن تفقد شكلها المسطح الأفقي. إنه ألم ذو بعدين يترك في الحلق مرارة البكاء التي تظفره كالمقصلة.

ذلك هو التغيير الذي توصل إليه إردوسين عندما شعر بأول ضرب من ضروب الغثيان الناجم عن اليأس.

ما الذي أفعله بحياتي؟

تساءل إردوسين محاولاً بهذا التساؤل أن يلقي الضوء على أصول مثل هذا القلق الذي أدى به إلى أن يتوق لوجود يكون اليوم التالي فيه مختلفاً عن سابقه، حيث يمكن أن يحدث شيء مختلف وغير متوقع تماماً كما يحدث في روايات أفلام أمريكا الشمالية التي يصبح فيها متسول الأمس زعيم الأمة اليوم، وحيث تظهر الفتاة التي تعمل كسكرتيرة في مجال التنقيب عن الذهب على حقيقتها كمليونيرة عظيمة.

إثر مثل ذلك الشك المقبض، شعر إردوسين بالحاجة إلى حدوث معجزات لا يمكن له أن يحققها بأية حال - إذ أنه ليس سوى مخترع فاشل ومجرم يوشك أن يحقق هدفه - فخلفت تلك الحاجة في فمه مذاق مرارة الإحباط، وشعر بالألم في فمه وكأنه يعض الليمون الحامض.

عندما يمر بمثل تلك الحالة المزاجية، كان يرى أمام عينيه عالماً شديد السخافة. حتى أنه كان يتصور أن الأغنياء - إذ أضناهم الإرهاق من اضطراهم للاستماع إلى شكاوى

البؤساء - قد قاموا بتصميم أقفاص تجرها مجموعات من الخيول. ويتصور أيضاً أن ثمة من يتم اختيارهم لفرط قوتهم ويناط بهم اصطياد الفقراء باستخدام عصي اصطياد الكلاب، ويرى إردوسين مشهداً واضحاً تهرع خلاله امرأة شهباء طويلة القامة خلف أحد تلك الأقفاص حيث يقبع ابنها الأعور وهو ينادى عليها، وفي النهاية يقوم " صياد الكلاب " بضربها بمؤخرة عصاه بلا أدنى رحمة حيث أزعجه صراخها.

عندما انتهى ذلك المشهد من عيني إردوسين، قال لنفسه وقد ملأ الرعب قلبه :

- لكن ... ما تلك الروح؟ ... ما نوع الروح التي أملكها؟
وبما أن عقله لا يزال يتحكم فيه النبض الذي ولد مثل هذا الكابوس، فقد أضاف :

- لا بد وأنني قد ولدت خادماً ذليلاً ... أحد أولئك التفهين ... أولئك الخدم الذين يضعون العطر، ثم تجعلهم العاهرات الثريات ينظفون صدرياتهن، بينما يجلس عشاقهن على الأرائك وهم يدخنون السجائر.

شرعت أفكاره تسبح في الفضاء مرة أخرى، ولكن في هذه المرة هبطت إلى أسفل نحو مطبخ يضم خادمتين وسائقاً خاصاً وتجاراً شاباً يبيع الأربطة والعطور. في تلك الأثناء كان إردوسين يرتدي سترة سوداء قصيرة لا تكاد تخفي مؤخرته بالإضافة إلى رابطة عنق بيضاء. وفجأة، نادى عليه " السيد " وهو رجل يشبه إردوسين عدا أنه لم يخلق شاربته وكان يرتدي نظارة. لم يك لدى إردوسين أية فكرة عما يريد منه " السيد

" ولكنه لن ينسى أبداً نظرتة التي رمقه بها وهو يغادر الغرفة. ثم عاد إلى المطبخ ليتبادل الروايات القذرة مع السائق الذي قام بدوره بإخبارهم كيف تمكن من أن يغمر بابنة إحدى سيدات المجتمع الراقي وقد كانت فتاة صغيرة السن. قص تلك الحكاية وسط دهشة الخادمتين واستمتاعهما وصمت اللوطي الشريد.

قال إردوسين لنفسه مرة أخرى :

- نعم ... إنني خادم ذليل ... إن لدي روح الخادم الحقيقي

...

ثم أطبق أسنانه في شعور بالرضا وهو يهين نفسه ويسبها بهذه الطريقة.

في أوقات أخرى كان يرى نفسه يغادر حجرة نوم إحدى العوانس الورعات حاملاً نونية^(١) ثقيلة يتقرب بها لها. وفجأة، يصطدم قس - وهو زائر معتاد للمنزل - فيسأله وهو يبتسم بابتهاج :

- كيف حال طقوسك الدينية يا إرنستو؟

أما هو - إذا ما كان إرنستو أو أبدوسيو أو جوزيه - فكان يحيا حياة قذرة يعيشها خادم داعر ومنافق. كلما كان يفكر بتلك الطريقة، كلما كانت تنتابه نوبة من الجنون تسري عبر جسده.

^١ النونية المهجعية : مبنولة صغيرة توضع بجوار أسرة النوم لحالات خاصة .
المترجم

إن إردوسين يدرك تماماً أنه يؤذي روحه ويسئ إليها. فبينما يدلّف سريعاً نحو مستنقع الوحل، كان بذلك يعاني من نفس الفزع الذي يعاني منه من يحلم بالهبوط نحو هاوية سحيقة ولكنه يعلم أنه لن يموت.

أحياناً ما كان يشعر بأنه مجبر على إذلال نفسه تماماً كما يشعر القديسون عندما يقبلون جروح المرضى، ليس على سبيل الرأفة، بل لأنهم سيستحقون رحمة الرب، حتى ولو استاء الرب من طريقتهم التي يسلكونها للتوسل إليه من خلال مثل تلك الاختبارات الإيمانية المقرزة.

لكن بمجرد اختفاء تلك الصور، فإن كل ما يبقى في ذهنه هو " الرغبة في معرفة معنى الحياة". إنه يجادله نفسه قائلاً :

- لا، لست خادماً ذليلاً ... بالحقيقة ... أنا لست كذلك ...

وهو يرغب فقط في أن يذهب ليتوسل إلى زوجته أن تشفق عليه بسبب كل تلك الأفكار القذرة المروعة. لكن ذكرياته التي تظهر له أنه كان دائماً يضحى بنفسه من أجلها قد ملأت نفسه بالغضب لدرجه أنه كان يشعر بالرغبة في قتلها.

كان يعلم بكل تأكيد بأنها ذات يوم ستعرض نفسها على رجل آخر، وهذا يشكل عنصراً آخر يمكن أن يضيفه إلى العناصر الأخرى التي تشكل آلامه.

عندما سرق أول عشرين بيزو، اندهش إردوسين للسهولة التي تمت بها السرقة، ربما لأنه - قبل أن يفعل ذلك - اعتقد أنه لا بد أن يتغلب على كل نزعات الورع التي سببت له

تلك المتاعب التي لم يستطع استيعابها. لذلك فقد قال في نفسه :

- إنها ببساطة شديدة مسألة التحلي بقوة الإرادة ثم القيام بعمل ذلك.

لاشك أن " ذلك " قد جعل الحياة أكثر سهولة. فبفضل " ذلك " أصبح لديه مال جعله يشعر بأنه غريب لأنه لم يكلفه أي جهد للحصول عليه. ولم تكن السرقة في حد ذاتها هي التي ترعج إردوسين كثيراً، بل ربما يزعجه أن يبدو من سمات وجهة أنه لص. لقد أجبر على السرقة لأنه كان يحصل على أجر زهيد في نهاية كل شهر. فكان يحصل على ثمانين أو مائة أو مائة وعشرين بيزو طبقاً للمبلغ الذي يقوم بجبايته، وذلك لأن أجره كان يتضمن عمولة على كل "سنت" كان يأتي به. في بعض الأيام كان يجلب حوالي أربعة إلى خمسة آلاف بيزو بينما كان يسير جائعاً وهو مجبر على أن يتحمل الرائحة النتنة للحقيبة المصنوعة من الجلد الصناعي والتي تحوى بداخلها السعادة في شكل أوراق مالية وشيكات وتحويلات مالية وأذونات.

لم تواته فكرة السرقة من الشركة التي يعمل بها لفترة طويلة رغم البؤس الذي شرع يتخلل بيته ووطنه.

كانت زوجته توجهه لاضطراره إلى أن يقتصد ويوفر من ماله كل يوم، وكان يستمع إلى توبيخها في صمت، ولكن عندما يخلو إلى نفسه كان يتساءل قائلاً :

- ماذا تريد زوجتي أن أفعل؟

وعندما واثته فكرة السرقة، وعندما لمعت في ذهنه فكرة خداعه لرؤسائه، شعر بالسرور وكأنه كان يفكر في اختراع جديد. السرقة؟ لماذا لم يفكر في السرقة من قبل؟ كان شعور إردوسين بالوهن يسبب له الفزع، حتى إنه كان يلوم نفسه لأنه لم يستطع أن يملك زمام المبادرة، ففي تلك الفترة - وذلك قبل تلك الأحداث التي تروي الآن بثلاثة شهور - لم يفعل أي شيء رغم أن ثمة مبالغ ضخمة من المال كانت تتسلل من بين يديه كل يوم. ولقد كان إهمال شركة السكر له سبباً أدى إلى معاملاته الاحتياطية ومحرضاً عليها.

إرهاب في الشارع



لقد عاش إردوسين حياة غريبة دون أدنى شك إذ أحياناً ما كان يزج به إلى الشارع أمل يأتيه فجأة. فكان يستقل أتوبيساً ويهبط في باليرمو أو في بيجرانو. وبينما كان يسير عبر الشوارع الساكنة مستغرقاً في التفكير، كان يقول لنفسه :

- ستراني فتاة شابة؛ فتاة طويلة، بيضاء، وممتلئة وهي تقود سيارتها الرولر رويس لا شيء إلا مجرد التنزه. وسوف تقود سيارتها ويعلو الحزن عينيها. وفجأة... تلمحني وتشعر بأني حب حياتها، وسوف ترمقني بنظرات - قد تكون مهينة لشخص سئ الحظ - ولكنها ستجلس بجواري وتمتلي عيناها بالدموع ...



هذا ما كان يستعرضه خيال إردوسين الأحق وهو يسير متهادياً عبر ظلال واجهات المنازل العالية والأشجار الخضراء التي تلقي بظلالها المثلثة الشكل على الأرصفة المحلاة بالفسيفساء البيضاء. فشرع إردوسين يقول لنفسه :

- سوف تكون مليونيرة ... ولكنني سأقول لها : "آسف، لكنني لا أستطيع أن أملك حتى وإن حاولت أن تهبي لي نفسك ... فلن تكوني لي" ... وسوف تنظر إلى وقد انتابها الذهول ... وهنا سأقول لها : "لا فائدة ... أتفهمين ... لا فائدة لأنني متزوج" ... ولكنها سوف تعرض على إلسا مبلغاً طائلاً من المال لكي تقبل الطلاق ... وحينئذ سوف نعقد قراننا ... و... ونبحر إلى البرازيل على ظهر اليخت الذي تملكه ...

لقد أضفت كلمة "البرازيل" على حلمه الساذج جمالاً غريباً؛ لقد بدا حلماً قاسياً ودافئاً، صور له شاطئاً أبيض ووردياً يحوي صخوراً ومنحدرات تتجه نحو بحر أزرق دافئ. وفجأة تفقد الخادمة الصغيرة الجو المأساوي الذي يحيط بها.. وفي الحرير الأبيض الذي يصنع به ثوب التلميذة البسيط، تبدو مخلوقاً سعيداً ومبتسماً، مخلوقاً يتسم بالجن، ولكنه يتسم أيضاً بالجرأة. ثم قال إردوسين لنفسه :

لن تكون بيننا علاقة جنسية .. وحتى نجعل حبنا يستمر .. فسوف نحفظ بالرغبة في داخلنا .. حتى .. لن أقبلها من شفيتها .. بل سأقبل يدها فقط ..

ظل يتخيل مدى السعادة التي ستعمل على تنقية حياته لو حدث شيء مستحيل مثل ذلك، ومع ذلك فهو يعلم أن إيقاف الأرض عن الدوران يعد أكثر سهولة من حدوث شيء كهذا. لقد قال في نفسه وهو يعتوره شعور مفاجئ بالكبرياء :

- حسناً ... إذا ... فلسوف أصبح قوادة ...

في تلك اللحظة، سيطر على عقله فزع هو الأسوأ من

نوعه ... كما شعر وكأن الدم ينزف خلال كل شق ينفذ من روحه كما لو أن روحه قد مزقها مثقاب. وإثر افتقاده للإحساس بقوة العقل، وشعوره بصدمة الألم، انطلق في بحث جامع عن بيت للدعارة. وهنا فقط بدأ يشعر برهبة الفراغ الذي يخلف العدم، تلك الرهبة الواقعة التي تشبه السطوع المبهر للشمس عندما تعلو فوق سطح منح لأرض مالحة.

لقد أسلم ذاته إلى نزوة كتلك التي تسيطر على من يدركون لأول مرة في حياتهم أنهم على أعتاب السجون. إنها نزوات عمياء أدت بالتعساء إلى أن يعزوا كل شئ إلى المرأة أو إلى غيرها، وهم بذلك يبحثون في حزن عميق عن وسيلة لتأكيد وجودهم، يحذوهم الأمل في أن يجدوا في كل ما هو تافه ووضع دليلاً على البقاء الذي يمكن أن ينقذهم إلى الأبد.

بدأت الشمس صفراء اللون، وأثناء ساعات الظهر شديدة الحرارة، هام إردوسين فوق أرضة الشوارع الساخنة يبحث عن أكثر بيوت الدعارة إثارة للاشمئزاز. إنه يفضل بيوت الدعارة التي تمتلئ شرفاتها بقشر البرتقال وآثار الرماد، وتغطي نوافذها بستائر من القماش الأحمر وبواق من الشبكات الحديدية.

دخل الماخور والموت يخترق روحه. كان هناك مقعد طويل بني اللون وكثيب في بلحة مربعة تعلوها السماء الزرقاء. فخر على المقعد منهكاً وهو يحاول جهده أن يتحمل نظرة السيدة المتجملة له حتى أتت إليه فتاة لا هي بالبدينة ولا هي بالحنيفة.

نادت العاهرة عليه بعد ذلك بصوت عال خلال باب
نصف مفتوح لحجرة نومها، ومن هذه الحجرة تصور أصوات
رجل آخر وهو يرتدي ملابس، فتقول الزانية :

هل ستأتي ... يا حبيبي ؟

فدخل إردوسين إلى حجرة أخرى، يرن في أذنيه صدى
صوتها، وتتطاير ذرات الضباب أمام عينيه. ثم اضطجع على
السريр وهو يشعر بأنه يحيا حياة عظيمة، وكان السريр مغطى
بملاء تبدو عليها علامات آثار الأحذية أثراً بعد آخر.

فجأة، شعر وكأنه يجهش بالبكاء ويسائل المومس الداعرة
عن ماهية الحب؛ ذلك الحب الملائكي الذي تشدو به الملائكة
تحت عرش الإله الحي ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك إذ أن
الآلام قد أطبقت على حلقه كما يطبق الاشمزاز على معدته
فيجمدها كقبضة يده.

وبينما توقفت يد العاهرة عن التحرك داخل ملابس، قال
إردوسين لنفسه مرة أخرى :

ما الذي فعلته بحياتي ؟

تخلل الغرفة شعاع من الشمس من خلال عارضة الباب
المتسخة، وبدأت العاهرة تحرك يدها ببطء وهي تضطجع على
جنبها فوق وسادة واضحة إحدى رجليها فوقه، فشرع يفكر
بحزن شديد ويتساءل مرة أخرى :

ما الذي فعلته بحياتي ؟

وفجأة، شرع يشق الشعور بالندم روحه؛ كان يتذكر كيف

أن زوجته المفلسة المريضة قد وجدت نفسها مضطرة إلى أن تقوم بغسل كل ملابسها بنفسها، ولذا .. قفز من السرير وكأنه يقسم لذاته بأن لن يفعل ذلك، فدفع للعاهرة أجرها، ثم تسلل من الغرفة دون أن يلمسها، لأنه سيذهب إلى جحيم آخر ينفق فيه المال الذي لا يخصه في شيء، سيذهب نحو جنون أعمق يطلق صيحات الحزن ولا يجد مآلاً للراحة من حوله.

رجل غريب



في العاشرة صباحاً كان إردوسين قد وصل إلى مفترق طرق كل من بيرو وأفيندا دومايو. كان يعلم أنه ليس ثمة مخرج من ورطته سوى أن يكون له هدف إذ أنه يثق تماماً أن " بارسوت " لن يقرضه المال. وفجأة رأى ما سبب له الصدمة.



كان " إرجويتا " الصيدلي يجلس إلى إحدى الموائد على مقهى. كانت قبعته تتدلى فوق أذنيه. ويتشابك إبهاماه فوق بطنه الضخم، ويملاً وجهه الشاحب تعبيرات الغرور والمرارة. تلك النظرة اللامعة التي تصدر من عينيه المتفتحتين، والأنف المعقوفة الملساء، والأوداج المتفخخة، بالإضافة إلى الشفة السفلى المدلاة، كل ذلك يرسم صورة مجسدة لشخص ولد أبله.

تلك الإيماء الغريبة، بالإضافة إلى الجو النتن الذي تضيفه عليه الرتابة، كل ذلك أعطى لإرجويتا شكل تاجر النخاسة البيضاء. وبطريق المصادفة التقت عينا ذلك الصيدلي بعيني إردوسين، فهرع إليه تعلو وجهه ابتسامة طفولية مضيئة. عندما صافح إردوسين كان لا يزال مبتسماً، فقال إردوسين في

نفسه :

كم عدد النساء اللاتي وقعن في غرامه بسبب هذه الابتسامة
!؟

ولأنه لا يستطيع أن يتمالك نفسه، أطلق السؤال التالي :

إذا .. هل تزوجت من هيبوليتا ... ؟

نعم ... ولكن لا يمكنك أن تتخيل الجلبة التي تحدثها داخل
المنزل ...

ماذا ؟ ... هل اكتشفوا أنها كانت ... كذلك ... ؟

لا بل أخبرتهم هي بنفسها عن ذلك فيما بعد ... هل تعرف
أنها قبل أن تكون فتاة شوارع، كانت تعمل خادمة ؟

إذا ... ؟

بعد زواجنا مباشرة، قمت أنا وهي وأختي ووالدتي بزيارة
إحدى الأسر. لا يمكن أن تتخيل الذكريات الجميلة التي
عاشتها تلك الأسرة معها! وحتى بعد مرور عشر سنوات
استطاعت الأسرة أن تتعرف على هيبوليتا كإحدى الخادמות
اللاتي كن يعملن لديها ... إنه أمر غير معقول!! ثم عدنا أنا
وهي من طريق، وعادت أختي ووالدتي من طريق آخر. لقد
انهارت القصة التي ابتكرتها لتفسير زواجي بها تمامًا ...

لماذا اعترفت بأنها كانت عاهرة ؟ ..

كان ذلك في لحظة غضب ... لكنها كانت على حق .. أليس
كذلك؟ .. ألم تصنع حياة جديدة لها؟ .. ألم تتأقلم معي أنا ... أنا

الذي كنت أجلب للجميع اضطراب القلب؟

بغض النظر عن ذلك، كيف تسير الأمور؟

بحير ... تربح الصيدلية ستين بيزو يومياً .. لا يوجد فرد في " بيكو " يعرف الإنجيل كما أعرفه .. لقد تحدثت القس أن يجادلني .. ولكنه لم يوافق حتى الآن ...

ألا زلت تقامر؟

أجل .. وبفضل براءتي ... كشف يسوع سر لعبة الروليت لي ...

ماذا تعني؟

لا يمكن أن تتصور ... السر الكبير ... قانون التزامن الساكن (١) ... لقد ذهبت إلى مونتيفيديو مرتين وربحت مالا كثيراً .. ولكن الليلة سوف أصطحب هيبوليتا .. وسوف نكسر البنك ...

وفجأة ... بدأ يطرح تفسيراً جديداً ومعقداً قائلاً :

اسمع ... لنقل إنك وضعت مبلغاً معيناً على أول ثلاث كرات .. واحدة على كل خط اثني عشر .. إذا لم تظهر أية واحدة من المجموعات الثلاث .. إذاً فإن ثمة خللاً غير معقول .. لذلك فسوف تحرز نقطة لكل رقم اثني عشر لم يظهر. وبالنسبة للكرات الثلاث التالية، ستبقى الاثنا عشر الأولى لك كما

(١) قانون التزامن الساكن The law of static synchronicity تزامن الأحداث المترابطة التي تعتبرها نظرية كارل يونج مبدأ تفسيري لنظام السببية ذاته (المترجم).

هي .. الصففر لا يحسب .. وستلعب المجموعات بتسلسل ثلاث كرات ... ثم يضاف نقطة أخرى للثاني عشر التي لم يعترضها أي خط آخر. وسوف تحصل على نقطة أو نقطتين من المجموعة التي تظهر ثلاث مرات، وعلى هذا الأساس يمكن أن تحسب الاحتمال الأكبر أو الأقل، وفي هذه الحالة تراهن بكل ما حصلت عليه من المجموعات الباقية ..

لم يفهم إردوسين كلمة واحدة مما قال. وبينما ازدادت آماله، كان يكتفم رغبته في الضحك، لاشك في هذا. شعر إرجويتا بحالة من الجنون، لذا قال :

يكشف يسوع الأسرار للنفوس المؤمنة فقط ..

ثم أضاف إرجويتا وهو يظهر لإردوسين ابتسامة ساخرة ويغمز بعينه اليسرى له :

وللأغبياء المقدسين أيضاً ... منذ ذلك الحين وأنا أتورط في مثل تلك الألغاز .. لقد ارتكبت أخطاءً هائلة .. كالزواج من هذه العاهرة مثلاً ...

لكن أأست سعيداً معها؟

إنني أومن بوجود خير داخل الناس بينما هم يرغبون في احتقارك ويودون التشهير بك وكأنك مجنون ...

هنا أدرك إردوسين الضجر فقال :

كيف تتوقع منهم ألا يفعلوا ذلك ؟ أنت نفسك قلت إنك قد ارتكبت خطأ عظيمًا. ثم فجأة .. أصبحت رجلاً متدينًا .. لقد تزوجت من عاهرة لأن ذلك ما ذكره الإنجيل .. إنك

تتحدث للناس عن "الخاتم الرابع" و"الفرسان الشاحبين" ... بالطبع سوف يعتقد الناس أنك مجنون؛ فليس لديهم أدنى فكرة عما تقول .. ألم يعتبروني مجنوناً لأنني قلت إنه لا بد من وجود صالونات للحلاقة خاصة بالكلاب، كما قلت أيضاً إنه من الأفضل صناعة رداء معدني لها؟ لكنني لا أعتقد أنك مجنون .. لا أعتقد ذلك فعلاً .. كل ما تعاني منه هو الإفراط الشديد في الحياة والخير وفي حبك لجارك. لكن لا بد أن أقول بأن فكرة كشف يسوع لأسرار الروليت لك لا تبدو بعيدة الاحتمال بالنسبة لي ...

لقد رجحت ٥٠٠ بيزو في المرتين ...

ربما كان ذلك .. لكن ما أنقذك فعلاً ليس هو سر الروليت، ما أنقذك هو أنك تمتلك روحاً نبيلة. إنك قادر على فعل الخير، قادر على أن تعطف على رجل يكاد يذهب إلى السجن ... قاطعه إرجويتا قائلاً :

إنك على حق ... هناك صيدلي آخر في مدينتنا ... إنه عجوز بخيل. سرق ابنه منه مبلغ ٥٠٠٠ بيزو ... ثم جاءني يطلب نصيحتي. أتعرف ماذا قلت؟ أخبرته بأن يهدد أباه بأنه سيتاجر في الكوكايين إذا أبلغ عن السرقة.

- هل عرفت كيف أفهمك؟ لقد أردت أن تنقذ روح هذا العجوز بتحفيز ابنه على ارتكاب الذنب ... وهو ذنب يتطلب الندم طول العمر ... أليس ذلك صحيحاً؟

نعم ... مكتوب هذا في الإنجيل : "وسينهض الأب أمام الابن،

كما سينهض الابن أمام الآب" ..

أترى ؟ إنني أفهمك .. لا أعرف ما سيكون عليه مصيرك ..
فمصير الإنسان غير مؤكد دائماً .. لكنني أرى أمامك سبيلاً
عظيماً. إنه سبيل غريب ..

سأكون ملك هذا العالم. أتستطيع أن ترى ذلك ؟ سوف أربح
كل المال الذي أبغي فوق كل مائدة صنعت من أجل
الروليت. سوف أذهب إلى فلسطين .. إلى أورشليم لأعيد بناء
هيكل سليمان العظيم ..

وسوف تنفذ كثيرين من الناس. كم عدد الذين اضطروا إلى
سرقة رؤسائهم ؟ وكم عدد الذين سيطروا على المال الذي
أؤتمنوا عليه؟ ه يمكنك أن تتخيل آلامهم؟ إن المعذب ليس
لديه أية فكرة عما يفعل .. في يوم من الأيام يسرق بيزو ثم
يسرق خمسة في اليوم التالي، ثم عشرين بعد ذلك وقبل أن
يدرك ما يفعل، يدين بمئات .. فيقول في نفسه : " ليس هذا
بالكثير" .. وفجأة يجد أن الخمسمائة - وليس ٦٠٠ بيزو
وسبعة سنتات - قد اختفت. هل يمكن أن تتخيل ذلك؟
هؤلاء هم البشر الذين يجب عليك إنقاذهم .. المعذبون ..
المحتالون ..

توقف الصيدلي عن الحديث برهة. وبدأت نظرة جديّة على
قسمات وجهه المنتفخ، ثم قال :

أنت على حق ... إن العالم ملئ بالخطاة .. وملئ بالتعساء ..
ولكن ما الذي يمكن أن تفعله إزاء ذلك؟ هذا هو ما يقلقني.
كيف يمكن أن نقدم الحقائق المقدسة لهؤلاء البشر عديدي

الإيمان مرة أخرى؟

لكن الناس يحتاجون إلى المال .. وليس إلى الحقائق المقدسة ..
لا .. هذا هو فكرك الذي أدى بك إلى إهمال الكتب المقدسة.
إن من يحمل الحقائق المقدسة بداخله لا يسرق رئيسه، لا يحتاج
إلى الشركة التي يعمل بها، لا يجد نفسه مضطراً إلى أن يذهب
إلى دار للبقاء من يوم لآخر.

دعك أنفه وكأنه يفكر ملياً ثم استمر في حديثه قائلاً :

بالإضافة إلى ذلك، من الذي يجب عليه أن يقول إن الأمور
أصبحت أكثر سوءاً؟ من الذي سيقوم بثورة اجتماعية إذا لم
يقم بذلك النصابون والوضيعون والقتلة والغشاشون ..
أولئك الحثالة الذين يعانون هنا دون وجود أدنى أمل لديهم؟
أم أنك تعتقد أن المؤلفين وأصحاب المتاجر هم الذين
سيقومون بالثورة؟

حسناً .. حسناً .. ولكن بينما ينتظر الثورة لكي تحدث، ما
الذي سيفعله هذا التعس؟ وماذا أفعل أنا؟

أمسك إردوسين بذراع إرجويتنا بشدة وصاح فيه قائلاً :

لأنني أقف على بعد خطوة واحدة من السجن، ألا تعرف ؟
لقد سرقت ٦٠٠ بيزو وسبعة سنتات.

غمز الصيدلي بعينه غمزة بطيئة ورد عليه قائلاً :

- لا يزعجك ذلك هكذا. إن أوقات الحن التي تتحدث عنها
الكتب المقدسة تسري فوق رؤوسنا، ألم أتزوج من المعاقة ..

العاهرة (١) ... ألم ينفصل الابن عن الأب ... والآب عن الابن؟ إن الثورة أقرب مما يتصور الكثيرون ... أم تك أنت المخادع ... الذئب الذي يذرف الدموع؟

- لكن قل لي فقط ... ألا تجد سبيلاً لتقرضني ٦٠٠ بيزو؟
هز إرجويتنا رأسه ببطء قائلاً :

- هل تعتقد أنني أبله لمجرد أنني قرأت الإنجيل؟
أجابه إردوسين في حالة من اليأس :

- أقسم لك إني مدين بهذا المبلغ ...

فجأة، حدث شيء لم يكن في الحسبان. وقف الصيدلي، ونقر أصابعه معلناً رفضه، وبينما كان النادل ينظر إليه وقد أخذه الدهول، صاح إرجويتنا في وجه إردوسين قائلاً :

- اذهب إلى الجحيم ... أيها العرييد ... اذهب إلى الجحيم ...

هرع إردوسين بعيداً وقد احمر وجهه من الخجل. وعندما وصل إلى المنعطف، نظر إلى الخلف، فوجد إرجويتنا يشير بذراعيه وهو يتحدث إلى النادل.

(١) العاهرة : المقصود بها الزانية التي أتى بها اليهود للمسيح لكي يطبق حكم التوراة فيها وهو الرجم حتى الموت، فقال قولته الشهيرة في الإنجيل : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر والمؤلف يلقي إسقاطاً على مابين العفو عن الزانية وزواجه من تلك العاهرة . المترجم

الكراهية

كانت حياة إردوسين تستنزف، كما كان يتدفق كل يأسه المكبوت نحو الأفق الذي يراه خلف أسلاك التليفون وأسلاك التروولي. وشعر فجأة بأنه يطاء آلامه كما لو كانت بساطاً. وكما لو أن الجياد التي قطعت أحشاؤها وخرجت من بطونها على إثر إطلاق الرصاص عليها تنزلق وهي تطاء أمعاءها، فإن كل خطوة خطاها إردوسين تركته مخضباً الدم الذي يهب الحياة لرئتيه. أصبح نفسه أكثر بطئاً، فاعتقد أنه لن يصل؛ إلى أين؟ ليس لديه أدنى فكرة.



جلس على عتبة منزل مجهور في بيدراس. وظل هناك لعدة دقائق، ثم نهض وشرع يسير بسرعة لدرجة أن وجهه بدأ يتصبب عرقاً كأنه يسير في يوم شديد الحرارة. ثم وصل إلى مفترق سيريتو ولافاي.

عندما أدخل يده في جيبه، اكتشف أن به حفنة من المال، لذلك ذهب إلى إحدى الحانات اليابانية. يحتشد حول الموائد مجموعات من سائقي التاكسيات والبلطجية. وثمة رجل زنجي

يرتدي شارة وصندلاً اسود يلتقط القمل من تحت إبطه بالإضافة إلى ثلاثة قوادين بولنديين يرتدون خواتم ضخمة من الذهب بأصابعهم، كانوا منشغلين في جدل حول بيوت الدعارة وسيدات المجتمع بلهجتهم العامية. وفي أحد الأركان يلعب سائقو التاكسي بورق اللعب. نظر الزنجي حوله وهو يزيل القمل من تحت إبطه وكأنه يدعو كل الحضور لمشاهدة مدى التقدم الذي وصل إليه، ولكن لم يعره أحد أي اهتمام.

طلب إردوسين فنجاناً من القهوة، ووضع رأسه بين يديه وشرع ينظر إلى الطاولة وأخذ يسائل نفسه :

كيف يمكن أن أحصل على ٦٠٠ بيزو ؟

ثم تذكر جريجوريو بارسوت (ابن عم زوجته). ونسي فجأة رفض إرجويتا لطلبه. فأخذت صورة جريجوريو تترى أمام عينيه برأسه التي حلقها عن آخرها وأنفه النحيفة المعقوفة وعينيه اللتين تميلان إلى اللون الأخضر وأذنيه المدببتين كأذني الذئب. جعلت تلك الصورة يديه ترتعشان، كما أشعرته بجفاف حلقه. فسوف يطلب منه المال في نفس الليلة. وسيضطر إلى أن يصل إليه حوالي الساعة التاسعة والنصف كالعادة. ولقيه إردوسين هناك فعلاً وهو ينزل عليه بوابل من المبررات الغامضة لمثل تلك الزيارة، وبسيل من الكلمات يتدفق كدفعات من الرمال. وإردوسين يدرك جيداً أن بارسوت سوف يستمر في السؤال عن مبررات الزيارة والحديث دون الوصول إلى نهاية حيث سينتقل من موضوع إلى آخر برشاقة وحيوية وهو يركز عينيه على إردوسين الذي فغر فاه

وارتعشت يده ولم تواته الشجاعة للقذف به إلى الخارج.

ولابد أن بارسوت كان يدرك التغير المفاجئ الذي سببه لإردوسين لأنه قد قال له من قبل أكثر من مرة :

إنك لا تفضل حديثي كثيراً .. أليس كذلك؟

ولكن ذلك لم يمنعه البتة من القيام بالعديد من الزيارات المزعجة له باستمرار. ودائماً ما كان إردوسين يدفع عن نفسه ذلك الاتهام، فسعى إلى أن يعطي انطباعاً بأنه يهتم كثيراً بالحديث مع الرجل، وهو حديث استمر ساعة تلو الأخرى دون هدف يذكر. بينما كان بارسوت ينظر إلى الركن الشرقي من الحجرة طوال الوقت. فتساءل إردوسين :

ماذا يعني عندما يفعل ذلك بحق السماء ؟

في تلك اللحظات المزعجة، أخذ إردوسين يواسي نفسه زاعماً أن بارسوت قد استهلكت الغيرة حياته، وأنه قد عانى كثيراً دون سبب واضح.

ذات ليلة، وفي إحدى المناسبات النادرة، كانت زوجة إردوسين قد دخلت الحجرة المجاورة لئلا تضطر إلى الاستماع إليهما، قال بارسوت :

كم سيكون الأمر مدهشاً لو جن جنوني وأطلقت عليكما الرصاص، ثم قتلت نفسي أيضاً !

كانت عيناه لا تزالان تركزان على الركن الجنوبي الشرقي من الحجرة. فابتسم كاشفاً عن أسنان حادة كما لو أنه يزعم أن ما قاله هو مجرد نكتة. لكن إلسا نظرت إليه وهي متجهمة

وقالت :

- هذه هي آخر مرة أسمح لك فيها بمثل هذا القول في بيتي .. وإلا فلن تلج رجلك هذا البيت مرة أخرى ..

حاول بارسوت أن يعتذر لها، لكن إلسا تركت المكان ولم يراها تلك الليلة مرة أخرى.

استمر الرجلان في الحديث. وكان بارسوت أكثر شحوباً من أي وقت مضى. كانت وجهته النحيقة عبارة عن كتلة من الاختلاجات العصبية، ويده العريضة تمر خلال الخصلات الخشنة لشعره البرونزي.

لم يستطع إردوسين أن يجد تفسيراً واحداً للكراهية التي أدخلها بارسوت على قلبه. فتصور أنه رجل سوقي فظ ، لكن ذلك لا يتفق مع بعض السمات التي يتمتع بها بارسوت. فسماته تكشف عن طبيعة غريبة ولكنها رقيقة تسيطر عليها مشاعر يصعب تفسيرها. ومع ذلك فأحياناً ما يصبح أسلوبه السوقي الواضح مقززاً بصورة فاضحة، فكان إردوسين يجد نفسه مضطراً إلى أن يظهر له امتعاضه بالحناءة خفيفة من شفتيه الشاحبتين بينما يتمادى بارسوت في إظهار فحشه الذي لا يوصف لمجرد أن يقوم بجرح مشاعر الآخر.

كل ما كان يدور بينهما عبارة عن مبارزة خفية تتم خلالها الحرب دون هدف واضح، فكانت تلك الصورة تثير أعصاب إردوسين لدرجة أنه كان يقسم - حين يغادر بارسوت - ألا يستقبله مرة أخرى. ولكن في هذه المرة، وقبل حلول الليل، بسويغات قليلة، وجد إردوسين نفسه يفكر فيه.

جاء بارسوت وشرع في الحديث حتى قبل أن يجلس فقال :
أتدري ؟ لقد رأيت أغرب حلم في الليلة الماضية ...

قال ذلك ولم يتسم، وقد تركزت نظراته على الركن الجنوبي الشرقي للغرفة. وبدأت تعبيرات الكآبة على وجهه ذي اللحية التي ظهرت عليه منذ ثلاثة أيام، وشرع بارسوت في عمل حوار من طرف واحد كشف النقاب عن لحظات الفرع التي عاشها على مر سبعة وعشرين عاماً ومنها مثلاً كيف كان يصاب بالفرع من قبل سمكة بعين واحدة كانت تغمز له في حلمه، ثم كيف كان يربط ما بين السمكة ذات العين الواحدة وبين النظرة المتطفلة التي كانت ترمقه بها سيدة عجوز تعمل بتحضير الأرواح وكانت تريد زوجاً لا بنتها. ثم شرع يدور بحديثه في اتجاهات غريبة إلى درجة أن إردوسين نفسه قد نسي اشمئزازه منه، بل ساءل نفسه إن كان هذا الرجل قد فقد عقله. وبينما كان إردوسين يستمع إليه وهو يشعر بالضيق وكأنه قد سيطر عليه الشلل، كانت إلسا تقوم بالخياطة في الغرفة الأخرى غير مدركة لما يحدث.

شعر إردوسين برعشة ناجمة عن نفاد صبره وهي تحطم مفاصله، وقد أرهقه المجهود الذي بذله من أجل إخفاء ما قد ينتابه من تشنجات. وقد شعر بصعوبة فائقة في إخراج أية كلمة كما لو أن شفتيه قد التصقتا بالغراء.

شكا جريجوري بارسوت من عدم حب الناس له وهو يضع كوع إحدى يديه على المائدة، ويشد طرف بنطلونه لكي يفرده بيده الأخرى. كما نظر مباشرة نحو إردوسين وهو يخبره

بذلك. في بعض الأحيان، كان يسخر من مخاوفه، كما كان يسخر من شبح كان يراه في أحد أركان مرحاض منزله، وهو شبح لامرأة عملاقة ذات يدين نحيفتين تحمل مكنسة، تحملق فيه بنظرات شخص بشع. في أحيان أخرى كان يعترف بأنه لو لم يكن مريضاً فعلاً لانتهى به الأمر إلى أن يصبح كذلك. واستفسر إردوسين عن أعراض ذلك المرض زاعماً أنه يسعى إلى الحفاظ على صحته، وعندما أصر على الاستفسار أجابه بارسوت باشمزاز قائلاً :

أيزعجك وجودي هنا إلى هذه الدرجة ؟

في بعض الليالي كان بارسوت يشعر بالابتهاج عندما يزور إردوسين، فكان يشعر وكأنه مخمور قد أشعل النار في محطة للبنزين. عندما يدخل البيت كان يتجول في غرفة الطعام، وكان يضرب إردوسين على ظهره ويعض على أسنانه، ثم يسأله مرة تلو الأخرى قائلاً :

كيف تسير الأمور ؟ كيف حالك ؟

ومضت عينا بارسوت، بينما وقف إردوسين وحيداً مهجوراً وهو يتساءل عما يجعله مكبلاً في وجود هذا الرجل الذي يجلس الآن على حافة كرسيه ولا يزال يتلصص على ركن الغرفة بلا رحمة. إنهما دائماً ما كانا يتجنبان النظر إلى بعضهما البعض.

كانت هناك رابطة غامضة ومجهولة بينهما، وهي رابطة تربط رجلين يكرهان بعضهما البعض من قلوبهما ولكنهما يتحلمان بعضهما البعض لأسباب لا يفهمانها جيداً.

كان إردوسين يكره جريجوريو بارسوت ولكن مع شيء من الضغينة التي تتسم بالحن والتفاهة. وهي ضغينة صنعها الخيال الشرير والاحتمالات المزعجة. وأحياناً ما كان يتخيل نفسه وهو ينتقم منه ثم يملكه عبوس شديد عندما يستحضر أسوأ الكوارث فيتذكرها.

لكن... في اليوم التالي، عندما قام بارسوت بالطرق على باب الشارع شعر إردوسين برعشة كما لو أنه إحدى الغواني التي ضبطها زوجها في وضع مخل فاستشاط غيظاً من إلسا لأنها تباطأت في فتح الباب، وشرع يعلق على سلوكها بأسلوب يهدف إلى إخفاء جنبه بوضوح تام قائلاً :

سوف يظن أننا لا نريد دخوله... ولو كان الأمر كذلك ... فسوف نخبره بأنه لا يجب أن يزورنا بعد الآن ...

أحس إردوسين بعدم وجود أي دافع حقيقي لديه لاستقبال الرجل فاستشرى اشمزازه من استقباله بداخله كالسرطان. أما كل حركة وإيماءة من إيماءات بارسوت فكانت تمثل سبباً مقنعاً لإحساس إردوسين بالغيظ لدرجة أنه يتمني له ميتة مروعة. كما أن بارسوت - وكأنه يحس بما يعتمل في نفس إردوسين - كان يرد عليه بأسلوب يملؤه التمرد بصورة لا إرادية. على سبيل المثال، لن ينسي إردوسين الموقف التالي :

ذات مساء خرجا سوياً لتناول شراب الكوكتيل. أثناء تناولها الشراب، أحضر النادل طبقاً من البطاطس بالمستردة.

قام بارسوت بشك قطعة من البطاطس بالخلال (١) بعنف فأوقع السلطة على قمة المائدة المصنوعة من الرخام وقد كانت المائدة متسخة من بقايا رماد سجائر الزبائن وأيديهم القذرة. شاهد إردوسين ما حدث وهو يشعر بالاشمئزاز بينما يغرف إردوسين بيديه قطع البطاطس قطعة قطعة وعندما وصل إلى آخر قطعة، لطخها بالمستردة المسكوبة على المائدة ثم وضعها في فمه وهو يبتسم ابتسامة ساخرة. فقال له إردوسين باشمئزاز :

لماذا لا تعلق قرص المائدة ؟

رمقه بارسوت بنظرة قاسية ومستنفرة : ثم انحنى وشرع يعلق قرص المائدة بكامله، ثم قال لإردوسين :

هل أنت راض الآن ؟

فرد عليه إردوسين وقد شحب وجهه :

هل جنتت .. ؟

فقال بارسوت :

ما خطبك؟ .. لا تقل لي إنني ضايقتك ...

وفجأة، انفجر بارسوت في الضحك وكأنه قد خرج من حالة الغضب التي انتابته من قبل. ثم شرع في أحاديثه التافهة مرة أخرى. لم ينس إردوسين هذا المشهد أبداً، فقد مالت جدائل شعر جريجوريو البرونزية على المائدة الرخامية. كان

(١) الخلال tooth pick عصا رفيعة تستخدم لتخلل الأسنان بهدف تنظيفها (المترجم).

دائماً يظن أن بارسوت ييغضه جراء كل ما كان يسبب له. وكثيراً ما كان بارسوت لا يستطيع أن يتمالك نفسه، فبمجرد أن يصل إلى بيت إردوسين يشرع في تفريغ تعاسته في أذنيه رغم أنه يعلم أن ذلك لا يسعد إردوسين كثيراً.

الواقع أن إردوسين كان يظهر عطفاً حقيقياً وبسيطاً يخفف كراهية بارسوت له خاصة عندما كان يوجه له النصائح الجادة. ومع ذلك قد تعود الكراهية سريعاً عندما كان ينتبه إلى إحدى نظرات إردوسين غير المريحة، والتي كانت تمتزج فيها الشفقة بالسرور الخبيث حيث يعيش بارسوت حياة بائسة رغم أنه يستطيع العيش دون أن يعمل لكسب قوت يومه. إلا أن بارسوت كان يفرغه اعتقاده بأنه يمكن أن يصل إلى مرحلة الجنون كما حدث لكل من أبيه وأخوته من قبل.

فجأة، انتصب إردوسين. كان الزنجي قد توقف عن تنظيف نفسه. وكان القوادون الثلاثة يتبادلون بعض مبالغ من المال، بينما كان سائقو التاكسيات يرمقونهم بنظرات من الطمع والحسد من أطراف عيونهم. كان الزنجي أيضاً ينظر إلى القوادين بحزن شديد وكأن سحر المال سيحفزه على العطس. نهض إردوسين وقام بدفع الحساب، ثم خرج قائلاً لنفسه :

إذا فشل الأمر مع بارسوت .. فسوف أحاول مع العراف ...

أحلام المخترع



لو أن أحداً قد حذر إردوسين مسبقاً بأنه يخطط لقتل جريجوريو بارسوت، وبأنه سيشاهد زوجته وهي تتركه ولم يحرك ساكناً لما صدق ذلك أبداً.

شرع إردوسين يهيم على وجهه طوال فترة الظهيرة. إنه في حاجة إلى أن يشعر بأنه بمفرده. كما أنه في حاجة إلى أن ينسى أصوات البشر وإلى أن يشعر بأنه قد انفصل عن كل ما يحيط به كما لو أنه شخص لم يلحق بالقطار فضل في مدينة غريبة



سار عبر ممرات المحلات في آرنيال وطالالاكونو، ثم مشى في أركان كاركاس ورودريج بينا، ثم إلى مفارق طرق مونتيفيديو وكونيتانا مستمتعاً بالفن المعماري الرائع والمحرم على كل من الفقراء والبؤساء. كانت الأوراق المتساقطة من الأشجار التي تعرت من أوراقها تتجمع بكميات هائلة تحت قدميه وهو يحملق لأعلى إلى الألواح الزجاجية للنوافذ المستديرة الضخمة التي أضفت عليها الستائر اللامعة اللون الفضي.

هذا العالم إنما هو أبعد ما يكون عن المدينة الفوضوية التي يعرفها. إنه عالم آخر يحمل دقات قلبه بطيئة ومتثاقلة يتوق إليه بشدة.

توقف عن السير ليختلس بعض النظرات إلى صف من المرائب التي تلمع كالفضة، وإلى الثمار الخضراء المتدلّية من شجر السرو الذي يقع خلف أسوار مزودة بفتحات، أو خلف قضبان سميكة لا يمكن لأسد قوي أن يقتحمها. وثمة بعض الصخور الحمراء الصغيرة التي تزين المسافات بين أصص كبيرة خضراء تمتلئ بالزهور. من حين إلى آخر تسير إحدى المربيات عبر طريق يمر من خلال الحديقة.

كل هذا ... ويدين إردوسين بستمائة بيزو وسبعة سنتات!!
ظل إردوسين ينظر - وهو مفتون - إلى حواف الشرفات التي تزدان بدوائر ذهبية تبعث على الشعور بالدفع، وينظر إلى نوافذ قد طليت إما بلون رمادي فاتح أو بلون بني فاتح، وإلى ألواح زجاجية سميكة يشعر المارة بجوارها وكأنهم يسرون تحت الماء، وإلى ستائر مزركشة ورقيقة تشعر الفرد بأنه يري تضاريس أرض خيالية. لا بد وأن "الحب" خلف مثل هذه الستائر المصنوعة من التول^(١) أمر مختلف، فهي تنقي الضوء وترقق الأصوات ...

لكنه يدين بستمائة بيزو وسبعة سنتات. ولا تزال كلمات الصيدلي ترن في أذنيه :

(١) التول : قماش شفاف يصنع من الحرير الخفيف (المترجم)

- أنت على حق ... إن العالم ملئ بالحثالة... بالفقراء
التعساء ... ولكن ما الذي يمكن أن تفعله إزاء ذلك؟... كيف
يمكن أن نقدم الحقائق المقدسة لهؤلاء الناس ضعيفي الإيمان
بأسلوب جديد؟

وكأنه نبتة من تلك النباتات التي لا تنمو إلا بصدمة
كهربائية، أخرج اليأس شطئه من أعماق صدره حتى شعر
وكأنه يختنق.

بدا لإردوسين فجأة أن كل لحظة من قلق كانت كبومة
تتسلل من أحد أغصان معاناته إلى الآخر. إنه يدين بستمائة
بيزو وسبعة سنتات، ومع ذلك فقد حاول أن ينسى ذلك
بتعليق آماله على جريجوريو بارسوت أو حتى على العراف ..
لقد انجرفت أفكاره مرة أخرى نحو شارع مظلم. كانت خيوط
من الضوء تتدلى من أعلى السطوح، أما أسفل، فقد ملأت
سحابة من الغبار البئر المظلم من الشارع. ومع ذلك، فإنه
يسير نحو أرض السعادة تاركاً خلفه شركة السكر. ماذا يفعل
بحياته؟ هل تلك هي اللحظة التي يجب عليه فيها أن يطرح
على نفسه هذا السؤال؟ كيف كان له أن يستطيع السير وكان
وزنه سبعين كيلو جراماً؟ أم أنه بكل بساطة شبح يسترجع
الذكريات التي حدثت له أثناء حياته على الأرض؟

أشياء كثيرة تعتمل بداخله. ما الذي يجب أن يفعل تجاه
صيدلي تزوج من عاهرة؟ وبارسوت الذي تطارده السمكة
ذات العين الواحدة، وأيضاً ابنة محضر الأرواح؟ وإلسا التي لم
تسلم نفسها له، بل ظلت تهدد بطرده؟ هل هو مجنون أم لا؟

لقد سأل نفسه كل تلك الأسئلة لأن هناك لحظات يبرز فيها أمل غريب بداخله. كان يتخيل أنه من خلال إحدى الثقوب الموجودة في ستائر أحد تلك القصور الفخمة ثمة مليونير سوداوي صموت (تلك هي كلمات إردوسين بالحرف الواحد) يراقبه باستخدام العدسات المكبرة.

الشيء الغريب فعلاً هو أنه عندما يظن إردوسين بأن المليونير السوداوي الصموت ربما يراقبه كان يشعر بالأسى ويمتنع عن النظر إلى أرجل الخادمت اللائى كن يسرن أمامه زاعماً أن ثمة صراعاً داخلياً بدأ يسيطر عليه. كان يعتوره مثل ذلك الشعور لأنه كان يظن أنه إذا رآه المليونير السوداوي الصموت وهو ينظر إلى الخادمت، فسوف يستنتج أن إردوسين لم يعان المعاناة الكافية التي تجعله يستحق شفقتة. كما ذهب إردوسين إلى ما هو أبعد من ذلك لدرجة أنه اعتقد أن المليونير السوداوي الصموت ربما سيرسل في طلبه في أي لحظة إذ أنه قد شاهد معاناته طيلة سنوات لا تحصى وهي تنقش على قسّمت وجهه.

ظل هذا الهلجس يستحوذ عليه ويزداد بشدة في ذلك المساء لدرجة أنه اقتنع فجأة بأن ثمة خادماً يرتدي ستره مخططة باللونين الأحمر والأصفر ينظر إليه نظرة منحوسة من باب أحد الفنادق، ولا بد أن يكون هذا الخادم وسيطاً لدى المليونير السوداوي الصموت.

ثم نادى عليه الساقى فاتبعه. ومشى عبر حديقة تغص بنباتات الصبار الشائكة، ثم دخل غرفة كبيرة حيث تركه

الساقى بمفرده بضع دقائق. كان المبنى بكامله وسط الظلام. كان هناك مصباح واحد يضئ أحد أركان الغرفة. فوق اللوح الجانبي للبيانو هناك أوراق نوته موسيقية ينبعث منها عطر يوحي بأن أصابع سيده هي التي دائماً ما تعزف ألحانها. وثمة تمثال نصفي لامرأة - مصنوع من الرخام - موضوع بإهمال على عتبة نافذة قرمزية اللون. كما أن الوسائد الموضوعة على الكراسي مغطاة بقماش يبدو كرسوم الفن التكعيبي، وعلى المكتب بعض منافض السجائر البرونزية بالإضافة إلى تمثال مهرج صغير.

متى جلس إردوسين طيلة حياته كلها في غرفة مثل تلك التي يظهرها له خياله الآن؟ لم يتذكر شيئاً كهذا قط. ثم رأى إطاراً ضخماً من الأبنوس يبرز بحوافه المتوازية من سقف أبيض لامع، يلمع الجص منه مشكلاً صورة لمنظر بحري فيه جسر خشبي كثيب، وأسفل هذا الجسر أعمدة مقوسة ضخمة تضم أشكالاً يصعب تمييزها، لها ظلال ملطخة بلون الصدا، تلقى على أحمال هائلة، وخلفية اللوحة عبارة عن بحر من الدم والحديد الصلب، يبرز منه - على مسافة بعيدة - رصيف مرصاً تنتشر فيه مجموعة كبيرة من الرافعات والقضبان والرحويات.

تلك هي الغرفة التي انزلت فيها إلسا عندما كانت مخطوبة له. نعم، ربما. ولكن لم يتذكر ذلك الآن؟ لقد كان رجلاً مخادعاً، وكان يرتدي حذاء منحول الكعب، ورابطة عنق رثة، وبذلة ملطخة بالشحوم، رجلاً يكسب قوت يومه في الشارع بينما تعمل زوجته المريضة في غسيل الملابس. لم يكن

أكثر من ذلك. لهذا السبب، أرسل المليونير السوداوي الصموت في طلبه.

بفضل الصور والمشاهد التي أوحى له بها فاعل الخير الخفي العظيم، حمل الخيال إردوسين بعيداً، ولذا لم يشعر بالضيق عندما مر به الوقت بطيئاً ليعقد لقاء مع المليونير السوداوي الصموت الذي سيمنحه المال لكي ينفذ مخترعاته ولكن - مثل قراء الروايات المثيرة عندما يهرعون للوصول إلى ذروة الموضوع يتخطون المقاطع المملة - قام بدوره بحذف العديد من الحلقات غير الممتعة التي ألهمه بها خياله، ثم تخيل نفسه في الشارع مرة أخرى، حيث كان بالفعل.

في تلك الأثناء ترك مفترق كاركاس وطالكونو أو أرنيال رودريجيز بينا، ومشى نحو هدف واضح مرة أخرى.

أفسحت أغوار اليأس في داخله المجال لطموحات أشد جموحاً. فسوف ينتصر .. نعم. سوف ينتصر! فبالمال الذي سيعطيه له المليونير السوداوي الصموت سوف يؤسس مختبراً كهربائياً حيث يكرس نفسه لدراسة أشعة بيتا والبث اللاسلكي للطاقة والتيار الإلكترومغناطيسي. وسوف يتقدم في السن كشخصية تافهة في إحدى الروايات الإنجليزية دون أن يفقد شبابه ومع ذلك فسيصبح وجهه أكثر شحوباً بالتدريج حتى يشبه لون الرخام، بينما عيناه الساحرتان اللامعتان تغريان أية فتاة على وجه الأرض.

أرخبى الليل سدوله، فتذكر إردوسين فجأة أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن ينقذه من هذه الورطة المريعة إنما هو

العراف. طردت تلك الفكرة كل الأفكار الأخرى من رأسه. ربما يكون لديه مال. لكن إردوسين يشك في أن هذا الرجل ربما يكون عميلاً بلشفيًا^(١) شيوعياً أرسل لعمل دعاية لنشر الشيوعية داخل الأرجنتين. ذلك لأن لديه مخططاً لتأسيس مجتمع ثوري. ودون تردد، نادى إردوسين على تاكسي وأخبر السائق بأن يوصله إلى محطة كونستيتيو سيو. ومن ثم اشترى تذكرة إلى تمبرلي ..

(١) البلشفي : عضو في مجموعة يسارية في حزب العمال الاشتراكي الروسي المتبني لنظريات لينين . المترجم .

العراف

يتواجد المنزل الذي يعيش فيه العراف وسط إحدى المزارع المخصصة لقضاء العطلات الأسبوعية. يرى بلاطه الأحمر من مسافة بعيدة من خلال الأشجار المحيطة به. وفي المساحات الخالية بين جذوع الأشجار الضخمة ترى مساحات كبيرة من الحشائش والنباتات المتسلقة حيث تقضي الحشرات السوداء السمينة طوال النهار وهي تطن حيث تنهمر عليها الطحالب وسيقان النبات المهشمة. وعلى مسافة قريبة من المنزل تدور ريش مروحة مضخة هوائية يدعمها عمود من الحديد الصديء، وعلى مسافات بعيدة من المنزل تسطع ألواح زجاجية حمراء لباب أحد الاسطبلات بصورة كثيفة. وخلف مضخة الهواء، وخلف المنزل أيضاً، وعلى الجانب الآخر من الصور المنخفض تلوح القمم الخضراء الداكنة لأشجار الأوكاليتوس
ظلية على صفحة
فسم صورة
سماء زرقاء اللون.



سار إردوسين نحو المنزل وهو يسير فوق زهر العسل. وشعر وكأنه بعيد عن المدينة، أو في وسط الريف، ولم يخفف من وطأة هذا الشعور سوى ظهور المنزل له. رغم أن للمنزل حدوداً منخفضة إلا أنه مكون من طابقين، وشرفة منهارة بالطابق العلوي، وعمود إغريقي مثير

للاشتمزاز بالمدخل، تصل إليه بعض درجات سلم من حولها
عدد من أشجار النخيل.

ينزوي البلاط الأحمر لأسفل لكي تحمي أفاريز المنزل
النوافذ السفلية للغرفة العلوية كما تحمي بقية النوافذ
الصغيرة، وخلال الخضرة الجميلة التي تكسو أشجار
الكستناء، وفوق أشجار الرمان التي تزدان بثمار كأنها نجوم
قرمزية اللون، تتأرجح مؤخرة دوارة الريح (١) إثر هبوب
الرياح. لقد تفتح جمال الحديقة حيال عيني إردوسين وكأنها
رسمت بستاناً جميلاً. وخلال النسيم المسائي العليل، وخلال
إخفاء الشمس لون اللؤلؤ اللامع على كل شيء، ينبعث من
الأزهار والورود عبير قوي نفاذ يوحي بأن الحديقة قد أضفى
عليها مسحة من الوميض الأحمر، باردة كبرودة أحد أنهار
الجبال.

قال إردوسين في نفسه :

حتى لو كان معي قارب فضي له أشعة ذهبية ومجدافان
من العاج، ولو كان البحر يلمع مبرزاً سبعة ألوان، وترسل
لي إحدى المليونيرات القبل من القمر، فسوف أظل حزيناً ..
كما أنا الآن .. لكن ... ماذا أقول؟ يمكن أن أحيانا حيلة
أفضل من حياة المدينة، فهنا على الأقل يمكن أن يكون لدي
مختبر ...

ثمّة صنبور تتساقط منه قطرات الماء داخل برميل. وثمة
أيضاً كلب يغفو أمام منزل صيفي، وعندما توقف إردوسين

(١) دوارة الريح weathervane : أداة لتحديد اتجاه الريح وسرعته . المترجم .

عن السير لينادي بالقرب من عتبة الباب، ظهر جسد العراف العملاق إلى المدخل على الفور، يرتدي ثوباً خارجياً، أصفر اللون وقبعة تميل إلى الأمام إلى ما فوق حاجبه، فألقت بظلمها على وجهه العريض، تتدلى بعض جدائل شعر متفرقة من جانبي رأسه. أما أنفه الذي يبدو أن بها كسراً في منتصفها فيتجه نحو اليسار بصورة غريبة. وبرزت من وجهه عينان سوداوان مستديرتان - تظهر فيهما الجراحة وهما تلمعان - أسفل حاجبين كثيفين. كل ذلك بالإضافة إلى بعض الخطوط العميقة التي تسري عبر خديه الحشنيين جعل العراف يبدو وكأن وجهه قد نقش على لوح من الرصاص، كم هي ثقيلة مثل هذه الرأس! صاح العراف قائلاً :

- أوه ... هذا هو أنت، أليس كذلك؟ تفضل بالدخول ... في استطاعتك أن تقابل البلطجي المخبول.

ثم مرا عبر ممر مظلم وشديد الرطوبة واتجهوا نحو حجرة مكتب مزينة بورق حائط مزخرف بأزهار خضراء باهتة اللون. تتدلى خيوط العنكبوت من السقف، كما أن الشبكة التي وضعت لتغطي النافذة توحى بصورة مؤذية. في أحد الأركان، هناك دولاب قديم الطراز ومصنوع من الحديد قد أحال الإضاءة الضاربة إلى الزرقة إلى ما يشبه الظلال الخفيفة القائمة. كان هناك رجل مرتد ملابس رمادية يجلس على كرسى مخملي أخضر اللون وقديم. كانت خصلة من الشعر الأسود تتدلى إلى أسفل جبهته بصورة تسبب لمن يراها صدمة، كان يرتدي غطاء كاحل بني. بمجرد أن اقترب العراف من هذا الغريب، بدأ ثوبه الخارجي يتلاطم، ثم قال :

- إردوسين ... دعني أعرفك على آرتورو هافنر ...

في إحدى المرات السابقة، كان هذا المخادع يستمتع بحديث طويل مع الرجل الذي كان يدعوه سراً بالبلطجي المخبول، وهو نفس الرجل الآن الذي وضع رجلاً فوق الأخرى وهو يجلس على الكرسي ويضع صدغه المائل إلى الزرقة على ثلاثة أصابع تزدان أظافرهما بالمانيكير بعد أن صافح إردوسين. ثم لاحظ إردوسين وجهه المستدير، وعينيه اللتين ترسلان نظرات ساخرة، ثم لاحظ اعتياده على رفع أحد حاجبيه عند استماعه إلى الحديث بما يوحي لك بأنه رجل صاحب قرار. كان البلطجي يرتدي سترة وقميصاً حريراً، وبينهما ملح إردوسين مؤخرة مسدس. إن الوجوه قد لا تنبئ بأي شيء لأحد فعلاً.

ثم التفت البلطجي ليلقي نظرة على خريطة للولايات المتحدة الأمريكية كان العراف يخطو نحوها ثم توقف أمامها مشيراً إليها بيلده، فأخفى ذراعه الشاحب البحر الكاريبي الملون باللون الأزرق، ثم قال :

- في شيكاغو وحدها.. يضم الكوكلوكس كلان(١) ١٥٠.٠٠٠ عضو. وتضم ١٠٠.٠٠٠ عضو في ولاية ميسوري ... ويقال إن في ولاية أركنساس ٢٠٠ كهف كبير. وفي ليفل روك، تزعم "الإمبراطورية الخفية" أن كل مبشر بروتستانتي عضو في جماعة الأخوة. وفي ولاية تكساس، تسيطر الجماعة سيطرة

(١) الكوكلوكس كلان Ku-Klux-Klan : تنظيم سري تأسس في جنوب الولايات المتحدة بعد الحرب الأهلية لتأكيد سيادة البيض عن طريق الإرهاب. كما أطلق هذا الاسم على أخوية سرية لها نفس الأهداف تأسست في جورجيا عام ١٩١٥ . المترجم.

كاملة على مدن دالاس، فورت وورث، هيوستون، بيرمونت. أما بينجهامبتون - محل ميلاد " سميث " أمين تنظيم المنظمة والذي يسمى بالتنين - فيها ٧٥٠٠٠ عضو، بينما في أوكلاهوما فقد أجبرت المنظمة اللجنة التشريعية على تمرير قرار يمنع الحاكم " والتون " من مهاجمتها، وكانت النتيجة أن الولاية كانت تدار فعلياً على يد المنظمة حتى وقت قريب.

كان ثوب الصراف الفضفاض يشبه إلى حد كبير رداء الكهنة البوذيين. واستمر في حديثه قائلاً:

هل تعلم أنهم قاموا بحرق العديد من البشر وهم أحياء؟
أجابه البلطجي :

أجل ... لقد قرأت البرقيات ...

شرع إردوسين يفكر في البلطجي المخبول مرة أخرى. لقد أطلق عليه العراف هذا الاسم المستعار إذ أنه منذ عدة سنوات حاول القواد الانتحار. وظلت هذه الحادثة لغزاً لفترة طويلة. فذات مرة أطلق " هافنر " الذي كان يكسب قوته من الغواني رصاصة إلى صدره، بالقرب من قلبه. لكن الرصاصة لم تصب قلبه، وأنقذت حياته فقط لأن قلبه في لحظة اختراق الرصاصة كان في مرحلة الانقباض. وبعد ذلك عاش حياته كما كان من قبل، ربما تمتع بشهرة واسعة في عيون الرفاق (١) الجشعين الذين لم يستطع أي منهم إعطاء تفسير لإيماءته الغريبة. وواصل العراف حديثه قائلاً :

(١) الرفيق Comrade: لقط كان يطلق على كل أعضاء الأحزاب الشيوعية . المترجم

- لقد جمعت الكوكلوكس كلان الملايين ...

أضاف البلطجي وهو يظهر احتجاجه :

- نعم ... التتين... لقد تمت محاكمته بتهمة الاختلاس ...

تظاهر العراف بأنه لم يسمع ما قاله البلطجي فواصل حديثه :

- ما الذي اتخذ من إجراءات لمنع منظمة سرية مثل "كلان" من أن تصبح بهذه القوة في الأرجنتين؟ أقول لك بكل أمانة ... لا أعلم ما إذا كانت جمعيتنا بلشفية أو فاشستية أحياناً أعتقد أن أفضل شيء هو تنظيم مثل هذا المزيج الشرير الذي لا يستطيع أن يحل عراه حتى الرب نفسه. إنني أحادثك بصراحة تامة الآن ... حتى الآن ... هدفي هو تشكيل جماعة كبيرة غير محددة المعالم يمكن أن تضم كل طموحات البشرية. كما أن خطتي تتمثل في استهداف شباب البلاشفة والطلاب والبروليتاريين الأذكياء. كما سترحب أيضاً بانضمام كل الذين يخططون لتغيير العالم، وكل العاملين البسطاء الذين يحلمون بأن يصبحوا أثرياء، بالإضافة إلى كل المخترعين الفشلة ... لا تنظر إلى المسألة بصفة شخصية يا إردوسين ... وكل الذين فقدوا عملهم ... كل الذين رفعت ضدهم قضايا قانونية وليس لديهم آية فكرة من أين يبدؤون ...

تذكر إردوسين المهمة التي جاء من أجلها، فقاطع حديثه قائلاً :

- أحتاج إلى أن أتحدث إليك ...

أجابه العراف :

- لحظة واحدة فقط ... سأكون معك فوراً ...

ثم استطرد :

إن قوة جماعتنا لن تعول كثيراً على تبرعات أعضائها ... لأن كل خلية سوف تدير أعمالها من أرباح بيوت الدعارة. وعندما أتحدث عن جمعية سرية، لا أقصد النوع التقليدي منها ... لكن أقصد جمعية قوية أكثر حداثة يكون لكل عضو فيها وظيفة مرتجة، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تمكن الأعضاء من فهم الأهداف عن قرب. رغم أن تلك الأهداف سيعرفها القليل فقط. هذا هو الجانب التجاري من الموضوع ... سوف توفر بيوت الدعارة دخلاً كافياً لدعم العدد المتزايد من مشروعات الأعضاء التي ستبناها الجمعية ... وسوف ننشئ معسكراً ثورياً للتدريب في الجبال ... وسوف يخضع الأعضاء الذين يتم استقطابهم حديثاً لبرامج تعليمية في مجالات التكتيك الفوضوي ... والهندسة العسكرية .. والعلاقات الصناعية حتى يمكنهم إنشاء أفرع للجمعية في كل مكان بمجرد مغادرتهم المعسكر .. هل تتابعني؟ سيكون للجمعية السرية أكاديمية خاصة ... سوف تسمى أكاديمية الثوريين ...

دقت ساعة الحائط الخامسة. فأحس إردوسين بأنه لم يعد ثمة وقت يمكن أن يضيعه .. فصاح قائلاً :

أسف لمقاطعتك... لقد جئت لمهمة عاجلة... هل لديك ٦٠٠ بيزو؟ ..

أنزل العراف المؤشر الذي يشير به إلى الخريطة، وضم ذراعيه على صدره، ثم قال :

ماذا حل بك؟

إذا لم أعد مبلغ ٦٠٠ بيزو لشركة السكر غداً، فسوف أفصل ...

شرع الرجلان ينظران إليه. فلا بد أنه في موقف سيئ حيث يبدو لهما وهو يستجدي، فاستمر إردوسين في حديثه قائلاً :

عليك أن تساعدني .. فعلى مر الشهور الماضية .. سرقت ٦٠٠ بيزو .. وقد وشي بي شخص ما بأن أرسل خطاباً مجهولاً ... وإذا لم أعد المبلغ غداً فسوف يقبض علي ...

وكيف سرقت المال؟

على فترات ...

مسح العراف على شعر لحيته برفق ثم قال :

ولكن .. كيف فعلت ذلك؟

اضطر إردوسين إلى شرح التفاصيل. عندما كان أمناء المخازن بالشركة يتسلمون البضائع فإنهم يوقعون كمبيالات تأمر بدفع قيمة ما تسلموه منها. وفي نهاية كل شهر، يتسلم إردوسين ومعه جابيان آخران هذه الكمبيالات ، ويمنحون فترة ثلاثين يوماً لاسترداد المبالغ المالية من المدينين - كان الجبلية يحتفظون بكل الكمبيالات التي لم تتم جبايتها - حسب رؤيتهم - إلى أن يحين الوقت الذي يدفع فيه المدين. ثم

اسطررد إردوسين :

- تصور ... كان المحاسب الذي يعمل لدينا شديد الإهمال إلى درجة أنه لم يراجع ولو لمرة واحدة- الفوائد التي كنا نزعم أنها لم تدفع ... وبالتالي كنا نستطيع أن نوازن ما بين الدفاتر وبين الأموال التي جمعناها ودونت في حساب آخر كان قد تمت تسويته من قبل... هل تسمعاني؟

كان إردوسين يمثل رأس مثلث يتكون من ثلاثة رجال جلوس كان كل من البلطجي المخبول والعراف ينظران إلى بعضهما البعض من حين لآخر. نفض هافنر رماد سيجارته ثم تفحص إردوسين من رأسه حتى أخمص قدميه وهو يرفع أحد حاجبيه. وفي النهاية طرح عليه سؤالاً غريباً :

- هل شعرت بأية متعة جراء السرقة؟

- لا ... بالطبع لا ...

- حسناً إذاً ... كيف وصلت إلى مثل هذا الضلال؟

- أنا لا أربح الكثير ...

- وما الذي تقوله في المال الذي سرقته؟

- لم يحدث قط أن أستخدمته في شراء زوج من الأحذية ...

كانت تلك هي الحقيقة. فالفرحة الأولى شعر بها إثر النجاة بشيء لم يك يملكه ثم ندم كثيراً حتى تتبخر ، إلى أن جاء يوم أكتشف أثناءه في نفسه نوعاً من الآلام يجعل الناس يرون السماء المشمسة وقد اسودت بسخام العذاب.

عندما أدرك إردوسين أنه يدين بأربعمائة بيزو، جعلته الصدمة يشرف على الجنون. ومنذ ذلك الحين، بدأ ينفق المال بكل طريقة غبية وجنونية ممكنة. كان يشتري. قطع الشوكولاته الغالية رغم أنه لم يتشوق لها أبداً ، وكان غداؤه يتكون من السلطعون وشوربة السلاحف وأرجل الضفادع، فيأكل في المطاعم الضخمة التي تتميز بوقوعها في الأماكن المتميزة الغربية المشاهير والأثرياء، وكان يتناول شراب الليكور (١) والخمر التي تبدو للسانه غير المعتاد عليها بلا مذاق. ومع ذلك فلم يقيم أبداً بشراء ما يعد من الضروريات اليومية كالملابس الداخلية والأحذية وربطات العنق وغيرها.

كان يتصدق بالمال على الشحاذين بإسراف، كما كان معتاداً على ترك بقشيش مبالغ فيه لكل نادل يعمل على خدمته في محاولة منه لحو أي أثر يدل على السرقة من جيبه وهو يعلم جيداً أنه سوف يعيد ملء جيبه في اليوم التالي دون مخاطرة.

قال له هافنر :

- إذا ... لم يحدث أبداً أن اشتريت زوجاً من الأحذية؟

- الآن ... بما أنك ذكرت ذلك ... يبدو الأمر غريباً بالنسبة لي أيضاً ... لكن الحقيقة هي أنني لم أتصور أبداً أن أستخدم مالاً مسروقاً لشراء مثل تلك الأنواع...

إذاً... فعلام أنفقت المال؟

(١) الليكور liquor : شراب كحولي باهظ الثمن وقتها . (المترجم) .

- أعطيت ٢٠٠ بيزو لأسرة إسيلاس ... وهي أسرة مفضلة لدي ... حتى يمكنهم شراء بطارية تخزين بهدف إنشاء مصنع للبلاستيك المجلفن وذلك لصناعة الحلبي النحاسية التي...

- نعم... سمعت عن ذلك من قبل...

فقال العراف موضحاً :

- لقد أخبرته عن ذلك من قبل ...

- وماذا عن الأربعمئة بيزو الأخرى ؟

- لا أدري ... لقد أنفقتها على أشياء تافهة ...

- وما الذي تنوي فعله الآن ؟

- ليس لدي أدنى فكرة...

- ألا تعرف أي شخص يمكن أن يساعدك ؟

- لا ... لا أعرف أحداً ... منذ عشرة أيام طلبت المساعدة

من أحد أقارب زوجتي ... واسمه جريجوريو بارسوت ... ولكنه قال انه لا يستطيع مساعدتي...

- إذا فسوف تذهب للسجن ؟

- يبدو كذلك ...

التفت العراف إلى القواد وقال :

انت تعرف أن لدي ١٠٠٠ بيزو ... وأحتاج إلى هذا المبلغ من أجل نجاح مشروعي.. كل ما أستطيع أن أوفره لك هو

مبلغ ٣٠٠ بيزو.. ولكنك قد رميت بنفسك إلى التهلكة، أليس كذلك ؟

هنا، التفت إردوسين نحو هافنر وصرخ في وجهه قائلاً :

إنه اليأس... أتفهم.. إنه اليأس الذي يبتلينا بالشعور بالآلام التي تخني هاماتنا...

فسأله البلطجي :

ماذا تقصد ؟

فأجابه إردوسين :

- إنها الآلام ... تلك هي التي تجعلك تسرق ... وتقع في تهلكة مثل تلك التي وقعت فيها إنك تسير في الشوارع تحت شمس صفراء وكأنها شمس البلية... من المؤكد أنك قد مررت بنفس الشعور ... تملك ٥٠٠٠ بيزو في محفظتك ، ولكنك تشعر بالظلم. ثم فجأة... يأتيك هاتف لتوحي لك بفكرة السرقة... في تلك الليلة تحس بالفرحة العارمة فلا تستطيع أن تنام. وفي اليوم التالي، تبدأ التنفيذ بشغف... ولكي تنجح... لا بد أن تستمر... تماماً كي تحاول أن تقتل نفسك...

عندما قال إردوسين ذلك ، نهض هافنر ، ثم جلس على مقعده ثانية وهو يضم ركبتيه بيديه. حاول العراف أن يقاطع إردوسين ولكنه لم يستطع فصاح إردوسين قائلاً :

- نعم كي تسعى إلى قتل نفسك... لقد تخيلت ذلك كثيراً. لا يمكنك أن تتخيل إلى أي مدى اشتقت لمقابلتك... كنت أقول لنفسي لا بد أنه رجل غريب ! هناك واحد فقط

مثلك من بين ١٠٠٠٠٠٠ يكسبون قوتهم من عرق النساء... لقد سألتني إن كنت أحس بالمتعة جراء السرقة... وماذا عنك أنت... هل تستمتع بكونك قوادًا؟ قل لي... هل تشعر بأية سعادة جراء ذلك؟ .. آه.. و أسفاه! لم آت إلى هنا لأستعرض حياتي. كل ما أحتاج إليه هو المال.. ليس الكلام..

كان إردوسين قد نهض وهو يلوي ثنية قبعته بين أصابعه بعصبية شديدة. وكان ينظر إلى العراف الذي تغطي قبعته ولاية كنساس على الخريطة بنظرات يملؤها التحدي، كما كان ينظر إلى البلطجي الذي كان يضع يديه على حزام بنطاله. أنزل البلطجي رجله مرة أخرى أسفل الكرسي المخملي، ووضع صدغه على أصابعه السمينة، ثم قال ببرود شديد وابتسامة خبيثة :

- اجلس يا صديقي.. سوف أعطيك ٦٠٠ بيزو..

ارتعد إردوسين. ثم نظر إلى البلطجي فترة طويلة. فكرر البلطجي مقولته :

- اجلس يا صديقي... سوف أعطيك ٦٠٠ بيزو... هكذا يكون الرجال...

لم يعرف إردوسين ماسيقول. لقد شعر بنفس " الخواء" الذي شعر به عندما أخبره الرجل ذو الرأس التي تشبه رأس الخنزير البري بأن يرحل، لقد سيطر عليه نفس الشعور بالحزن الآن. إذا.. فالحياة ليست سيئة.. بعد كل ذلك!

قال العراف للبلطجي :

- هيا نساعده بالطريقة التالية : أنا أعطيه ٣٠٠ بيزو...
وأنت تعطيه الباقي..

اعترض هافنر قائلاً :

- كلا.. أنت تحتاج إلى المال.. أما أنا فلا. لدي ثلاث نساء
يعتنين بالأمر..

ثم التفت إلى إردوسين وقال :

- أترى كم يسهل سير الأمور ؟ هل أنت راض الآن ؟

كان البلطجي يتحدث بهدوء غريب وبثقة تامة وكأنه
فلاح يعرف أن خبرته بالطبيعة سوف تمهد دائماً السبيل له
للخروج من أي موقف يتسم بغاية الصعوبة. لقد أدرك
إردوسين الآن فقط معني العبير الفواح للزهور وصوت
تساقط قطرات الصنبور من النافذة المفتوحة قليلاً. خارج
المنزل، تلتف الطرق حوله تحت شمس المساء، وتهبط الطيور
فوق أشجار الرمان التي تلمع بنجماتها القرمزية.

ارتسمت تعبيرات الدهاء على وجه البلطجي، فقد انتظر
ليري الفرحة وهي تطير من عيني إردوسين، فرفع أحد حاجبيه
أعلى من الآخر، ولكن، عندما لم يحدث شي من ذلك أردف
قائلاً :

- هل عشت على هذه الحال لفترة طويلة ؟

- نعم .. لفترة طويلة.

- فقال العراف هل تذكر ؟ ... إنك لم تقل لي أي شيء،

لقد قلت لك من قبل إنك لن تستطيع مواصلة العيش بهذه الطريقة.

- نعم ... ولكني لا أريد أن أتحدث عن ذلك. لا أدري لماذا .. لكنك لا يمكنك أن تطلع الآخرين على أشياء لا تستطيع أن تفسرها لنفسك. وخاصة هؤلاء الذين تثق فيهم كثيراً...

- متى سترد المبلغ ؟

- غداً...

- سأكتب لك شيكاً الآن... ثم تقوم بصرفه في الصباح... ذهب هافنر إلى مكتبه. أخذ دفتر الشيكات... ودون المبلغ... ثم وقع عليه. لا يزال إردوسين واقفاً، ولكن عقله ذهب في جولة سريعة كمن يسبح خلال حلم ، وهي تجربة يبدو بعد ذلك أنها تبرهن على أن الحياة قد ساءها قدر يعلم الغيب. قال البلطجي،

- في خدمتك يا صديقي...

أخذ إردوسين الشيك دون أن ينظر إليه. ثم طواه أربع مرات ووضعه في جيبه. استغرق كل ذلك دقيقة واحدة. ما حدث بعد أكثر غرابة مما يحدث في الروايات. لكن، هذا هو الآن بلحمه ودمه. رجل لم يعرف ما ينبغي عليه أن يقول. منذ دقيقة واحدة كان يدين بستمائة بيزو وسبع سنتات. الآن أصبح لا يدين بشيء . وهذه المعجزة قد حدثت بإشارة واحدة من البلطجي. وحسب منطق الحياة اليومية، يعد ما حدث

مستحيلاً، ومع ذلك يبدو الأمر طبيعياً. إنه يريد أن يقول شيئاً. لقد تذكر الرجل الذي يجلس على المقعد المخملي مرة أخرى. كان المسدس بارزاً تحت السترة الرمادية، بينما كان هافنر يضع صدغه على ثلاثة أظافر لامعة باكتئاب. لقد أراد أن يعبر عن امتنانه للبلطجي، ولكنه لم يجد الكلمات التي قد تسعفه. أما الرجل الآخر فكان يفهم ما يدور، فالتفت إلى العراف الذي جلس فوق مقعد بالقرب من المكتب وقال :

- إذا فالطاعة ستكون إحدى الدعائم الأساسية لجمعيتك..

- والصناعة. إننا نحتاج للذهب للفت انتباه الناس. كما كان يحدث في الماضي .. كان هناك روحانية بين الدين والفروسية، أما الآن فعلينا أن نجعل الصناعة روحانية، ولنبن للناس أن سيطرتهم على الأفران العالية الآن إنما هو بمثابة اكتشاف إحدى القارات في الماضي. إن رجل السياسة لدي ، بل تلميذي في السياسة هو ذلك الذي يهدف إلى غزو السعادة من خلال الصناعة. إن الثورة يجب أن تتمثل بكل بساطة في الحديث عن عملية تصنيع القماش وعن مغنطة الحديد الصلب. لهذا السبب فكرت بشدة في إردوسين عندما تقابلت معه. إن عقله يعمل مثلي تماماً. هل تتذكر كم تحدثنا عن الطريقة التي تتلاقى بها أفكارنا؟ تتمثل تلك الطريقة في صناعة رجل أبي ولطيف وعنيد يستطيع أن يفرض سيطرته على الكثيرين ويجسد لهم المستقبل الذي يبنى على أساس علمي. ما الذي يمكن أن تكون عليه الثورة الاجتماعية غير ذلك ؟ زعيم اليوم يجب أن يكون رجلاً يعرف كل شيء. ولسوف نصنع أمير الحكمة هذا. سوف تعمل جمعيتنا على

ابتداع أسطوره كما تعمل على نشرها. إن شخصاً مثل "فورد" أو "إديسون" لقادر على إحداث ثورة أكثر من أي رجل سياسة. هل تعتقد أن النظم الدكتاتورية في المستقبل ستكون من بين العسكريين؟ لا يا سيدي.. لا يساوي العسكريون شيئاً بالمقارنة مع رجال الصناعة. بل ربما يصبح العسكريون أدوات في أياديهم لا أكثر ولا أقل. إن الدكتاتوريين في المستقبل سيكونون من ملوك النفط والحديد والقمح. وسوف تقوم جمعيتنا بإعداد ذلك. سننشر آراءنا في كل مكان. لهذا السبب، فنحن في احتياج إلى أن ندرس فن الرعاية بعناية. يجب أن يكون لنا تلاميذ من الرجال والنساء. يجب أن نجعل العلم مجالاً جذاباً ليألفه الناس فيمكن...

قاطععه إردوسين قائلاً :

- سأرحل الآن ...

كان على وشك أن يودع هافنر ، لكن البلطجي قال له :

- سأذهب معك...

رد عليه العراف قائلاً :

- في هذه الحالة ... أحتاج إلى الحديث معك...

ذهب العراف معه إلى خارج الغرفة، بينما ظل إردوسين في انتظار. ثم دخل الرجلان الغرفة مرة أخرى، وعندما التفت إردوسين لينظر إلى الخلف عبر الباب ، رأى العراف العملاق وهو يشير بيده ليودعه.

آراء البلطجي السوداوي



بعد أن انعطفوا من ناحية الشارع خارج المنزل، قال
إردوسين :

- لا أدري كيف أعبّر لك عن امتناني لهذا العراف
العظيم الذي أسديتني إليه... لماذا أعطيتني المال بهذه الطريقة ؟
التقت إليه هافنر الذي كان يرفع كتفيه بعصبية شديدة
وهو يسير، ثم رد عليه قائلاً :

- ليس لدي فكرة. لقد أثرت في مشاعري في اللحظة
المناسبة... قد يكون الأمر قد اختلف لو كان ثمة ما يفعل ذلك
كل يوم... لكن على أية حال... تذكر أنني سوف أسترد مالي
خلال هذا الأسبوع..



لم يستطع إردوسين الامتناع عن طرح الأسئلة:
لكن كيف تستمر في عملك كقواد رغم الثروة الطائلة

التي لديك؟

التفت هافنر لينظر إليه وجهاً لوجه وهو يستشيط غضباً
وقال :

- اسمع ... إن القوادة عمل لا يستطيع أن يقوم به أي فرد
... ثم ... لماذا يجب على إن أترك ثلاث نساء يجلبن لي ٢٠٠٠
بيزو شهرياً على الأقل؟ هل يمكن أن تفعل ذلك أنت؟ حسناً
.. بالطبع لا ؟

عقب إردوسين قائلاً :

- لكن ... ألا ترعاهن؟ ألا ترى فيهن واحدة قد تجذبك
إليها أكثر من غيرها؟

بمجرد أن طرح إردوسين هذا السؤال، أدرك أنه سؤال غبي.
حملق القواد فيه لبرهة. ثم رد عليه محاولاً أن يرد كيده إلى نحره
قائلاً :

- استمع لي ... لو جاءني طبيب غداً ليقول لي : إن
فتاتك الباسكية (١) سوف تموت في غضون سبعة أيام ولا فرق
إن أخرجتها من الماخور أم لا، فلن أسمح لتلك الفتاة التي
جلبت لي حوالي ٣٠٠٠٠ بيزو على مدى السنوات الأربع
الماضية إلا بالعمل لمدة ستة أيام ثم تتوقف في اليوم السابع ...
أصبح صوت البلطجي أجش، كما بدت في كلماته مرارة
عنيفة، مرارة من النوع الذي يألفه إردوسين جيداً في صوت

(١) الباسكي Basque : واحد الباسكيين وهو شعب يسكن مناطق " البيرنيه " الغربية
بفرنسا أو أسبانيا (المترجم).

كل المنحطين البكم، وكل قطاع الطرق الذين قابلهم من قبل. ثم استمر القواد في حديثه قائلاً.

- الشفقة! آخر شيء تحتاجه هؤلاء العاهرات هو الشفقة ... إنهن مومسات قساة وحقوقات ... إنهن كذلك فعلاً. لا تندهش ... أعرف ما أحدث عنه ... هن يستجن فقط للضرب " اللذيذ " .. إنك .. كأي تسعة أشخاص من بين عشرة - تظن أن القواد شخص انتهازي وأن المرأة هي الضحية. لكن ... قل لي : لماذا تحتاج الفتاة إلى كل المال الذي تكسبه؟ ما لم يكتبه القصاصون هو أن العاهرة التي لم تجد رجلاً تظل تبحث في يأس عن شخص قد يخدعها، ويضربها مرة تلو الأخرى ثم يستولي على كل أموالها لأنها لا شيء سوى مخلوق أبكم. يقال إن المرأة مثل الرجل. لا إنها نفاية المطابخ ... إن النساء أقل شأنًا من الرجال. أنظر إلى القبائل الهمجية ... ففيها المرأة هي التي تطهو، وهي التي تعمل وتقوم بكل شيء، بينما يذهب الرجال إلى الصيد أو إلى الحرب. نفس الشيء يحدث اليوم. بغض النظر عن تكوين الثروات، لا يقوم الرجال بعمل أي شيء. ولا يرتكبون أية أخطاء، ولكن البغي تزدرى الرجل الذي لا يستولي على مالها. نعم ... بمجرد أن تلين العاهرة لك، فأول شيء تريده منك هو أن تطلب منها المال ... لا يمكنك أن تتصور كم يشعرون بالسعادة إذا جاء يوم تقول لمن فيه : "حبيتي .. أيمكنك أن تعطيني ١٠٠ بيزو؟" هنا ستضمن إفراغ ما في جعبتها فتشعر بغاية السعادة، ففي نهاية الأمر سوف ينفق المال القذر الذي تكسبه لهدف نبيل ... ألا وهو إحساس عشيقها بالغبطة. طبقاً لم يرو

أحد من القاصين مثل هذا. لذلك فإن الناس يعتبروننا وحوشاً، أو يعتبروننا حيوانات كما روي عنا في القصص الخيالية التافهة. لكن إذا أتيت وعشت في عالمنا وفهمته جيداً، فسترى أنه نفس العالم الذي يعيش فيه البورجوازيون والأرستقراطيون .. المرأة المتحفظة تنظر باحتقار للفنانة التي تعمل بناد ليلي ... والفنانة تنظر باحتقار للعاهرة، والعاهرة تنظر باحتقار للمرأة التي تعمل ببيوت الدعارة، والشيء الأكثر إدهاشاً هو أن فتاة الدعارة دائماً ما تختار لها ديوثاً ... بينما تسعى فنانة الملهي الليلي إلى أن تجد لها صديقاً أو طبيباً خليعاً ليعولها. هل تريد أن تتعرف على الحالة النفسية للعاهرة؟ ثمة فتاة تخلق عنها صديق لي جسدت ذلك عندما قالت لي وهي تبكي: "يمكنني أن أمتع الرجل حتى بمؤخرتي" (١) ... لا يعرف العامة من الناس والقصاصين ذلك. لكن يمكن أن تتعرف إلى ذلك من خلال المثل الفرنسي الذي يقول: لا يمكن للخنزير بمفرده أن يرفع نفسه.

نظر إليه إردوسين وقد أخذه الذهول. فاستطرد هافنر قائلاً:

من يرهاها كما يرهاها قوادها؟ من يعتني بها عندما تمرض أو عندما تقبض عليها الشرطة؟ ما الذي يعرفه الناس؟ إذا سمعت في صباح يوم من أيام السبت عاهرة تقول لديوثها: "حبيبي .. لقد خدعت خمسين شخصاً زيادة على الأسبوع

Encore avec mon culje peux soutenir un homme. (1)

الماضي، فسوف تود أن تصبح قوادًا مثله، أليس كذلك؟ لأنها تقول لك : خدعت خمسين زيادة عن الأسبوع الماضي بنفس الطريقة التي تقول بها الزوجة لزوجها وقد طغى عليها الكبرياء والصدق : " حبيبي .. في هذا الشهر استطعت أن أدخر لك ثلاثين بيزو بعدم شراء فستان جديد ولقيامي بغسيل الملابس بنفسني". ثق في كلامي : إن النساء - سواء كن صادقات أم لا - مخلوقات يفضلن التضحية بأنفسهن. تلك هي طبيعتهن التي جبلن عليها. لماذا تظن أن آباء الكنيسة يبغضون المرأة كثيراً؟ لقد عاش العديد منهم على حساب النساء في ترف، ويعرفون كيف يتحدثون معهن. أما العاهرات فإنهن أكثر سوءاً. إنهن كالأطفال، يجب أن تقول لهن كل شيء، مثلاً : " يجب أن تسيري من هنا، لا تمشي عبر هذه الناصية، لا تمنحي عضو المافيا هذا أي وقت لديك، لا تتشاجري مع تلك المرأة ". يجب أن تعلمهن كل شيء.

في نسيم المساء العليل، جعلت كلمات القواد إردوسين يلهث من شدة الصدمة. فقد أدرك أنه يرى حياة تختلف كثيراً عن حياته، فسأله قائلاً :

كيف بدأت هذا العمل ؟

أجابه القواد وفي نبرته يبدو الافتخار :

بدأ ذلك عندما كنت صغيراً. كان عمري ثلاثة وعشرين عاماً وكنت أعمل أستاذاً للرياضيات .. هكذا كنت فعلاً، أستاذاً للرياضيات، كنت أمارس مهنة التدريس. وذات ليلة - عندما كنت في أحد بيوت الدعارة في رينكون - قابلت فتاة

فرنسية شابة وأحببتها كثيراً. كان هذا منذ عشر سنوات مضت. في ذلك الوقت ورثت ٥٠٠٠ بيزو من أحد أقاربي. لقد أحببت "لوسيان"، فطلبت منها أن تأتي لتعيش معي. كان لديها قواد يطلق عليه اسم المرسيلى، كانت تراه مصادفة. لم أعرف إذا ما كنت كلماتي المعسولة أم مذهري هو الذي أوقعها في شرك حبي. وفي ليلة عاصفة جعلتها تتسلل وتهرب من بيت الدعارة. وكما يحدث في التمثيليات، ذهبنا إلى مرتفعات قرطبة (٢)، ثم ذهبنا إلى شاطئ مارديل بلاتا، وعندما أنفقنا المبلغ بالكامل - وهو ٥٠٠٠ بيزو - قلت لها: "حسناً.. تلك نهاية الرواية. لقد انتهى كل شئ". ولكنها أجابني قائلة: "لا يا حبيبي، لن نفرق أبداً".

في تلك الأثناء، كان الرجلان يسيران تحت أقواس من الخضرة، وتحت فروع مشابكة، وطرق دائرية خضراء.

أردف القواد قائلاً:

- وكنت غيوراً. أيمكنك أن تتخيل شعورك عندما تكون غيوراً على امرأة تضاجع أي شخص؟ وكيف يكون شعورك مع أول وجبة غداء تدفع هي ثمنها من مال عشيق عجوز؟ أو أن تأكل بالشوكة المغلوطة بينما ينظر إليك النادل ويراقب ما يجري؟ أو تشعر بالسعادة لحظة الخروج معها ويدك في يدها فتأتي الشرطة للقبض عليكما؟ أو أنك تعرف أن تلك المرأة - التي تضاجع العديد من الرجال - تحبك أنت .. وأنت

^٢ قرطبة مدينة بالأرجننتين سميت باسم قرطبة الأولى باسبانيا (الاندلس). المترجم

فقط ؟ إنه شعور رائع عندما تصاحب عاهرة، فهي التي تشتري لك بيتاً ثم تقول : "سوف تصبح أخت زوجي". وهي التي دائماً ما تبدو فتاة جديدة بحيث تريك المزيد من الخدع. وكلما أصبحت مذهولاً أو أحسست بالعار، كلما شعرت هي بالسعادة وهي تقلل من شأنك وتبث في صدرك الشك، ولنجاحها في ترديك إلى المستوى الذي تدنت إليه ... وفجأة ... عندما تبدأ رحلة الشك. تكون قد غرقت في القذارة حتى عنقك ... وهنا تبدأ اللعبة الحقيقية. عليك أن تستفيد منها طالما هي إلى جوارك، لأنها في يوم ما سوف يسيطر عليها الجنون فتقع في حب رجل آخر، وبنفس الأسلوب الأعمى الذي تبعتك به، سوف تندفع مرة أخرى نحو التضحية. ربما تتساءل : لماذا تحتاج المرأة إلى رجل؟ أقول لك بصراحة : لا يتعامل صاحب ملخور مع امرأة أبداً، وإنما دائماً ما يسعى إلى العمل باتفاق مع القواد. فالقواد هو الذي يوفر لها راحة البال والطمأنينة حتى يمكنها أن تعيش. إن الشرطة لا تمثل مصدر ضيق لها. فلو قبض عليها، فإنه هو الذي يعمل على خلاصها، وإذا أصابها المرض، فهو الذي يذهب بها إلى العيادة لعلاجها. إنه هو المسئول عن إنقاذها من المآزق، كما يقوم بالآف الأعمال التي لا تخطر على البال من أجلها. اسمع ... إن أية امرأة تسعى إلى أن تؤدي عملها بنفسها سينتهي بها الأمر إما إلى الاغتصاب أو السرقة أو حتى الوقوع في براثن أعمال مسيئة. لكن المرأة التي تعمل تحت حماية رجل يمكن أن تعمل بسلام، ولن تقع في متاعب، ولن يسعى أي فرد لابتزازها، بل سوف يحترمها الناس. وحالما تختار الحياة التي ستحيها - أياً

كانت الأسباب - فليس ثمة ما يبرر عدم أنفاقها المال بهدف شراء السعادة التي تتمناها.
استطرد القواد قائلاً :

بالطبع كل هذا جديد بالنسبة لك، ولكنك سوف تعتاد على الفكرة. وإذا لم توافق، فحاول أن تفسر لي كيف لقواد أن يكون له سبع نساء؟ عندما كان "ريبوللو" العرييد في أوج نشاطه، كان لديه إحدى عشرة امرأة يعملن لحسابه. وجوليو الداجو (١) كان لديه ثمان. كما أن الفرنسيين لدى كل منهم ثلاث نساء. ولا تعرف كل واحدة من هؤلاء النساء الأخرى فقط، بل إنهن يعشن مع بعضهن ويتنافسن ليرين من منهن التي تأتي لقوادها بالزبد من المال، لأن كل امرأة منهن تشعر بالفخر إذا ما أولاها القواد حمايته من أي هجوم خارجي. بالإضافة إلى ذلك، فالفقراء يبلغ بهم الجنون إلى درجة لا تعرف فيها إن كنت تشعر عليهم بالشفقة أو أن تضربهم بهراوة لتفصل رؤوسهم عن أجسادهم.

شعر إردوسين بالذهول من الاحتقار الغريب من قبل هذا الرجل للمرأة. فتذكر ما قاله العراف له ذات مرة : "إن البلطجي السوداوي رجل عندما يرى امرأة، فإن أول شيء يفكر فيه هو : (يمكن أن تجلب هذه الفتاة خمسة أو عشرة أو عشرين بيزو ... من الشارع) ولا شيء آخر".

شعر إردوسين بالنفور من الرجل مرة أخرى، ولكي يغير

(١) الداجو Dago : لفظة تستخدم كلقب للتحقير للأشخاص ذوي البشرة الداكنة ومنهم الإسبان والبرغاليون، وهي لفظة عامية مهينة . المترجم.

مسار الحديث، قال له :

حسناً.. لكن، قل لي .. هل تعتقد أن خطة العراف ستنجح ؟

لا ..

هل يعرف ذلك ؟

نعم ..

إذاً فلن تسايره ؟

أنا أسايره فقط لهدف خاص.. كما أنني قد سئمت كل شيء ببساطة شديدة.. ليس للحياة معنى.. إذاً فلم لا تسير في ركب الريح ؟

إذاً.. فلحياة ليس لها معنى بالنسبة لك ؟

لا تعنى شيئاً على الإطلاق.. فنحن نولد.. ثم نعيش.. ولكن ذلك لا يحول دون دوران النجوم أو دون مواصلة النمل لعمله..

وهل تشعر أنت بالملل فعلاً ؟

لقد صممت خطة لحياتي كرجل صناعة. كل يوم.. أذهب للنوم عند منتصف الليل، ثم استيقظ في الساعة التاسعة صباحاً. أؤدي تمارين رياضية لمدة ساعة، ثم آخذ حماماً، فأقرأ الصحف، وأتناول بعد ذلك الغداء.. ثم أذهب للقيولة. وفي الساعة السادسة أتناول الكوكتيل وأذهب إلى الحلاق. في الساعة الثانية أتناول العشاء، ثم أخرج إلى المقهى. وبعد

سنتين من الآن - عندما أدخر ٢٠٠ ألف بيزو - سوف أترك اللعبة وأعيش بقية حياتي من دخلي الشخصي.

وما هو دورك في الجمعية السرية التي سيشكلها العراف ؟
لو وجد المال اللازم، فسأساعده في إيجاد الفتيات وإنشاء المخبور.

لكن.. ما رأيك في العراف وطريقته ؟
أعتقد أنه مخبول، يمكن أن ينجح أولاً.
لكن أفكاره...

بعضها ملتبس، ولكن البعض الآخر واضح.. ولكن بصراحة تامة.. لا أعرف ما يهدف إليه فعلاً. أحياناً ما تحس بأنك تستمع إلى رجل رجعي، وأحياناً أخرى إلى رجل شيوعي. ولأقول لك الحقيقة.. لا أظن أنه يعرف حتى ما يريد.
ولو نجح بالفعل ؟..

في هذه الحالة.. لا يعلم ما يحدث سوى الله. على أية حال..
ألست أنت الذي طرح فكرة استخدام عصيات الكوليرا الآسيوية ؟

بلا.. فسيكون ذلك سلاحاً رائعاً ضد أي جيش. تصور مدى نشر دفعة واحدة منها في كل ثكنة عسكرية.. إن ثلاثين أو أربعين رجلاً كفيلين بتدمير جيش وتمهيد الطريق للطبقات البروليتارية للقيام بالثورة..

إن العراف يفكر فيك بجدية كبيرة... فدائماً ما كان يتحدث

عنك ويقول إن أمامك مستقبلاً كبيراً..

ابتسم إردوسين ابتسامة كبيرة وتبدو على أساريره علامات السرور قائلاً :

نعم.. لابد أن نفكر بطريقة أو بأخرى لتدمير هذا المجتمع. لكن عوده إلى ما كنا بصده.. إن لم أستطع فهمه هو موقعك أنت بيننا..

التفت هافتر بسرعة نحو إردوسين، ونظر إليه لأعلى ثم لأسفل في دهشة كبيرة مما قال، ثم قال بابتسامة ساخرة :

لست في أي موقع.. كما تسميه. لابد أن تفهم أن مساعدة العراف لا تعني لي شيئاً. وأكثر من ذلك، أعتبر أفكاره مجرد هواء ساخن. إنه ببساطة يعد صديقاً ينوي القيام بمشروع يقبله القانون. هذا كل ما في الأمر. وسيان لدى ما إذا كان يدخر أمواله في إنشاء جمعية سرية أو حتى في بناء أحد الأديرة- وكما ترى، فإن أي دور أقوم به بين جموع المشاهير لن يكون مهماً بالنسبة لي.

لكن.. هل يبدو الأمر منطقياً بالنسبة لك أن تؤسس جمعية ثورية على استغلال النساء وحثهن على الرذيلة ؟

لوى البلطجي شفثيه ثم رد على إردوسين وكأنه يطلق على النار من كل جانب :

إن ما تقوله مجرد هراء. إن مجتمع اليوم قائم أساساً على استغلال الرجال والنساء والأطفال. وإذا أردت أن تعرف ما هو استغلال الرأسماليين فاذهب وألق نظرة على مصانع

الصلب في أفيلانيدا، وعلى شركات تصنيع وتغليف اللحوم،
وعلى مصانع الزجاج، أو حتى على مصانع الكبريت
والدخان...

كان البلطجي يضحك بسخرية وهو يقول ذلك، ثم أردف

:

بيننا نحن - الذين نسخر الفتيات في العمل - اثنان أو
ثلاثة من هؤلاء الرأسماليين. لكن رجال الصناعة يسيطرون
على جمهور كبير من البشر. ما هو أفضل اسم يطلق عليهم؟
ومن هو الأكثر قسوة، مالك ماخور أم حامل ستندات وشريك
في شركة كبرى؟ حتى لا نبتعد كثيرًا.. ألا يتوقعون منك أن
تكون مخلصًا لهم مقابل أجر ١٠٠ بيزو بينما تحمل في حقيبتك
حوالي عشرة آلاف بيزو قمت بجبايتها؟

أنت على حق.. ولكن.. لم إذا أعطيتني المال؟

هذا شيء آخر.

لكنني أريد أن أعرف..

أراك قريبًا..

وقبل أن يهجم إردوسين بالرد عليه كان هافنر قد دلف في
طريق كثيف الأشجار، وكان يسير بسرعة. فوقف إردوسين
ليحملك فيه لبرهة، ثم هرول نحوه حيث لحق به عند منعطف
الطريق، فالتفت هافنر نحوه وهو يستشيط غضبًا، فصرخ فيه
قائلًا :

هل تمنع أن تقول لي ماذا تريد مني بالضبط؟

ماذا أريد؟!... أريد أن أقول لك الآتي : ليس لدي أدنى نية
في أن أوجه الشكر لك من أجل المال الذي أعطيته لي. أتود
أن تسترد الشيك ؟ ها هو ذا...

أمسك إردوسين بالشيك وهو يتحدث، لكن البلطجي
كان يسخر منه قائلاً :

لا تكُ سخيفاً... اذهب واصرف الشيك لتسد به دينك ...
تزلزلت أرصفة الطريق أمام عيني إردوسين. كما تبدت
معاناته إلى درجة جعلته شاحب اللون، فاستند على أحد
الأعمدة، وشعر وكأنه مصاب بالغثيان. فتوقف هافنر على
بعد بضع ياردات، ثم سألته بأسلوب ساخر :

هل زال عنك الدوار ؟

نعم.. نوعاً ما..

أنت لست على ما يرام.. لا بد أن تذهب للطبيب...

سارا سويّاً لبضع ياردات في صمت. كانت الأضواء تسطع
بشدة في عيني إردوسين. لذا فقد عبرا ناحية الجانب الآخر من
الشارع حيث الظل. وفي النهاية وصلا إلى محطة القطار.
هرول هافنر ثم دلف نحو الرصيف، وفجأة، التفّت إلى
إردوسين ثم قال :

هل شعرت من قبل بحافز للتصرف بأسلوب قاس نحو أي
فرد ؟

نعم.. أحياناً...

شئ غريب... لقد تذكرت تَوًّا مرة قررت فيها أن أحول فتاة عمياء إلى عاهرة..

ألا تزال تعمل كعاهرة ؟

نعم.. وهي ابنة صانع المخاصر (١).. وعمرها سبعة عشر سنة فقط. لست أدري لماذا.. لكنها تثير العاطفة والخيال لدي..

ألا تزال تعمل معك ؟

أجل، وهي الآن حامل. أستطيع أن تتصور ذلك ؟ عمياء وحامل. سوف آخذك ل تراها بنفسك يومًا قريبًا. يمكنك أن تقابلها. إنها شئ ممتع، أستطيع أن تتصور.. عمياء وحامل ؟ كما أنها مجنونة فعلا فدائمًا ما تدخل الإبر في يدها.. أضف إلى ذلك أنها جشعة تمامًا كالخنزير. سوف تندهش. وتعتقد...

نعم. عندما يقيم العراف بيت الدعارة الخاص به، فسوف تكون هي أول من أرسلها إليه. وسوف تحتفظ بهذا سرًا : فسوف تكون السلعة المدهشة التي سنعرفها. إنه أكثر غرابة منها.. أتدري ذلك ؟

هه..

من الصعب لأي فرد أن يفهمك، فبينما نتحدث عن فتاة عمياء، كنت أفكر في القصة كان العراف قد رواها لي عنك،

(١) المختصر : مثد قوي للخصر والردفين . المترجم.

وهي أنك ذات مرة تقابلت مع امرأة وفية، وبالصدفة انتهى بها الأمر إلى منزلك، ولكنك تكن لها الاحترام. والأكثر من ذلك.. لا.. لا.. دعني أقول لك.. هذه المرأة تحبك، كما أنها عذراء.. إذ أنك لم تلمسها..

تعقيماً على كلامك - إنه مجرد نوع من التحكم بالذات، هذا هو كل ما في الأمر.

ما هي قصة العقد؟

كان يعرف إردوسين - من خلال العراف - أن البلطجي طلب من راقصة ذات مرة أمارة على حبها له، وكان ذلك وسط مجموعة من النساء، فخلعت عقداً ثميناً كان قد أهدها لها حبیبها، أخذ هافنر العقد ووزنه بين يديه وسط ذهول الجميع، ثم فحص أحجاره.

في نهاية الحديث، ابتسم هافنر ابتسامة ساخرة ثم قال :

حسناً.. هذا يكفي. كنت مخموراً نوعاً ما. ولكني لم أك مخموراً لدرجة أنني لم أدرك أن ما كنت أفعله يمكن أن يضيف علي نوعاً من الأبهة وسط هؤلاء الحثالة الموجودين بالملهي، وخاصة النساء اللاتي يغمرهن الخيال العاطفي. لكن أغرب شيء هو أن بعد نصف ساعة مما حدث توجه نحو الرجل العجوز الذي كان قد أعطى العقد " لريني " لكي يشكرني لعدم قبولي إياه وكأنه كسير. أيمكنك أن تتخيل؟! لقد كان يشاهد كل شيء وهو جالس إلى مائدة قريبة حيث كان يجلس غارقاً في حذائه. لكنه لم يفعل شيئاً لأن يخشى من الفضيحة. ما كان يقلقه هو ما يمكن أن يحدث للعقد. على أية حال لقد

وصل القطار المتجه إلى لابلاتا. أراك قريباً.. آه.. نعم.. لا تنسى
ألا يفوتك الاجتماع في منزل العراف الأربعة القادم. سوف
تقابل أناساً أكثر أهمية مني.

عبر إردوسين نحو الرصيف الآخر حيث القطار المتجه إلى بيونس
أيريس وهو يفكر تفكيراً عميقاً. لا شك أن هافنر إنسان متوحش.

الند

وصل إردوسين إلى بيته في الساعة الثامنة ذاك المساء. قال لي :

كانت حجرة الطعام مضيئة... لكن اسمح لي أن أشرح لك. كنت أنا وزوجتي نعاني من ضيق شديد إلى درجة أننا كنا نطلق على حجرة الطعام الحجرة الخالية من الأثاث. أما الحجرة الثانية فكانت حجرة النوم. قد تسألني لماذا نستأجر منزلاً رغم أننا فقراء؟ إن هذا ما أصرت زوجتي عليه. كانت تتذكر أجهل أيامنا فلا يمكنها أن تعيش بدون " تأسيس منزل " لنا.



أضاف إردوسين :

- كانت قطعة الأثاث الوحيدة في حجرة الطعام عبارة عن

مائدة من خشب الصنوبر. وعبر أحد أركان الحجرة كان هناك حبل من السلك تستخدمه لتعليق ملابسنا عليه بالإضافة إلى شماعة رأسية بها عشرة مشابك تعطي انطباعاً بأننا نعيش حياة بدوية لا بد أن تنتهي بالرحيل يوماً ما. بعد ذلك. أفكر دائماً في "الإحساس بالرحيل" الذي يوحى به منظر الشماعة الرأسية الرخيصة في ركن الحجرة لعقل إنسان بائس يعلم أنه يقف على أبواب السجن.

أضاف أيضاً :

- كما كنت أقول، كان نور الحجرة مضاءً. ومجرد أن فتحت الباب، تجمدت في مكاني. لقد كانت زوجتي في انتظاري مرتدية ملابسها لتخرج. كانت جالسة إلى المائدة، وكانت ترتدي قبعة من الثل الأسود يتدلى فوق خديها الورديين. كانت هناك حقيبة ملابس بجوار قدميها، وعلى الجانب البعيد من المائدة، هناك رجل وقف عند دخولي الحجرة، أو بالأحرى وقفت عند المدخل وأنا أشعر أنني أصبت بالشلل من هول الصدمة.

ثم أردف :

- لم يحرك أحد منا ساكناً لمدة ثانية ... كان "الكابتن" يقف هناك وهو يضع إحدى يديه على المائدة والأخرى على مقبض سيفه. كانت عينا زوجتي تنظران لأسفل. أما أنا فكنت أنظر تارة إليه وتارة إلى زوجتي وأنا لا أزال أمسك بجافة الباب. كانت تلك الثانية كافية لتلا أنسى هذا الرجل. كان طويل القامة، يتجسد جسمه الرياضي القوي أسفل زيه. بمجرد أن

رفع عينيه عن زوجتي، بدت فيها علامات الحزم والفضول. لا أبالغ عندما أقول إنه كان ينظر إلي بوقاحة وكأنني أقل منه شأنًا. نظرت إليه بدوري. كانت بنيتة القوية تتعارض مع وجهه البيضراوي، وأنفه الرقيقة، وشفتيه النحيفتين الواهنتين. وعلى صدره كان يضع علامة طيار بالقوات المسلحة. كان أول ما تفوهت به : ما الذي يجري هنا؟ فقالت زوجتي : " هذا السيد .. " لكن إلسا عادت لتصيح قولها فأردفت وهي تناديني باسمي الأول " ريمو ... ريمو ... لا أستطيع أن أعيش معك بعد الآن".

- زوجتك.. التي قابلتها منذ فترة...

- وأين قابلتها بالضبط؟

فاستفسرت إلسا باستنكار :

- أي سؤال هذا؟

فقال الكابتن محتجًا على سؤال إردوسين :

- هذا صحيح. كما تعلم هناك أمور لا ينبغي السؤال عنها.

احمر وجه إردوسين خجلًا ، فقال :

- ربما تكون على حق .. آسف ..

فاستطرد الكابتن قائلاً :

- ربما أنك لا تكسب المال الكافي لتحافظ عليها ...

هناك ضغط إردوسين على مقبض مسدسه داخل جيب

بنطلونه وشرع يحملق في وجه الكابتن. ثم بدأت الفكرة التي تسيطر عليه بأنه لا يجب أن يخشى شيئاً تجعله يبتسم ابتسامة حذرة: إنه يستطيع أن يقتله بكل بساطة إن أراد ذلك. استمر الكابتن في حديثه :

- لا أري شيئاً في حديثي يثير السخرية ...

- لا ... لقد تذكرت شيئاً سخيلاً فقط ... إذن أخبرتك بذلك أيضاً؟

- قال الكابتن نعم ... كما أبلغتني أيضاً بأنك عبقرى أصابه الإحباط ...

قالت إلسا :

- لقد تحدثنا عن مخترعاتك...

فعقب الكابتن قائلاً :

- نعم ... مشروعي لصناعة الزهور المعدنية ...

فتساءل إردوسين :

- لماذا إذاً ترحلين؟

فأجابته إلسا :

- لقد تعبت يا ريمو ...

شعر إردوسين بالغضب الجامح يغص حلقه، وتملاً اللعنات فاه. كان يمكن أن يوجه لها الإهانات لكنه يعلم أن الكابتن يمكن أيضاً أن يهزمه، وهذا ما جعله لا يحرك ساكناً.

لكنه قال ببساطة :

- لقد كنا دائماً متعبين... لقد تعبت من منزل والديك...
وهنا ... وحتى في الجبال ... هل تذكرين؟

كانت إلسا تومى برأسها دون أن تنبس بكلمة واحدة.
فاستطرد إردوسين :

- متعبة ... ما الذي حدث لكي يسبب لك المتاعب؟ إن
كل النساء يشعرن بالتعب ... لا أدري لماذا ... لكنهن يشعرن
بالتعب ... وماذا عنك أنت أيها الكابتن .. ألا تشعر بالتعب
أنت أيضاً؟

نظر إليه المتطفل لأعلى ثم لأسفل وأجابه قائلاً :

- ماذا تعني بالضبط بكلمة " تعب "؟

- أقصد الملل ... الألم ... ألم تلا حظ أننا نعيش في عصر
الحزن الذي يتحدث عنه الإنجيل؟ هكذا قال لي أحد أصدقائي
الذي تزوج من امرأة معاقة ... ويقصد بالمعاقاة الزانية التي
ذكرها الإنجيل ...

علق الكابتن قائلاً :

- لم أفكر في هذا قط ...

قال إردوسين :

- لقد فكرت أنا في ذلك ... ربما ترى من الغرابة أن
أتحدث عن المعاناة في مثل تلك الظروف ... لكن هذا هو ما
يحدث ... إن الرجال يشعرون بالأسى إلى درجة أنهم يشعرون

- أيضاً بالحاجة إلى من يعمل علي إذلالهم ...
- لا أستطيع أن أفهم أو أن أرى ذلك ...
- بالطبع، لما ترجحه من أموال. بالمناسبة ... ما هو دخلك؟
خمسائة؟
- شيء كهذا ...
- بالطبع ... لكسبك مثل هذا المبلغ الكبير من المنطقي
أن ...
- ما هو المنطقي؟
- من المنطقي ألا تشعر بأي مأزق ..
- قاطعتهما إلسا قائلة :
- لا تستمع إليه أيها الألماني ... إن ريمو دائماً ما يتحدث
عن الآلام بمثل هذه الطريقة ...
- قال الكابتن :
- هل الأمر كذلك؟
- فعلق إردوسين قائلاً :
- نعم ... فبينما لا تؤمن هي بكونها سعيدة ... إنها
"السعادة الأبدية" التي كان يمكن أن تشعر بها لو أنها
استطاعت أن تقضي وقتها بأسلوب ممتع ...
- فقالت إلسا :
- أكره تعاسي ...

فقال إردوسين :

- بالطبع ... لأنك لا تؤمنين بالتعاسة ... تلك التعاسة
القاتلة التي تسكن بداخلنا، في أعماقنا ... إنها تعاسة الروح
التي تلتهم عظامنا مثل الزهري ...

صمت الجميع لفترة، وقد اعتراهم الملل جميعاً، وكان
الكابتن يفحص أظافره المصقولة بعناية. أما إلسا، فكانت
تنظر من خلال النقاب إلى وجه كالح لزوج كانت في يوم من
الأيام تحبه من أعماقها، بينما كان إردوسين يحاول أن يفسر
سبب وجود ذلك الخواء الهائل الذي يكمن بداخله، إنه خواء
قد توطن عقله الواعي تاركاً إياه عاجزاً عن أن يجد الكلمات
التي تصدر منه كالعواء لتعبر عن معاناته الأبدية التي يشعر
بها. وفجأة، نظر الكابتن لأعلى، ثم قال :

- كيف تنوي صناعة زهورك المعدنية؟

- أمر سهل ... تأخذ وردة مثلاً ثم تغمرها في محلول
نترات الفضة المذاب في الكحول. ثم تعرض الوردة للضوء
الذي يحول النترات إلى معدن وبذلك تغطي الوردة بطبقة
رقيقة من الفضة والتي بدورها تعمل كموصل للحرارة
والكهرباء. ثم تطبق عليها طريقة الجلفانو بلاستيك
والكلبيشيه النحاسي ... وبذلك تحصل على الوردة المعدنية،
لأنها ستصبح وردة خماسية. يمكن القيام بهذه العملية بطرق
عديدة.

- إنها فكرة رائعة.

- ألم أقل لك أيها الألماني إن ريمو موهوب؟

- أرى ذلك ...

- نعم ربما أكون موهوباً، لكن ما ينقضي هو الحياة ...
والحماس ... والأمل القوي ... بالإضافة إلى وهم كبير يحفزني
على أن أحقق هذا الأمل ... على أية حال، لكي تغير
الموضوع، هل يأمل كل منكما في أن يكون سعيداً؟

- نعم ...

الترم الجميع الصمت مرة أخرى. وبدت وجوههم الثلاثة
كأقنعة من الشمع تحت ضوء المصباح الأصفر. وأدرك
إردوسين أنه في بضع دقائق قليلة يمكن أن ينتهي كل شيء.
فسأل إردوسين الكابتن وهو يحاول أن يخفي يأسه :

- لماذا جئت إلى هنا؟

تردد الرجل برهة ثم أجاب :

- أردت أن أقابلك.

- هل تعتقد أن هذا الأمر سيكون مرغوباً فيه؟

- لا ... أقسم لك لم أفكر في هذا.

- وماذا بعد؟

- كنت مهتماً بالأمر. لقد روت زوجتك لي الكثير عنك
على مدى الأسابيع القليلة الماضية. بالإضافة إلى ذلك، لم
أتوقع قط أن أكون في مثل هذا الموقف ... إذا فكرت في هذا
... فعلاً ليس لدي فكرة لماذا جئت إلى هنا ... في جيبي ...

نظرت إلسا إلى إردوسين حيث كان يقف في مقدمة المائدة
... فسأله الكابتن :

- وما الذي منعك؟

- الحقيقة هي ... لا أدري .. أو ربما ... نعم، أنا واثق أن
هذا هو السبب ... إن كلاً منا لديه نوع من القدر داخل قلبه
... كما لو أننا نستطيع أن نرد الأمور إلى الغيبات بفضل
إحساسنا بالغموض ... إنني أشعر بأن كل شيء يحدث الآن
إنما هو محفور في هذا القدر.. كما لو أنني رأيته من قبل ...
لكن لا أعرف أين ...

- وما هو ذلك؟

- ما الذي تقول؟

- إنه ... كما يبدو لو أنك لست أنت الذي سبب لي
ذلك ... لا... إنني أحس بشعور غريب وكأن الأمر سيحدث ...
- لا أستطيع أن أفهمك ...

- لكنني أفهم نفسي ... إن الأمر هكذا. فجأة ... شعرتما بأن
ثمة أشياء معينة قدر لها أن تحدث في حياتكما ... بحيث يمكن أن
تتغير، ثم تجدد نفسها ...

- وأنت ...؟

- إذا ... فأنت تعتقد أن الحياة سوف ...

قاطع إردوسين الكابتن متجاهلاً سؤاله :

- ما أعنيه هو، لا شيء من كل ذلك يدهشني. فلو أخبرني

بأن أذهب وأشتري لك علبة سجائر... بالمناسبة، هل معك علبة سجائر؟

- تفضل ... وماذا بعد ذلك؟

- لا أدري. لقد أصبحت حياتي فوضى في الفترة الخيرة ...
لقد شعرت بالعجز جراء الإحساس بهذا الألم. وتستطيع أن ترى كيف أتحدث معك بهدوء.

- نعم، كان ريمو يشعر دائماً بأن شيئاً غريباً قد يحدث.

- وأنت كذلك.

- ماذا ... وأنت أيضاً يا إلسا؟

- نعم.

- لكنه مخطئ ... أليس كذلك يا إلسا؟

- هل تعتقد ذلك؟

- قل لي الحقيقة ... أنت أيضاً تشترقين إلى أن يحدث شيء غريب لينتشلك من كل هذا ... أليس كذلك؟

- لا أعرف ...

- أترى، يا كابتن؟ هذا ما كانت عليه حياتنا دائماً. كلانا نجلس إلى هذه المائدة لا نحرك ساكناً... هنا ...

- اهداً ...

- لماذا اهداً؟ كنا نجلس هنا، وكنا نفهم دون أن ننطق بكلمة وكأن كلينا لا يتمتع بالأمل، وكأن كلينا مرتبط بالآخر

بحب غير متكافئ . وعندما تذهب للنوم ...

- ريمو!

- يا سيد إردوسين!

- لا تتظاهر بالاحتشام .. ألم تضاجعا بعضكما البعض؟

- لو تحدثت بتلك الطريقة ... إذاً فليس هناك شيء يقال أكثر من ذلك.

- حسناً، إذاً فبعد كل ذلك يعتورنا نحن الاثنين نفس الشعور: هل كل شيء هو مجرد متع الحياة والحب؟ مرة أخرى ... دون قول كلمة واحدة ...

إننا ندرك أن كلينا لديه نفس الشعور ... ولكن، لكي تغير الموضوع ... هل تفكر في الإقامة هنا ... في المدينة؟

- سوف نذهب إلى أسبانيا ... لفترة.

زلزلت كلماته الرؤيا المتحجرة في ذهن إردوسين عن الرحيل. إنه يرى الآن إلسا وهي تستند على الدرايزين أسفل صف من الكوى اللامعة وتحلق في الأفق الأزرق.

كانت الشمس تومض بأشعتها المتساقطة على الصواري الصفراء الأمامية للسفينة، وعلى أذرع الرافعة السوداء. كان الوقت قبيل الغروب، لكنهما كانا يقفان بجوار الدرايزين الأبيض من سطح السفينة على الجانب الذي يشمل الكابتن، وعقلهما مشتت. تكرر الرياح الحملة باليود أمواج البحر عندما كانت إلسا تنظر لأسفل تجاه صورتها التي كانت

تنعكس على صفحات الماء.

من حين لآخر تلتفت بوجهها الشاحب نحو رفيقها، ويبدو أن كلاً منهما يسمع صوت اللوم يتصاعد من أعماق المحيط. حتى إردوسين كان يتصور ذلك الصوت وهو يقول : "ماذا فعلت بالصبي المسكين؟" (لأنني حتى وأنا في هذه السن كنت كصبي صغير - أخبرني ريمو بهذا فيما بعد(١) - "هل تفهم؟ رجل يترك زوجته تختطف من بين يديه .. لا بد أنه يستحق الشفقة .. إنه كالصبي الصغير، هل تفهم").

أفاق إردوسين من هلاوسه. فخرج من بين شفتيه سؤال ينبع من أعماقه رغم إرادته فقال :

- هل تكتب؟

- ماذا أكتب؟

- نعم ... بالطبع ماذا تكتب؟

كرر إردوسين نفس السؤال وهو مغمض العينين. إنه يشعر الآن - أكثر من ذي قبل - بأنه يستقر في أعماق الندم بصورة لا يمكن أن يتخيلها.

قال الكابتن وهو يهم واقفاً :

- حسناً سيد إردوسين ... سنرحل الآن.

- آه ... فسوف ترحلان ... سوف ترحلان الآن؟

(١) هذا ما يرويهِ المعلق بعد انتهاء أحداث القصة عندما قابل إردوسين فقص عليه إردوسين ذلك. المترجم.

رفعت إلسا يدها التي يكسوها قفاز، فقال إردوسين مكرراً.

- سوف ترحلان؟

- نعم ... سأذهب ... لا بد أن تفهم ذلك ...

- نعم ... أفهم ...

- أصبح الأمر مستحيلاً يا ريمو ...

- نعم بالطبع مستحيل ... بالطبع ...

دار الكابتين حول المائدة ثم أمسك بحقيبة ملابس إلسا ..
إنه نفس الشخص الذي أحضرته يوم زفافها.

- إلى اللقاء يا سيد إردوسين.

- تحت أمرك يا كابتن .. لكن، ثمة شيء واحد ... أنت

سترحلين ... أنت يا إلسا ... ستتركيني؟

- نعم سنرحل سوياً.

- إذا لم تمانعا ... يجب أن أجلس. أعطني لحظة واحدة يا

كابتن ... لحظة واحدة.

أظهر المتطفل جزعه بوضوح شديد. فقد شعر بخافز قوي
بداخله يحثه على أن يصيح في وجه هذا الزوج قائلاً: " انتبه
أيها الأبله! " لكنه تراجع من أجل إلسا.

فجأة نهض إردوسين من مقعده. ثم سار وهو يتهاوى نحو
أحد أركان الحجرة. ثم التفت إلى الخلف ليواجه الكابتين وقال
له بوضوح وبصوت لم يخف رغبته في الصراخ:

- أليديك أية فكرة لماذا لا أطلق عليك النار وأقتلك كالكلب؟

نظر كلاهما للأخر بانزعاج. فواصل إردوسين حديثه :

- لأنني أريد أن أفعل ذلك بدم بارد.

شرع إردوسين يقطع الغرفة جيئةً وذهاباً وهو يضع ذراعيه خلف ظهره، وهما يراقبانه عن كثب وينظران ما سيفعله. في النهاية استمر الزوج في حديثه بنفس الصوت الهادئ كما كان من قبل وبابتسامة توشي بأنه لا يكثرث بالأمر، وهو يجرجر رجله كأنما يجبر نفسه على ألا ينفجر في البكاء، فقال :

- نعم كنت بارداً لأقصى درجة .. إني فعلاً بارد لأقصى درجة ..

نظر حوله رغم أنه لا يستطيع أن يرى شيئاً. ثم قال وعلى شفثيه نفس الابتسامة الغريبة التي تملؤها الريبة :

- استمعي لي ... ربما لا تفهمين أياً من ذلك .. لكنني توصلت إلى تفسير ما يحدث ..

لمعت عيناه بشراسة وأصبح صوته أجش بسبب محاولاته المرهقة لإخراجه فقال :

- أنت تعرفين .. لقد ظلّمت كثيراً في حياتي ... كما خسرت كثيراً.

ثم لزم الصمت وهو متوقع في أحد أركان الحجرة، ولا تزال الابتسامة الغريبة ترسم على وجهه، وهي ابتسامة رجل

يعيش حلاًماً محفوفاً بالمخاطر. أما إلسا فكانت تمضغ طرف منديلها، وكان الكابتن يقف بجوارها كالخارس.

فجأة، أخرج إردوسين مسدسه من جيبه ثم دفع به نحو الركن البعيد من الحجرة. نشر المسدس "البراونينج" شظايا صغيرة من طبقات الدهان جراء اصطدامه بالحائط ثم وقع على الأرض محطماً. فقال إردوسين مخاطباً مسدسه :

- لست سوى نفاية عديمة الفائدة ...

ثم استمر في حديثه على مهل واضعاً إحدى يديه في جيب سترته وهو يضغط بجبهته على الحائط قائلاً :

- نعم ... لقد ذقت الكثير من الظلم ... والذل. صدقني أيها الكابتن. لا تتعجل الرحيل هكذا. سأروي لك الحكاية. لقد كان أبي يمعن في إذلالي. عندما كنت في سن العاشرة وكنت أرتكب خطأ ما، كان يقول لي : "غداً سوف أجلدك". هذا ما كان دائماً يقوله لي : "غداً". ما رأيك في هذا ؟ غداً .. في واحدة من تلك الليالي التي هدني فيها بكلمة "غداً" غلبني النوم وأنا أرتعد كخنزير محموم. ثم استيقظت في منتصف الليل وأنا أحملق في النافذة والرعب يملأ قلبي لأرى إن كان "غدا" قد جاء، لكن عندما رأيت القمر يرسل ضوءه من خلال النافذة فوق الباب، كنت أدفع عيني دفعاً لأغلقها، ثم أقول في نفسي : "لا يزال هناك وقت طويل". وعندما يبدأ صياح الديك كنت أستيقظ مرة أخرى. لقد اختفى القمر، لكن زجاج النوافذ ينشر ضوءاً مائلاً للزرقة فأقوم بجذب الغطاء مرة أخرى لأغطي به رأسي حتى لا أرى ذلك الضوء

رغم أنني أعلم أنه موجود فعلاً ... ورغم أنني أعرف أنه لا توجد قوة على وجه الأرض ستوقف ظهور هذا الضوء .. ثم ... بعد أن أتمكن أخيراً من أن استغرق في النوم أشعر بيد تهزني من فوق الغطاء .. إنه أبي يقول لي مدمماً: "هيا ... حان الوقت". وبينما كنت أرتدي ملابسني ببطء شديد كنت أسمعه وهو يضع الكرسي في حديقة المنزل. وقبل أن أذهب إلى هناك، يكون قد وقف خلف الكرسي تبدو على وجهه أمارات الحزم وكأنه جندي فيصرخ في وجهي قائلاً: "تحرك"، فأتجه نحوه وكأنني جثة هامدة. كنت أود أن أقول شيئاً لكن نظراته المتوحشة كانت تجعل الأمر مستحيلاً.

أجبرني أبي على الركوع حتى أصبح صدري مستويًا على الكرسي ورأسي محتجزة بين ركبتيه. ثم شرع في جلدي بالسوط بأسلوب وحشي. وبمجرد أن تركني، هرولت مسرعاً نحو حجرتي وأنا أجهد بال بكاء. لقد قذف بي إحساسي المروع بالعار إلى أعماق الظلمة ... تلك الظلمة موجودة بالفعل ... آمنت بها أو لم تؤمن ...

كانت إلسا تحملق في وجه زوجها في دهشة بالغة. بنما وقف الكابتن متحفظاً وواضعاً يديه على صدره. لكن إردوسين كان يبتسم ابتسامة تملؤها المرارة، ثم أردف:

- كنت أعرف أن الأطفال في سن المدرسة لا يعاقبون على أيدي آبائهم .. فكلما كانوا يتحدثون عن أسرهم وبيوتهم كان القلق يسبب لي الشلل إلى درجة أنني كنت أجلس في الفصل فيسألني المدرس سؤالاً فأنظر إليه كالغبي دون أدنى

فكرة لدي عما قاله إلى درجة أنه في يوم من الأيام صاح في قائلاً : "ماذا دهاك يا إردوسين ؟ هل أنت عبيط أم ماذا ؟" فانفجر التلاميذ في الضحك. ومنذ ذلك اليوم كان الجميع يطلقون علي "إردوسين العبيط". إذا ... لقد عانيت الظلم .. والسحق. لكنني كنت ألزم الصمت خشية أن يؤدي تمردي بأبي إلى أن يعاقبني .. فكنت بكل بساطة أبتسم لكل من يوجه لي الإهانة ... لقد كانت ابتسامة باهتة واهية .. هل يمكن أن تتخيل يا كابتن ؟ يتم إهانتك .. فترد على الإهانة بابتسامة واهية وكأن من يهينك إنما يسدي إليك معروفًا ...

قطب المتطفل حاجبيه، واستمر إردوسين في حديثه :

بعد كل ذلك، إذا أذنت لي أيها الكابتن ... بعد كل ذلك .. كان يطلق علي اسم "العبيط". عندما كان يحدث ذلك كنت أشعر بداخلي أن روحي تذبل ... كما كان إحساسي بروحي وهي تنسل مني لتختفي خلف لحمي ، ودمي يقضي على كل ما يتبقى لي من شجاعة. كنت أشعر وكأنني أغوص في أعماق بعيدة، لكنني عندما أبحث في عيني من يقوم بإهانتني - بدلاً من أن أطرحه أرضاً بضربة واحدة - كنت أقول لنفسي : "هل يدرك ذلك الشخص كم يعن في إذلالني؟ عندئذٍ .. كنت أزحف لأبتعد .. لأنني كنت أدرك أن هؤلاء الناس إنما يكملون ما قد بدأه أبي.

تدخل الكابتن قائلاً :

والآن ... أنا الذي أهينك؟

- لا .. لست أنت .. لقد عانيت الكثير حتى الآن لدرجة

أن كل ما تبقى لي من شجاعة قد اختفى داخل أعماقي ...
إنني أنظر لنفسي وأتساءل : "متى ستثور شجاعتي؟" .. هذا
ما أنتظره. ذات يوم سينفجر بداخلي شيء متوحش .. وسأكون
مختلفاً. وحينئذٍ .. إذا كنت لا تزال حيًا .. سأبحث عنك ..
وسأبصق في وجهك ..

كان الطفيلي ينظر إلى إردوسين بهدوء، فاستطرد الأخير :
- لكن لن يكون ذلك جراء الكراهية .. بل بكل بساطة
بهدف اختبار شجاعتي التي ستبدو لي كخلق جديد ... والآن
يمكنكما الذهاب ..

تردد الطفيلي للحظة. كان إردوسين ينظر إليه بعينين
شرستين. أمسك الكابتن بحقيبة الملابس وغادر الحجرة.
توقفت إلسا أمام زوجها وقالت بعصبية :

- حسنًا .. سوف أذهب يا ريمو .. لا بد أن ينتهي الأمر
بهذه الطريقة ..

- لكن .. أنت .. أنت ..؟

- ماذا تريدني أن أفعل؟

- لا أدري ...

- حسنًا إذا .. لا تتضايق من فضلك .. لقد تركت لك
ملابسك نظيفة. كما أنك لا بد أن تغير ياقاتك .. دائماً ما
تحيرني بهذه الطريقة ..

- لكنك يا إلسا .. أنت ..؟ وماذا عن خططنا؟

- أوهام يا ريمو ... سراب جميل ...
- نعم .. سراب جميل .. لكن من أين تعلمت هذه العبارة اللطيفة؟ سراب جميل ...
- لا أدري ...
- إذًا .. لقد انتهت حياتنا إلى الأبد؟
- ماذا تتوقع؟ ولكن .. من البداية كنت لطيفة معك ..
- لكن في الفترة الأخيرة فقط بدأت أكرهك ... لكن لماذا لم تكن أنت كذلك؟
- آه .. كذلك .. كذلك ..

شعر إردوسين بعبء ثقيل على كاهله وكأنه يوم شديد الحرارة من أيام المناطق الاستوائية. كما شعر كأن جفونه ثقيلة فوق عينيه، وكل ما كان يريده هو النوم. لقد غاصت معاني الكلمات داخل عقله ببطء شديد وكأنها أحجار تقذف إلى داخل مستنقع. وعندما تغوص الكلمة في أعماق روحه، تتسارع قوى غريبة لتغذي آلامه، ثم تطفو أوتار الآلام المرتعشة نحو صدره.

استمرت إلسا في الحديث بصوت متهدج قائلة :

- لا فائدة الآن .. سأرحل. لماذا لم تك لطيفاً معي؟ لماذا لم تحاول أن تكون كذلك أبداً؟

في تلك اللحظة اقتنع إردوسين أنها تشعر بالتعاسة التي يشعر بها. فأحس بقوة تسحقه وهو جالس على كرسيه،

فوضع رأسه بين كفيه وقال :

- إذا سترحلين؟ سترحلين بالفعل؟

- نعم .. أريد أن أرى إن كانت حياتنا ستصبح أفضل بهذه الطريقة .. أنظر إلى يدي ..

خلعت إلسا قفاز يدها اليمنى وهي تقول ذلك، ثم أبانت له يدها التي تشققت من أثر البرد، وأصبح بها بقع بيضاء وثقوب حمراء جراء استخدامها إبر الخياطة. واسودت أيضاً من سخام الأواني والأطباق.

وقف إردوسين معتدلاً وقد تملكته هلاوس أخرى. فتخيل زوجته التعيسة وسط الهياج الوحشي الذي يسيطر على المدن التي تمتلئ بالحديد والأسمنت وهي تسير متأللة عبر الشوارع المظلمة وفي الظلال المائلة لناطحات السحاب، وتحت أسلاك الضغط العالي شديدة الخطورة، ثم تختفي وسط زحام رجال الأعمال الذين يحفظونها من البلل تحت مظلاتهم. لقد أصبح وجهها أكثر شحوباً من ذي قبل، وحتى بينما تلفح أنفاس الغرباء القدرة خديها، تتذكره قائلة لنفسها :

- أين يمكن أن يكون صغيري؟

قاطع إردوسين تصوره للمستقبل قائلاً :

- إلسا ... أنت تعرفين فعلاً ... تعالي حينما تريدين ... يمكنك أن تأتي ... لكن قل لي بصدق ... هل أحببتني من قبل؟ ارتفعت جفونها واتسعت عيناها أكثر، ثم ملأ صوتها الحجرة بالدفء الإنساني. فأحس إردوسين وكأنه قد عاد إلى

الحياة.

- كنت دائماً احبك ... وأحبك الآن ... أبداً، لماذا لم
تتحدث إلى أبداً كما تتحدث إلى هذه الليلة؟ أشعر أنني
سأحبك دائماً... وكل رجل إنما هو بجانبك ليس سوى ظل
رجل ...

- يا لروحي المسكينة! ... ما الهدف من الحياة التي نعيشها
؟ ... يالها من حياة! ...

هزت ابتسامة ألم خفيفة شفني إلسا. ورمقته بنظرات
يملؤها الشوق للحظات. ثم قالت له بنبرة يملؤها الأسى
والتوسل :

- انظر ... عدني بأنك سوف تنتظرنني. وإذا كانت الحياة
هي الطريقة التي تتحدث منها، فسوف أعود. وحينئذ - إذا
رغبت في ذلك - سوف نكمل حياتنا سوياً ... هل هذا
يجعلك تشعر بالسعادة؟

أحس إردوسين بالدم يندفع في وجنتيه.

- يا حبيبة الروح ... كم أنت لطيفة معي ... أعطيني يدك
...

وبينما كانت إلسا تكافح للتغلب على مخاوفها بابتسامة
منها، شرع إردوسين يقبلها.

- أنت لست غاضبة، أليس كذلك يا حبيبتني؟

نهضت إلسا وقد غمرتها الفرحة العارمة، وقالت :

- أنظر يا ريمو ... سوف أعود. أعدك بذلك. وإذا كان ما
قلته عن الحياة حقيقياً، نعم ... فسوف أعود، أعدك بذلك.

- هل أنت متأكدة؟

- نعم ... متأكدة حتى لو أصبحت أملك ...

- حتى وإن أصبحت ثرية؟

- حتى لو اغتنمت ملايين الأرض، فسوف أعود، أقسم
على ذلك ...

- يا لروحي المسكينة! ... أنت أيضاً لديك روح نبيلة، ومع
ذلك لا يمكنك أن تري ما كنت عليه ... لكن هذا لا يهم ...
ما لهذه الحياة التي عشناها!

- حياتنا ... هذا صحيح. يالها من حياة! لكن لا يهم الآن،
فأنا سعيدة جداً. هل يمكنك أن تتصور كم تندهش يا ريمو؟
ستكون وحيداً في ليلة ما ... وحيداً تماماً ... وفجأة ... تك تك
... يفتح الباب ... فأكون هناك ... لقد عدت.

- وأنت ترتدين زي الكرة الرياضي وحذاء أبيض وعقداً
من اللؤلؤ ...

- جئت بمفردي ... سيراً على الأقدام عبر الشوارع
المظلمة، لأبحث عنك ... لكنك لا تراني، فأنت مشغول
بذاتك ... ورأسك ...

- استمري ... أخبريني ... تحدثي ... تحدثي ...

- ورأسك بين يديك، وتضغط بكوعك على المائدة ...

وتنظر لي ... وفجأة ...

- أدرك أنك موجودة فأقول : إلسا ... أهذه أنت؟

- فأرد عليك بشغف : " نعم يا ريمو ... لقد عدت. هل تتذكر تلك الليلة؟ تلك الليلة هي الليلة، ورغم أن العاصفة تدوي بالخارج، فلا نشعر بأي خوف أو برد. هل أنت سعيد يا ريمو؟

- نعم أنا سعيد .. أقسم لك ..

- حسناً إذاً .. لا بد أن أذهب الآن ...

- تذهبين؟

- نعم ...

تبدو على وجه الرجل أمارات الألم، فيقول :

- إذاً فمن الأفضل أن ترحلي.

- سوف أعود حالاً .. يا زوجي.

- ما الذي قلتيه؟

- أنا أقول ذلك يا ريمو .. انتظرنني. فحتى لو امتلكت ملايين العالم، سوف أعود.

- إلى اللقاء إذاً ... لكن ... أعطيني قبلة.

- لا .. عندما أعود ... إلى اللقاء يا زوجي.

فجأة أمسك إردوسين برسغيها بقوة وقد غلبه غيظ يصعب وصفه قائلاً :

- أخبريني.. هل ضاجعك؟
- دعني اذهب يا ريمو .. لم أعتقد أنك ...
- اعترفي : هل ضاجعك أم لا؟
- لا.

وقف الكابتن في المدخل. وشعر إردوسين بإرهاق شديد
يخلع مفاصل أصابعه. وأحس أنه يسقط على الأرض، ثم لم
يعد يرى شيئاً.

طبقات من الظلمة



لم يعرف إردوسين كيف استطاع أن يجر نفسه إلى سريره. لقد توقف الزمن لديه. فأغمض عينيه وهو مذعن لنداء النوم الذي تطلبه الآلام بداخله حثيثة. لو كانت لديه القوة، لطرح نفسه أسفل بئر. لقد اغتص حلقه بفقااعات هائلة من اليأس تمنع عنه الهواء فلا يستطيع أن يتنفس، بينما أصبحت عيناه أكثر حساسية للظلمة من حساسية الجرح للملح. أحياناً ما كان يضطر إلى أن يضغط على أسنانه لكي يكبح جماح أعصابه المتناحرة والتي يشعر وكأنها خيوط أو أسلاك تثقب جسده الذي يشبه قطعة الإسفنج فتخلق موجات من الظلمة تنبعث من عقله.



أغلق عينيه بشدة وهو يشعر بأنه يسقط في هاوية سحيقة. شعر بأنه يسقط أكثر وأكثر وكأن جسده يستطيل إلى ما لا نهاية، ويجد نفسه عاجزاً عن الوصول إلى عقله الواعي لأنه قد اندثر وسط هالات اليأس! لقد انسدل المزيد من طبقات الظلمة الأكثر كثافة من جفونه.

ظل عقله يكافح الآلام التي قهرته دون جدوى. لم يك في نفسه مخرج واحد للهروب من تلك الآلام. لقد حمل إردوسين كل معاناة العالم بداخله، كل أحزان استنكار العالم. في أي مكان من العالم يمكن أن يكون هناك شخص مزقت المرارة بشرته؟ لقد أحس بأنه لم يعد رجلاً، ولم يحس إلا بجرح غائر يصرخ مع كل نبضة تسري في وريده. ورغم ذلك فإنه على قيد الحياة. إنه يحيا على مسافة بعيدة، ولكنه قريب من جسده. لم يعد مخلوقاً يحتوي آلامه ... لكنه شيء آخر ليس من البشرية؛ إنه مخلوق كالمسخ ينطوي على نفسه داخل غور الحجرة الأسود. كانت كل طبقة من طبقات الظلمة منبعثة من أجفانه كمشيمة تفصله عن عالم البشر أكثر وأكثر. أصبحت صفوف الحجارة التي بنيت بها الحوائط أكثر ارتفاعاً. بينما تسعى موجات هائلة من الظلمات إلى أن تلج الهوة التي يقبع فيها منطوياً على نفسه كقوقعة في أعماق المحيط. لم يعرف ذاته ... لم يعد يصلق أنه أوجوستو ريمو إردوسين. فأمسك جبهته وأصابه يعنف، ولكنه لم يشعر بيديه ولا بجانبه وكأن جسده قد خلق من مادة ليست من اللحم. من يستطيع أن يصف ما قد مات بداخله؟ كل ما تبقى له من مشاعر كان مجرد عقل موجود ليس له علاقة بما حدث له؛ روح حادة كحد السيف تتلوى كما يتلوى ثعبان الإنكليش في بحار حياته الكدرة. لم يبعده هذا الشعور عن ذاته سوى سنتيمتر مربع واحد. أما الباقي فقد ذاب في ظلمات، إنه يبعد سنتيمتراً واحداً عن رجولته؛ سنتيمتراً واحداً عن الوجود الذي يشعر من خلال نبضاته بأنه مجرد شبح على قيد الحياة؛ فكل شيء آخر قد مات

بداخله، امتصته مشيمة الظلمات التي أذلتها وسط أحداث الواقع الأليم.

أصبح إردوسين أكثر اقتناعاً بأنه يستقر في قاع بئر خرساني. إنه لا شيء على ظهر البسيطة. إنه شمس برتقالية غير مرئية تسبح في سماء كثيفة الظلمة وتتساقط على الأسوار بصورة دائمة. وهو أيضاً جناح طائر فريد تقطعت أوصاله في السماء لكن قدره أبقاه في قاع بئر نكد تضيئه الشمس البرتقالية العاصفة.

لقد انكمشت آخر حدود حياته إلى مجرد سنتيمتر مربع واحد. وهو، علاوة على ذلك، يمكن أن "يرى" دقائق قلبه، فلا جدوى من محاولته ازدراء مثل هذا المنظر البشع الذي يودي به في أعماق هاوية سحيقة يتعاقب عليها اللونان : الأسود والبرتقالي. ولو أسقط الحواجز عنه لانتفض الواقع الأليم ليطن في آذنيه. أراد إردوسين أن ينظر بعيداً ... ولكنه لا يريد أن ينظر ... فلا فائدة ... فثمة زوجة على الجانب البعيد من الحجرة المخططة باللون الأزرق. أما الكابتن فكان منشغلاً في أحد أركان الحجرة. أدرك إردوسين دون أن يخبره أحد بذلك أن حجرة النوم صغيرة وسداسية الشكل استوعبها بالكامل سرير عريض ومنخفض. إنه لا يريد أن ينظر إلى إلسا ... لا .. لا يريد أن ... ومع ذلك فلو واجه الموت لأجلها، فإنه لن يستطيع أن يبعد عينيه عن رجل يحاول أن يخلع ملابسه أمامها ... أمام زوجته الشرعية التي لم تعد بين يديه، ولكن أصبحت مع شخص آخر. لقد تغلبت حاجته إلى عمل إرهابي على خوفه، فازدادت معاناته، ثم فجأة، هرولت

إلسا - التي لا تزال تضع وجهها بين يديها - نحو الرجل العاري ذي القائمتين القويتين فتتجسد رجولته وتظهر على اللوحة بلون وردي أمام خلفية زرقاء.

شعر إردوسين بإحساس يسيطر عليه الفزع. كان يمكن لحياته أن تكون أكثر سلاسة لو كان قد رضح للعمل بين البكرات الدوارة بمصانع ألواح الحديد. أليست هذه هي الطريقة التي تستوي بها الطرق الزراعية التي تسير عليها العربات؟ لكنه لا يريد أن ينظر فرفض أن ينظر بعين يملؤها الإصرار سوى لصورة واضحة تبدو فيها إلسا وهي تستند على صدر الرجل المشعر بينما تتحسس يدها ذقنها لكي يستطيع أن يرفع وجهها ليقربه إلى فمه.

فجأة صرخت إلسا قائلة :

- وأنا أيضاً .. يا عزيزي .. وأنا أيضاً ...

كان وجهها قد ازداد احمراراً من شدة الشوق، وتبدو ملابسها ككتلة ملفوفة فوق فخذيها النضرين، وتحملق عيناها بعنف في عضلات الرجل القوية المرتعشة، وهي تكشف له عن رغباتها الجنسية الجاححة، وثدييها المتوترين ... آه! ... لماذا يجب عليه أن ينظر؟

لا فائدة يا إلسا ... نعم يا إلسا ... فزوجته الشرعية ... تحاول أن تلاطف كل أعضاء الرجل الجنسية بيدها الرقيقة. فيمسك الرجل برأسها بشدة، ثم يغطي وجهها بيده وهو يئن من فرط النشوة فتميل عليه لتنبس في أذنه بكلام حارق كالحديد المنصهر قائلة :

- إنك أجمل من زوجي ... يا إلهي ! ما أجملك!

لو أن أحداً حاول أن يلوي عنق إردوسين ليدفع بهذا الحلم المؤلم إلى أعماق روحه لما عانى ما عاناه. فقد كان يعاني كثيراً إلى درجة أنه كان يمكن أن ينفجر كالقذيفة لو ازداد الألم قليلاً . كيف يمكن لروح الإنسان أن تتحمل مثل هذا الألم؟ ورغم ذلك فهو يريد أن يعاني أكثر من ذلك. ولو أنهما وضعاه على آله فرم ليقطعه إرباً إرباً ... وحتى لو استوليا على أربعة أرباع جثته وألقياها كلها في القمامة، فسوف يستمر في آلامه. فلا يوجد في جسده سنتيمتر واحد يخلو من ضغوط الخوف القاتل.

شرعت كل أطراف أعصابه في السكون حيث فصلها التوتر عن حسده، وفجأة بدأ الشعور بالسكينة ينتشر عبر أطرافه.

لم يعد يبغي شيئاً على الإطلاق. فحياته تتسرب في سكون بحيرة قد انفجر السد الذي يمنعها. وبينما يرقد هناك وهو مغمض العينين ولكنه ليس نائماً، شعر بأن هذا الفناء الهادئ مسكن أكثر فاعلية وتأثيراً لآلامه من أي كلوروفورم قد يحدثه النوم.

كان قلبه يثق بشدة. فأحنى رأسه ليرفع جلدها من فوق الوسادة الملتهبة، وترك نفسه تغب دون أي إحساس بالحياة سوى الشعور ببرودة تسري في أوصاله بالإضافة إلى ضربات قلبه التي تتفتح لترى ظلمة كالحة السواد ... ولا شئ سوى

لقد انزوت إلسا عن ذاكرته إلى درجة أنه أثناء تلك الحالة من النوم المغناطيسي لم يصدق أنه يمكنه التعرف عليها. كما أصبح يرتاب حتى في وجودها. حيثما كانا كان يستطيع أن يرى صورتها بوضوح. أما الآن فلا يستطيع حتى أن يتعرف عليها. والآن بدأت حياته في التسرب خفيه. فبدأ يفكر في سني حياته التي تتسارع نحو البداية إلى أن بدأ يرى نفسه وهو صبي يخلق في شجرة خضراء كانت تلقي بظلها على مياه نهر من الفقاعات المخططة باللون الأحمر يتدفق بسرعة. هو نفسه كان عبارة عن شلال من اللحم والدم الذي يسري في مجرد شبح. من الذي يمكن أن يدعى أن الدم الذي يسري فيه يمكن أن ينتهي؟ إن الشيء الوحيد الذي يشعر به كان انقباض وانبساط عضلات قلبه، فكان كعين هائلة تفتح جفنها الذي غلبه النوم لترى الظلمة. وكان هناك شعاع فضي يتسلل من أحد مصابيح الشارع نحو منتصف الطريق من خلال أحد الشقوق فيسقط على شرك للبعوض. بدأ إردوسين يستعيد وعيه بوجوده ببطء ومعاناة شديدة.

إنه إردوسين. الآن أدرك مرة أخرى أنه هو. ويجهد هائل جلس معتدلاً. واستطاع أن يلمح خطأً أصفر تحت عقب باب الطعام، فقد نسى أن يطفىء النور. إنه كان يدين ... آه ! لا، لا ... لقد تركته إلسا ... إنه لازال يدين بستمائة بيزو وسبعة سنتات لشركة السكر ... لكن، لا .. لم يعد يدين بها بعد الآن .. فمعه الشيك.

آه .. الحقيقة .. الحقيقة!

أدى به شعاع الضوء المتركش الصادر من الشارع والذي أحال شرك البعوض إلى اللون الفضي إلى أن يتذكر بأنه يحيا كما كان من قبل .. كما كان من يوم واحد مضى ... وكما كان من عشر سنين مضت.

لم يرد أن يرى ذلك اللون الفضي للضوء، تمامًا كما كان وهو صبي لم يك أيضاً يريد إلى أن يرى الضوء الأزرق الذي يسطع من خلال النوافذ رغم أنه يعلم أن ذلك الضوء موجود فعلاً، ورغم أنه كان يعلم أنه لا توجد قوة على الأرض يمكنها أن تطفئ ذلك الضوء. نعم، تمامًا كما كان أبوه يخبره بأنه سيجلده " غداً". لا، لا يمكن أن يكون الوضع السابق مشابهاً للحالي في هذه المرة. ففي طفولته. كان الضوء أزرق، أما الآن ففضي رغم أنه عنيف بنفس القدر. اغرورقت جبهته وحواف شعره حول صدغيه بالعرق الغزير. إذًا، لقد تركته إلسا ولن تعود أبدًا؟ ما الذي كان يمكن أن يقوله جريجوريو بارسوت؟

الصفحة

في تلك الأثناء، توقف شخص أمام باب الشارع. أدرك إردوسين على الفور انه بارسوت فقفز من سريره. وكالعادة، شرع بارسوت في الطرق على الباب بصوت خافت كما لو أنه يبذل كل ما في وسعه ليتجنب الجلبة. فنادى عليه إردوسين قائلاً :

- أدخل .. ماذا دهالك؟

دخل بارسوت من الباب وهو يلق الأرض بكعبيه. فصاح فيه إردوسين أثناء دخوله حجرة الطعام :

- سأتي إليك ..

بمجرد أن خرج من حجرة النوم كان بارسوت قد جلس واضعاً رجلاً فوق أخرى كعادته، وكان ظهره موجهاً نحو الباب، كما كان ينظر إلى الركن الجنوبي الشرقي من الحجرة.



- كيف تسير الأمور؟

- كيف تسير الحياة معك؟

كان بارسوت يضغط بكوعه فوق المائدة واضعاً ذقنه
البيضاء فوق يده البيضاء التي بدت وكأنها تلمع باللون
النحاسي خلال ضوء الكهرباء الخافت.

كانت نظراته التي تومض من شدة القسوة والتي تنبع من
عينين خضراوين تحتفتان تحت حاجبين ممتدين إلى ما يقارب
الأذنين تتخللها نظرات استفسار تخفف من حدتها.

شعر إردوسين وكأنه يرى ملامح بارسوت عبر الأضواء
الضبابية اللامعة؛ فكانت جبهته تميل إلى الخلف نحو أذنيه
المدببتين، كما رأى أنفه التي تشبه الطائر النحيف، وفكه
الذي يبدو كمشكاة ويبدو وكأنه قادر على طحن ما يصعب
طحنه، بالإضافة إلى عقدة رابطة عنقه التي تبرز من بين
أطراف ياقة عريضة. سأل بارسوت صاحبه بصوت أجش
قائلاً :

- وإلسا؟

حاول إردوسين أن يستجمع قواه فأجابه :

- لقد رحلت ...

- هه ...

لم ينبس أي منهما ببنت شفة. حملق إردوسين في الزاوية
اليمنى التي صنعتها أكمام بارسوت الرمادية اللون مع الحافة
البيضاء للمائدة مبهوتاً، كانت الطريقة التي أسدل بها
المصباح نوره فوق صدغ بارسوت حتى حافة أنفه تاركاً
النصف الآخر كاملاً مظلماً بدءاً من جذور شعره وحتى بداية

ذقنه قد جعلت عيناه تبدوان غائرتين إلى حد بعيد. كان
بارسوت يغير وضع رجليه علامة على عدم شعوره بالارتياح.
هنا قال إردوسين :

- آه ... ماذا قلت؟

في الواقع أن إردوسين كان قد سمع كلمة " آه " التي قالها
بارسوت منذ ثوان قليلة.

- إذاً لقد رحلت إلسا؟

نظر بارسوت لأعلى وهو يردد كلماته رافعاً حاجبيه لأعلى
فأتاح الفرصة لمزيد من الضوء يتجه نحو عينيه. فسأل مرة ثانية
:

- هل رحلت؟

بدا وجه إردوسين عابساً حيث عقد ما بين حاجبيه ونظر
نحو حذاء بارسوت وكأنه يعرض عدم ارتياح بارسوت على
شاشة كبيرة، ثم قال ببطء شديد :

- نعم ... هي ... ذهبت ... مع ... رجل ...

عندئذ غمز بعينه بنفس الطريقة التي كان يتبعها إرجويتا
الصيدلي، ولمع بؤبؤ عينيه بشدة تحت خطوط حاجبيه
البرونزية اللون.

- انظر .. هذا مسدس .. كان يمكن أن أقتلهما معاً
.. لكنني لم أفعل. إنه حيوان غريب، أليس كذلك؟

- وسمحت له بأن يسرق زوجتك من بين يديك؟

تحولت كراهية إردوسين مع الذل الذي لاقاه من وقت قريب فجأة إلى غبطة يسودها الحقد. فقال بصوت متهدج وهو يشعر بمرارة في حلقه الجاف :

- ماذا يعني ذلك بالنسبة لك؟

شعر إردوسين بصفعة شديدة زلزلت أحاسيسه. كما شعر بأن يد بارسوت قد ذهبت ثم عادت لتصفعه وكأنه قطعة من العجين، فأخفى إردوسين وجهه بين يديه ليهرب بأسلوب يسيطر عليه اليأس من هذا القدر الذي سقط عليه وكأنه إحدى قوى الطبيعة المدمرة. وأسند رأسه على الحائط، ثم سقط على الأرض.

عندما استعاد وعيه كان بارسوت راكعاً على ركبتيه بجواره. أدرك أن ياقته قد تم فتحها وتوسيعها وشعر بعرق غزير يتساقط على رقبتة، كما شعر بألم كطعنة سكين قد أصابت أنفه، وأنه يميل إلى أن يعطس بصورة مستمرة. كانت لثته تنزف دمًا، وأحس بأن أسنانه قد شقت لسانه.

حاول إردوسين قدر استطاعته الوقوف على قدميه، ثم انهار فوقع على الكرسي. بدا بارسوت شاحب الوجه، كما بدت عيناه كشعلتين من اللهب. كانت عضلات وجهه ترتعش. وأحس إردوسين بأنه كان يعاني من كابوس، ومع ذلك فهو يشعر ببارسوت وهو يمسك بذراعه قائلاً :

- انظر .. يمكنك أن تبصق في وجهي إن أردت ... لكن دعني أتكلم ... لا بد أن أقول لك كل شيء.. اجلس بشكل سليم.. نعم هكذا.

استقام إردوسين في جلسته دون أن يشعر بذلك. تابع
بارسوت حديثه قائلاً :

- اسمعني جيداً .. أتوسل إليك. لقد رأيت - أليس
كذلك - أنني كان يمكنني أن أقتلك بيدي رغم أنني أعزل ...
لقد جاوزت حدودي الآن .. أقسم لك .. إن أردت ... سوف
أطلب عفوك وأنا راكع على ركبتني .. لا أستطيع أن أوقف
نفسي .. انظر .. آه .. آه .. لو علم الناس ..

بصق إردوسين دمًا. وشعر بطعنة حادة ودامية في رأسه
تسبب له آلامًا شديدة فأسند رأسه على المائدة. فسأله
بارسوت وقد تملكه قلق شديد :

- هل ترغب في أن تغسل وجهك؟ سيرحك هذا
كثيراً. انتظر لحظة .. لا تتحرك .. ذهب بارسوت إلى المطبخ
وعاد حاملاً وعاء من الماء :

- اغمر وجهك في الماء .. سوف تشعر بتحسن ..
هل تريد أن أدلكك؟ آسف .. تلك هي غريزتي .. لكن .. ما
الذي جعلك تغمز بعينيك وكأنك تسخر مني؟ اغسل
وجهك من فضلك ..

غمر إردوسين وجهه عدة مرات في الوعاء دون أن ينبس
ببنت شفة. في كل مرة كان يغمر وجهه في الماء حتى يستنفد
الأكسجين. ثم اضطجع للخلف وهو يشعر بالماء يتبخر من
شعر رأسه المبتل. لكنه كان متعباً! لو أن إلسا تراه الآن!
لسوف تشعر بالأسى عليه! أغمض عينيه بإحكام. ثم سحب
بارسوت كرسيه إلى جواره ليواصل حديثه :

- لا بد أن أخبرك بكل شيء .. إذا لم أفعل ذلك فأشعر بأني جبان .. كما ترى .. إنني هادئ تمامًا .. وإذا لم تصدقني، يمكنك أن تجس نبضي .. إنني صريح معك .. حسنًا .. أنا الذي .. أنا الذي وشيت بك لدى شركة السكر .. أنا الذي أرسلت الخطاب المجهول ...

لم يرفع إردوسين رأسه. إذا كان بارسوت هو الذي أرسل الخطاب المجهول أو غيره، فما هو الفرق؟ فنظر بارسوت إليه مليًا وهو ينتظر منه أن يرد، ثم قال :

- لماذا لا تتكلم؟ نعم .. أنا الذي قام بخيانتك .. أتفهم؟ لقد خنتك ... كنت أريد أن يقبض عليك حتى أستولي على إلسا فأتمكن من إذلالها. لا تستطيع أن تتخيل كم انتظرت طويلًا لكي يتم القبض عليك! فليس لديك سبيل لرد الأموال التي سرقتها، ولذلك فستضطر الشركة إلى تسليمك للشرطة. لماذا لا تقول أي شيء؟

رفع إردوسين عينيه. لا يزال بارسوت أمامه، نعم إنه هو، وهو الذي قال كل ما سمعه، وعضلات وجهه تضطرب وتزلزل تحت بشرة وجنتيه.

نظر بارسوت لأسفل واضعًا كوعيه فوق ركبتيه وكأنه يجلس بجوار المدفأة، ثم استمر في حديثه بنفس الإصرار :

- لا بد أن أقص عليك كل شيء. من الذي يمكن أن أحكي له كل ذلك فيقرر أن يقطعني إربًا غيرك أنت؟ يقولون - وهذا قول حقيقي - إن القلب لا يشعر أبدًا بالآلام، لكن صدقني، في آحاين كثيرة كنت أسأل نفسي: لم أعيش؟ ما

الهدف من الحياة إن كنت أحيا هكذا؟ هل تفهم؟ لا يمكن أن تتخيل كم مرة حاولت أن أتغلب على تلك الأفكار التي تسيطر على عقلي؟ لا ينبغي أن أقول لك ذلك. كيف يكون الأمر عندما تخون شخصاً ما، ثم تذهب إلى نفس الشخص لتقص عليه أسرارك الغبراء دون أن تشعر بأي أسف؟ لقد ساءلت نفسي كثيراً : لماذا لا تشعر بالندم؟ ما هذه الحياة التي نعيش فيها لنقسو على الآخرين دون أن نشعر بشيء؟ هل يمكن أن تخبرني؟ حسب ما تعلمنا في المدرسة، ستدفع الجريمة من ارتكبتها إلى الجنون إن عاجلاً أم آجلاً. إذاً كيف يكون الأمر لو ارتكبت جريمة دون أن تتأثر بأية صورة؟

كان إردوسين ينظر لبارسوت شذراً. فتبدو صورته وكأنها انطبعت داخل عقله. لقد نسج قدره خيوطاً شاحبة كشبكة تتداخل خيوطها كالمたهة بحيث تخلق فيه انطباعاً سيظل يلزمه للأبد. قال له بارسوت :

- انظر ... أعلم أنك تكرهني .. وأعلم أنك يمكن أن تقتلني إن استطعت ... وهذا ما جعلني سعيداً وحزيناً في نفس الوقت. كم مرت ليال طويلة أذهب فيها للنوم وأنا أحلم بأنني أخطفك! لقد فكرت حتى في إرسال قبلة لك عبر البريد، أو إرسال أفعى داخل علبة من الكرتون، أو أن أستأجر أحد سائقي السيارات ليصدمك وأنت تسير في الشارع. كنت أغلق عيني وأقضي ساعات طويلاً وأنا أفكر فيكما. أعتقد أنك تظن أنني احبها!

لاحظ إردوسين بعد ذلك - أثناء حديثهما تلك الليلة -

أن جريجوريو بارسوت لم يشر إلى إلسا باسمها. واصل بارسوت حديثه قائلاً :

- لا ... لم أقع في غرامها أبداً. لكنني كنت أحب أن أعمل على إذلالها .. أردت أن أذلها فقط مجرد أن أراك أنت مذلولاً .. فتأتي هي إلي راحة على ركبتيها لتطلب مني أن أساعدكما .. هل تفهم؟ لم أحبها أبداً .. لهذا السبب وشيتُ بك حتى يمكنني إذلالها لأنها كانت دائماً تتعالى علي، بل تتفوق علي. عندما أخبرتني بأنك تخدع شركة السكر شعرت بنوع من الرضا داخل أعماقي. وحتى قبل أن تنهي كلامك، كنت أقول في نفسي : "الآن سنرى كيف سيأخذها الكبر".

لم يستطع إردوسين أن يمنع نفسه عن الاستفسار، فسأله قائلاً :

- لكن .. هل أحببتها؟

- لا ... لم أحبها أبداً .. وليتها كانت تدري ما سببته لي من معاناة. أحبها ... رغم أنها لم تمد لي يدها ولو لمرة واحدة؟ في كل مرة كانت تنظر إلي كنت أشعر وكأنها تبصق في وجهي. رغم أنك زوجها إلا أنك لا تعرف عنها شيئاً .. ماذا تعرف عن طبيعتها؟ إنها على استعداد لأن تراك تحتضر أمام ناظريها دون أن تتحرك مشاعرها .. هل تفهم؟ ... أتذكر عندما أفلست مؤسسة "آسترالدي" وتم تسريحك .. لو كانت طلبت مني أي شيء أملكه لكنت أعطيتها لها وأنا أشعر بسعادة تامة .. كنت على استعداد لأن أعطيها كل ثروتي مقابل أن أسمع من شفيتها كلمة "شكراً" لا أكثر ولا أقل .. كنت على

استعداد لأن أعيش مفلساً مجرد أن أسمع منها مثل هذه الكلمة. وذات مرة .. عندما تحدثت عن هذا الموضوع .. كل ما قالته لي كان : "إن ريمو رجل بالقدر الذي يكفي لأن يكسب قوتنا نحن الاثنين" .. آه .. ليس لديك فكرة عن شخصية زوجتك! ثم شرعت في التفكير .. يا إلهي! كم يمر بذهن الإنسان أمور كثيرة! كنت أقذف بنفسي فوق السرير وأتخيل مثل تلك الأمور الجنونية ... أنك قتلت شخصاً .. ولا بد من إنقاذك .. فتأتي هي إلي لتطلب المساعدة .. ودون أن أنبس ببنت شفة أشق الأرض والسماء لأجلك. يا لها من امرأة! أتذكر عندما كانت تخطط شيئاً، كنت أجلس بجوارها أحمل لها سلة أدوات الخياطة، وكنت أعلم أنها لا تشعر معك بالسعادة. كنت أرى ذلك في ملامح وجهها .. في سأمها .. وحتى في ابتسامتها ..

تجلت كلمات إلسا التي قالتها منذ ساعات معدودة في ذهن إردوسين حيث كانت تقول له : "لا يهم .. فأنا سعيدة .. هل يمكن أن تتصور كم ستندهش يا ريمو؟ ذات ليلة .. وأنت جالس بمفردك .. وفجأة .. تاك تاك تاك ... يفتح الباب ... فتراني أنا .. أنا .. وقد عدت إليك .."

استمر بارسوت في حديثه :

- وبالطبع ظلمت أسأل نفسي ما الذي يجعلها تتحمل تلك الحياة التي تعيشها معك .. مع رجل مثلك؟ .. لقد جئتكم قاطعاً كل تلك المسافة سيراً على الأقدام عبر الشوارع المظلمة لكي أبحث عنك .. لكنك لم ترني .. أنت الآن وحيد

.. ورأسك ..

شعر إردوسين وكأن أفكاره تدخل في معترك متجهة نحو قمة رأسه كبحر متلاطم الأمواج، تنخر دوامته الهائلة في جذور روحه، وبينما تدور الدوامة، تسحب إحساسه بالألم من أعماق روحه. كم كانت كلمات إلسا معزية. وكم كانت غريبة! : "كنت دائماً أحبك .. والآن أحبك .. لماذا لم تتحدث معي من قبل كما تتحدث معي الآن؟ أشعر بأني أحبك دائماً .. وكل الرجال بجانبك ليسوا سوى ظل رجل".

شعر إردوسين وكأن تلك الكلمات تنقذ روحه رغم أن بارسوت ظل يصب جام حقله وغيرته وهو يقول :

- دائماً ما كنت أرغب في أن أسألها ما الذي تراه فيك ...
أن أفضحك أمام عينيها لترى بنفسك أنك لست أكثر من رجل مجنون .. خنزير .. جبان .. أقسم لك إنني لا أشعر بأي درجة من درجات الغضب وأنا أعترف لك بكل هذا ..
رد عليه إردوسين قائلاً :

- وأنا أصدقك ..

فأردف بارسوت :

- والآن .. وأنا أنظر إليك .. أسأل نفسي : ما الذي تراه المرأة في الرجل؟ هذا ما لا يمكن لنا نحن الرجال أن نعرفه .. ألا تتفق معي؟ بالنسبة لي، فأنت لا تمثل شيئاً سوى شخص بائس مسكين يمكن إزاحته من الطريق بضربة واحدة. لكن ماذا تمثل لها بالضبط؟ هذا ما يصعب تفسيره .. قل لي

بصراحة : هل أحسست بقلبك من قبل ماذا تعني بالنسبة
لزوجتك؟ ما الذي كانت تراه فيك حتى تتحمل الكثير وهي
إلى جوارك، وتتعايش معك بالطريقة التي تراها هي؟

كم كان بارسوت على حق! إن أسئلته القاسية تتطلب
الرد عليها. وبما أن إردوسين يجلس بجواره لم يشعر أنه رجل
آخر . بل أحس بأنه نسخة مطابقة له؛ مجرد شبح له أنف
نخيفة وشعر برونزي ظهر فجأة، إذ أن بارسوت يطرح عليه
نفس الأسئلة التي كان يطرحها من قبل. وهذا ما أبرز له
حقيقة مؤكدة تتمثل في أنه لو أراد أن يعيش فلا بد له من أن
يتخلص من جريجوريو بارسوت. هنا قال إردوسين :

- كأن تغمد سيفك في جوال من القطن ...

لم يكن لدى بارسوت أدنى فكرة في تلك الأثناء بأن
إردوسين قد أصدر حكمه عليه بالموت. عندما كان إردوسين
يشرح لي كيف طرأت الفكرة على ذهنه، قال لي :

- هل رأيت من قبل أحد الجنرالات في معركة من
المعارك؟ لكن لأشرح لك بوضوح .. سأحدث معك كمخترع
: يمكن أن تبحث عن حل لمشكلة ما لفترة طويلة وأنت
نتيقن أن الإجابة - أو السر - موجودة في مكان ما بداخلك
لكنك لا يمكن أن تصل إليها لأنها تختفي تحت طبقات عديدة
وسميكة من الريبة. وفي يوم ما - عندما تتوقع ذلك على الأقل
- تظهر الخطة (أو الرؤية الكاملة) بوضوح أمام ناظريك
فتنبهر ببساطتها وروعتها. إنها معجزة! تخيل جنرالاً وسط
ميدان المعركة، وكل شيء يبدو له أنه قد ضاع، وفجأة ..

يكشف حلاً رائعاً وبسيطاً لم يتصور أبداً أنه كان يعرفه! لكنه كان موجوداً في داخله طول الوقت. في تلك اللحظة بالذات أدركت أنني في حاجة إلى التخلص من بارسوت. فهو - على النقيض مني - استطاع أن يتفوه بكلامه التافه وهو لا يدري بأنني - بفمي المجروح وشفقي المتورمتين - كنت مضطراً إلى أن أحتوي إحساسي بالذهول. ذلك الإحساس الذي تشعر به عندما تكتشف أمراً محتوماً كأحد قوانين الرياضيات. ربما توجد أيضاً قوانين رياضية للروح لكنها قد تكون قوانين غير جامدة كتلك التي تتحكم في العلاقات بين عدد من الخطوط^(١). إليك الشيء الأكثر غرابة ... كانت الصفة التي جعلت شفقي تنزف قطابع طبعه مكبس هيدروليكي رسم حدود خطة الاغتيال في عقلي الواعي. هل تتابعني؟ .. إنها خطة تتكون من ثلاثة خطوط رئيسية، أي أنها عبارة عن مجموعة من ثلاثة خطوط مستقيمة. لقد ألهبت نشوتي تلك الصورة المطبوعة في عقلي لتلك الخطوط الرئيسية الثلاثة والتي تتخذ الشكل التالي : خطف بارسوت، ثم قتله، ثم استغلال أمواله لإنشاء الجمعية السرية التي يحلم بها العراف. هل تتابعني؟ .. كانت خطة الجريمة تخطر على بالي بطريقة عفوية بينما كان بارسوت يسعى إلى أن يفهم لماذا هبطت اللعنة على روحينا نحن الاثنين. استطرد إردوسين قائلاً :

- كيف يمكن أن أشرح الأمر لك؟ فجأة نسيت كل شيء ..

(١) ملاحظة للمعلق : هذا الفصل من اعترافات إردوسين جعلني أتساءل عما إذا كانت فكرة الجريمة التي يفترض أن يرتكبها لم تكن موجودة في عقله الواعي. فلو كان الأمر كذلك، إذا فسجد تفسيراً لسلبته إزاء النزعة العدوانية لجريجوريو بارسوت.

لقد استغرقت في تفكير متواصل وممتع حوله .. وهو تفكير كان يطرأ على ذهني كفجر تطلب بومة الليل بزوغه حيثًا ليخفف من نصبها بعد عناء ليلة طويلة مرهقة .. هل تتابعني؟ .. إن استقطاب شخص ينفذ خطة سيده ويقتل بارسوت يحتاج إلى المال بشدة. وهذا الفجر الجديد الذي يثور بداخلي كان جزءًا لا يتجزأ مني. كنت دائمًا أتساءل عن الأسرار التي يجب أن تشتملها روح الإنسان لتساعده في كشف الأمور التي يصعب تفسيرها والتي يمكن أن تسبب له الدهول.

عندما كررت لك رواية هذه القصة لم أقل لك إن إردوسين ذهب بعيدًا، فقد ظل يدور حول "فكرته" الجوهرية بسيل من الكلمات. عندما تملكه لحظة الجنون التي توحى له كما يقول بالإحساس بكونه إنسانًا غير عادي وليس إنسانًا عديم الفائدة، كان يستخدم كل ما يستطيع استخدامه ليعبر عن ذاته. لا أشك أبدًا في أنه يقص علي الحقيقة. ما كان يلتبس علي هو السؤال الذي كنت أداوم على طرحه لنفسني : من أين جاء هذا الرجل بالقوة التي تجعله يتحمل صورته تلك طوال هذه الفترة؟ على ما يبدو أن همه الأول كان البحث داخل ذاته ليحلل ما يجري بداخله وكأن تراكم المزيد من المعلومات التفصيلية سيعمل على إقناعه بأنه لا يزال على قيد الحياة. وأكد لك أن الإنسان الذي يتمتع بقوة الحديث لم يكن ليقول أكثر مما قاله إردوسين لكي يقنع نفسه بأنه لم يك ميتًا في الواقع.

استمر بارسوت في حديثه دون أن تكون لديه أدنى فكرة

عما يدور في خلد إردوسين :

- آه .. أنت لا تعرفها .. لم تعرفها أبدًا . مثلاً .. استمع إلى ما سأقوله لك .. ذات مساء جئت لزيارتك ولكنني كنت أعلم أنك لست موجوداً .. فقد كنت أريد أن أراها هي في الواقع .. وليس أكثر من ذلك. كنت في شدة غضبي .. ولم أعرف عدد الخطوات التي خطوتها تحت لهيب الشمس قبل أن أمتلك الشجاعة الكافية.

- تمامًا كما يحدث لي .. في الشمس ..

- رغم ذلك مشيت ورغم أنك تعلم أنني أستطيع أن أستقل تاكسيًا .. ثم .. عندما سألت عنك .. قالت دون أن تفسح الطريق لي لأدخل : "أسفة .. لا أستطيع أن أسمح لك بالدخول لأن زوجي ليس هنا".

قال إردوسين في نفسه :

- لا يزال هناك قطار سيتجه إلى تمبرلي ...

أردف بارسوت :

- كل ما أستطيع أن أقوله هو أنك لم تك شيئاً سوى شيطان مسكين، لذلك ظللت أتساءل : ما الذي تراه إلسا في هذا التافه حتى تقع في غرامه؟

فسأله إردوسين بصوت هادئ :

- ويمكن أن ترى في ملامح وجهي أنني عبيط؟

نظر إليه بارسوت باندهاش. وظل ينظر بعينه الخضراوين

اللامعتين إلى إردوسين. أدت ستائر الضوء التي كانت تنسلل على رأسيهما إلى خلق جو من الخداع، وبدأ أن بارسوت قد أدرك أنه شبح مثل صاحبه حيث كان يهز رأسه بصعوبة بالغة وكأن عضلات رقبته قد تجمدت فجأة، فرد قائلاً :

- لا .. الآن أنظر إليك عن قرب .. إنك تبدو شخصاً يعاني من الظلم .. يعلم الله ما هو ..

فضحك إردوسين وقال :

- إنك خبير نفسي .. طبعاً ليس لدي فكرة إذا ما كان الظلم ... لكن هذا شيء غريب .. فلم يخطر ببالي قط أنك تنوي أن تأخذ زوجتي مني .. ثم إنك تقول ذلك بكل هدوء!
- لا يمكن أن تنكر أنني أتحدث إليك بصراحة ..

- بلى ...

- وأنى أردتُ إذلالها فقط وليس سرقتها منك .. وما قد يكون وراء ذلك؟ إنني أعلم أنها لا تكن لي الحب ..

- كيف عرفت ذلك؟

- هذا ما لا أعرفه لأن الناس قد يفعلون أشياء لا يمكنهم تفسيرها .. لأنني ظللت أزورك .. وأنت ظللت تستقبلني حتى رغم أننا لم نستطع أن نتحمل بعضنا بعضاً .. لقد جئتُ لأنني جعلتك تتألم، كما جعلت نفسي أتألم .. كل يوم كنت أقول لنفسي : " لن أذهب إلى هناك مرة أخرى " .. لكن بمجرد أن يحين الوقت أشعر بتوتر شديد. كنت أشعر وكأن صوتاً يناديني، فأرتدي ملابسني وأتي على الفور ...

فجأة، واثت إردوسين فكرة غريبة فقال :

- بالمناسبة .. لا أدري إن كنت تعرف أم لا .. لكن .. صباح اليوم اكتشف الجميع في شركة السكر الخطاب المجهول ... وإذا لم أرد المبلغ غداً فسوف يتم القبض علي. أعتقد بأنك ستكون أول فرد يعترف بأن الشخص الوحيد الذي يقع عليه اللوم هو أنت. لذا .. فأنت الشخص الوحيد الذي يجب أن يقرضني المال وإلا فمن أين يمكن أن أحصل على مثل هذا المبلغ؟

اعتدل بارسوت في جلسته وقد أخذه الدهول وقال :

- ما الذي يجري؟ هو ذا أنا الآن .. مهزوم وذليل كالكلب ... لقد رحلت إلسا ... وقد فعلتُ شيئاً إداً ... ثم تتوقع مني أن أقرضك المال؟ هل أنت مجنون؟ ما السبب المنطقي الذي يجعلني أعطيك ٦٠٠ بيزو؟

هب إردوسين واقفاً وقال :

- وسبعة سنتات ... هل هذا قرارك النهائي؟

- لا بد أن تفهم ... كيف يمكنني؟ ...

- حسناً إذن أيها الطفل الصغير ... لنتنظر وسنرى .. والآن اسد لي معروفاً واخرج .. أريد أن أنام ...

- ألا تريد الخروج؟

- أنا متعب ... اتركني وحدي ...

تردد بارسوت، ثم وقف ممسكاً بطرف ثنية قبعته وخرج.

سمع إردوسين صوت إغلاق الباب بعنف، فوقف عابساً لعدة دقائق وأخذ يبحث في جيبه عن دليل مواعيد القطارات ثم ذهب وغسل وجهه مرة أخرى. وفي النهاية، قام بتصفيف شعره أمام المرأة. كانت شفته لا تزال متورمة، وعلى وجنتيه آثار الجروح.

نظر حوله باحثاً عن شيء ما فلمح المسدس ملقى على الأرض فالتقطه وخرج. ثم تذكر أنه قد ترك النور مضاء، فعاد ليطفئه. ظل أثر الضوء يسطع في عينيه وسط الظلام للحظات قليلة. وللمرة الثانية في ذلك اليوم، اتجه نحو بين العراف.

جدير بارتكاب الجريمة



كان النور يسطع من داخل مكتب التلغراف وبالذات بصورة خافتة على جزء من رصيف القطار المتجه إلى تمبرلي. جلس إردوسين وسط الظلام على مقعد بالقرب من نقطة التحويلات. كانت حرارته مرتفعة إذ ربما قد أصيب بالحمى. شعر بان فكرة القتل كانت امتداداً لجسده كالظل الذي يصنعه تحت الضوء. كانت هناك اسطوانة حمراء تلمع في نهاية ذراع الإشارة الذي يصعب رؤيته في الظلام. وكانت هناك دوائر أخرى حمراء وخضراء تلمع في الظلام على مسافة بعيدة وتنعكس أشعتها المتكسرة على قضبان السكة الحديد وهي تنعطف لليمين، فتظهر بعض الومضات الزرقاء ثم القرمزية. أحياناً ما كان الضوءان الأحمر والأخضر يتبادلان أماكن ظهورهما. ثم ساد السكون. وبمجرد أن توقفت السلاسل عن الاصطدام بالقوائم التي تحملها، وشرعت أسلاك التلغراف في التوقف عن الطنين، كان إردوسين شبه مستيقظ، فسائل نفسه :

- ما الذي أفعله هنا؟ لماذا أبقى هنا؟ هل أريد قتله فعلاً؟ أم أن ذلك مجرد وجود رغبة لدي في ذلك؟ ولم أشعر بتلك الأهمية؟ الآن .. تتلوى فوق السرير وهي نائمة إلى جواره .. ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة لي؟ من قبل .. عندما كانت في البيت لوحدها وكنت أنت في المقهى ... أحسست بالندم لأنها لم تكن سعيلة معي .. أما الآن .. فالأمر مختلف .. فهما

نائمان .. وسوف تضع رأسها فوق صدره .. يا إلهي! هل يمكن أن يكون الأمر كذلك؟ أشعر بالضيق .. أشعر بالضيق .. حياتي ضيق .. لكن هل أنا فعلاً أنا؟ ماذا سيكون الأمر لو أنني شخص آخر؟! المسافة بعيدة .. أن تحيا على مسافة بعيدة عن ذاتك! هذا هو ما يحدث لي .. مثله تماماً ... أينما ذهب أستطيع أن أراه ... بائس مسكين .. كان يريد أن يكسر أنفي .. شئ لا يصلق! الآن، وبطريقة ما، اتضح أنه هو المهزوم ولست أنا! إن الحياة ليست سوى نقطة مقرزة .. لكن .. لا بد أنها أكثر من ذلك. لماذا أحترقه أكثر عندما يكون معي؟



انتقلت الظلال بسرعة لتهبط خلف نافذة مكتب
التلغراف، فواصل إردوسين مناجاة نفسه :

- أقتله أم لا؟ ما الذي يهمني؟ هل يهم إذا ما قتلته؟ دعنا نتحدث بصراحة .. هل قتله يمثل أهمية بالنسبة لي؟ أم أن الأمر بالنسبة لي سيان؟ هل هو أمر عادي أن يعيش؟ لكن .. أريد أن تكون لدي العزيمة لقتله. لو ظهر إله أمامي الآن وسألني: "هل ترغب في أن تكون لديك القوة لتدمير البشرية جمعاء؟" .. فهل أفعل ذلك؟ هل يمكن أن أدمر

البشرية؟ لا .. بالطبع لا .. فإدراكي أنني أملك القوة لتدميرها
سيحرمني من اشتياقي لذلك ... وعلى أية حال .. ما الذي
يمكن أن أفعله بمفردي؟ أنظر إلى المولدرات الكهربائية وهي
تتأكل من الصدا داخل المصانع .. أنظر إلى الهياكل البشرية
وهي تقذف داخل الأفران العالية فتستحيل إلى رماد. نعم ...
لقد صفعني ... ولكن هل يهمني ذلك؟ يا لها من قائمة طويلة!
يا لها من مجموعة! الكابتن وإلسا وبارسوت والرجل ذو رأس
الخنزير والعراف والبلطجي وإرجويتا ... يا لها من قائمة! من
أين جاء كل هؤلاء المسوخ؟ لا أدري ... أنا .. لست أنا ... ومع
ذلك أحتاج إلى أن أفعل شيئاً لأثبت أنني موجود ... لأؤكد من
وجودي ... لأنني أبدو وكأنني ميت ... بالنسبة للكابتن وإلسا
وبارسوت ليس لي وجود بكل بساطة. ولو أرادوا أن يقبض
علي لتمكنوا من ذلك ... وبارسوت ... يمكنه أن يصفعني مرة
أخرى. لقد هربت إلسا مع شخص رغم أنني .. ويستطيع
الكابتن أن يسرقها مني مرة أخرى .. إنني بالنسبة لهم "عدم"؛
شيء غير موجود. إن الإنسان ليس فعلاً وإدًا فهو ليس موجوداً
... أنظر إلى الرجال ... ربما يكون لديهم زوجات وأطفال
وبيوت ... وربما يكونون خاسرين ... لكن إذا حاول أي
شخص أن يقتحم بيتهم أو أن يسرق سنتاً واحداً منهم أو أن
يضع إصبعه على زوجته، فإنهم يتحولون إلى حيوانات كاسرة.
إذا لم أثر؟ من يستطيع أن يجيب لي عن هذا السؤال؟ أنا لا
أستطيع فعلاً ... كل ما أعرفه هو أنني موجود بهذه الطريقة ...
عدم. وعندما أقول هذا لا أشعر بالتعاسة ... فتعاسي صامتة ...
ورأسي خاوية ... ثم ... من خلال هذا الصمت وذاك الخواء،

تبرز الرغبة في القتل من أعماق قلبي. من المؤكد أنني لست مجنوناً .. لأنني أعرف كيف أفكر، وكيف أبرر. إنه الفضول الذي ينبع داخلي، وهو طموح من المؤكد أنه يمثل الندم... ندم الفضول. شيطان الفضول. هذا يوضح كيف أكون معداً لارتكاب الجريمة، وكيف يستجيب عقلي الواعي وأحاسيسي لارتكاب الجريمة.

واصل إردوسين مناجاة ذاته :

- رغم ذلك فإن تلك الكلمات لا تجعلني أشعر بالجريمة ... كما أن ورود برقية عن حدوث كارثة في الصين لا يجعلني أشعر بتلك الكارثة. كما لو أن شخصاً آخر هو الذي يفكر في القتل، وليس أنا. رجل آخر مثلي سيكون رجلاً سطحياً، ظل رجل، كما في السينما. رجل له صورة ظليلة، يتحول، ويبدو كأنه موجود، ويعاني، ومع ذلك فهو ليس أكثر من خيال. لا يتمتع بالحياة. أقسم بربي كل هذا شيء له معني. إذا ماذا سيفعل مثل هذا الرجل الظل؟ سيكون مدركاً لما حدث، لكنه لن يستطيع أن يشعر بوزنه لأنه لا يملك المعيار الذي يلجأ إليه. فهو مجرد ظل. أنا أيضاً أعني ما حدث، لكنني لا أستطيع أن أستوعبه. ربما تكون تلك نظرية جديدة. أتساءل ما الذي يمكن لقاض من قضاة القانون الجنائي أن يفعل في هذه القضية؟ هل سيدرك كم أنا صادق؟ هل مثل هؤلاء الناس يؤمنون بالصدق والأمانة؟ إن الأمور تتلاطم من حولي، وبعيداً عن حدود جسدي، ولكن من خلالها لا يمكن لأحد أن يتصور حياتي لأنها تشبه الحياة على الأرض وعلى القمر في آن واحد. فأنا لا شيء في عيون الآخرين. مع ذلك فلو

قذفت بقنبلة أو قتلت بارسوت غداً، عندئذ سأصبح كل شيء، رجلاً له وجود، رجلاً يتكرر له خبراء القانون وسائل العقاب، والأهداف، والنظريات. لذا فأنا - الذي هو لا شيء - سوف أعمل على تنشيط الآليات الإرهابية لدي الخبراء والسكرتيرين أو السكرتيرات والصحفيين والمحامين ورجال الادعاء والحراس وسيارات المساجين. لن يعتبرني أحد شيطاناً مسكيناً، لكنهم سينظرون إلى ككائن غير اجتماعي، سينظرون إلى كعدو لا بد من حماية المجتمع من شروره. إنه شيء غريب! ومع ذلك فبفضل الجريمة فقط يمكن أن أؤكد وجودي، تماماً كما أن السر فقط هو الذي يؤكد وجود الإنسان على الأرض. سوف أكون إردوسين الذي يُخشى بطشه ويُعمل له ألف حساب، سوف يتم التعرف على من كود السجن من بين ألف إردوسين مجهول. سأكون إردوسين الآخر، الأصيل، الشخص الذي يكون وسيكون إلى الأبد. كل هذا غريب! ورغم كل ذلك يوجد الظلام فعلاً، كما أن روح الإنسان تغص بالندم؛ ندم مجهول. لكن ليست الحياة هي كل ذلك. يقول لي شيء ما بداخلي إن الحياة لا يمكن أن تكون كذلك. لو أنني أستطيع أن اكتشف السبب المؤكد لكون الحياة كذلك، لكنت وخزت نفسي بدبوس، وخرج من داخلي هواء الأكاذيب الحار كما يخرج الغاز من البالون. سوف تبرز حالتي التي أنا عليها الآن رجلاً جديداً، رجلاً قوياً كأحد الآلهة البدائية. لكن ... كل ذلك يبعدني عن الموضوع. هل أذهب وأزور العراف أم لا ؟ ماذا سيقول عندما يراني عائداً إليه؟ ربما يتوقع زيارتي. فهو مثلي يعد لغزاً إزاء نفسه. هذه هي

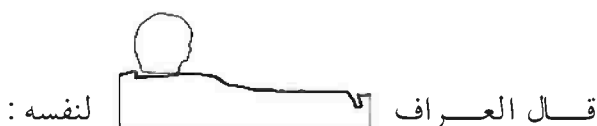
الحقيقة. وهو مثلي لا يعرف إلى أن يذهب.

جمعية سرية! شيطان آخر .. يالها من مجموعة! بارسوت وإرجويتا والبلطجي وأنا ... لن تستطيع أن تساير هذه التشكيلة حتى لو أردت ذلك، وفوق كل هؤلاء، الفتاة العمياء الحامل. يالها من مسخ!

مر حارس المحطة بجوار إردوسين للمرة الثانية. لا حظ إردوسين أنه أثار شكوك الرجل، فنهض واتجه نحو منزل العراف. كانت ليلة ليلاء. كانت مصايح الشارع تسطع وسط فروع الأشجار المورقة عند كل ناحية من نواحي الشارع. سمع صوت بيانو آتياً من أحد المنازل، وبينما كان إردوسين سائراً، شعر بقلبه يرتعش أكثر وأكثر، كما أجهده الشعور بالألم عندما أحس بنبرات السعادة تنطلق من خلف حوائط المنازل التي تحميها الظلال الباردة، وكل منزل أمامه سيارة خارج المرآب.

الاقتراح

كان العراف على وشك الذهاب إلى النوم عندما سمع وقع أقدام الطريق المؤدي إلى منزله. ولأن الكلب لم ينبج، فتح مصراع النافذة قليلاً. وعبر الشعاع الأصفر للضوء الذي لمع فوق أشجار الرمان، لمح إردوسين وهو يقترب، وكان الضوء يسقط على وجهه مباشرة.



- شيء غريب! لم ألاحظ من قبل أن هذا الصبي يرتدي قبعة من الخوص! ما الذي بريده؟
- وبعد أن تأكد من وجود مسدسه في حزامه (بحركة مميزة من يده) فتح الباب، ودخل إردوسين:
- كنت أحشى أن تكون نائماً...
- تفضل بالدخول ...

دخل إردوسين حجرة المكتب. كانت خريطة الولايات المتحدة لا تزال معلقة، وبها أعلام سوداء ملصقة على الأماكن التي تسيطر عليها الكوكلوكس كلان. لا بد أن العراف كان يقرأ خريطة البروج حيث كان هناك صندوق بوصلة مفتوح على المائدة. قلب نسيم خفيف آتٍ من الحديقة الأوراق، فانتظر إردوسين حتى قام العراف بجمع الأوراق

ووضعها في الدولاب، ثم جلس وظهره نحو النافذة.

جلس إردوسين وأخذ ينظر إلى وجه العراف العريض والمسطح، وأنفة الملفوفة التي تتدلى من جبهته غير المستوية، وأذنيه اللتين تشبهان القنبيط، وصدره الضخم كالبرميل محشوراً داخل سترة باهتة اللون، وسلسلة نحاسية تتدلى من الصديري، وخاتم حديدي ملصق به حجر وردي في يد مجمدة أكل عليها الدهر وشرب. ولأن العراف لم يرتد قبعته، يظهر شعرة قصيرة وكثيفاً ومجعداً. جلس العراف ممدداً رجله ومتكئاً بكامل وزنه على ذراعي الكرسي. أما حذاؤه غير المصقول فأعطى صورة كاملة كان قد أعطاها من قبل لفلاح يسكن الجبال أو أحد الباحثين عن الذهب.

قال إردوسين لنفسه وهو ينظر مشتباً الذهن إلى خريطة الولايات المتحدة:

- من المؤكد أن هذا هو شكل الباحثين عن الذهب في باتاجونيا.

تناسى إردوسين ما قد سمعه من العراف من قبل في ذلك المساء وهو يعدد الولايات المختلفة للبلطجي: "كلوكس كلان تسيطر على تكساس واوهايو وانديانا بوليس وأوكلاهوما واوريغون."

- حسناً يا صديقي ... ماذا ...؟

- آه، معك حق! جئت لأزورك ...

- كنت علي وشك الذهاب إلى النوم. كنت أعمل

بخرطة الأبراج لشخص عيب ...

- إذا كانت زيارتي تزعجك، فسأرحل حالاً ...

- لا ... بل اجلس. هل كنت تتشاجر؟ ما خطبك؟

- أشياء كثيرة ... قل لي. إن كنت تستطيع ... لا تتضايق من سؤالي ... لكن إذا ... لكي تستهل جمعيتك السرية ... لو أنك ستدفع العشرين ألف بيزو فإنك تحتاج ... إذا أردت أن تدفع المبلغ، فلا بد أن تقتل شخصاً، هل يمكن أن تفعل ذلك؟

اعتدل العراف في جلسته على الكرسي، ثم اتخذ وضعاً كأنه زاوية قائمة من فرط ذهوله. ورغم أن تلك الكلمات التي قالها له إردوسين جعلته يرفع رأسه مندهشاً، إلا أنها لا تزال أيضاً تشكل عبئاً ثقيلاً يثقل كاهله. فرك يديه، ثم تفحص وجه إردوسين :

- لماذا تسألني مثل هذا السؤال بحق السماء؟

- وجدت لك الرجل الذي يملك ٢٠٠٠٠ بيزو. يمكن أن نقوم باختطافه، وإذا رفض أن يوقع لنا شيكاً، نستطيع أن نقوم بتعذيبه.

قطب العراف حاجبيه. لقد ازداد ارتباكاً بعد أن سمع تفاصيل هذا الاقتراح، فشرع في لف الخاتم حول إصبع يده اليميني. ولمع الحجر الوردي في سلسلة الساعة مرة بعد أخرى. ورغم أن وجهه كان ينظر لأسفل، إلا أن عينيه كانتا تتفحصان وجه إردوسين من تحت حاجبيه. وهو في هذا الوضع، بدت

انفه المشوهة وكأنها دعامة تتدلى من ذقنه التي غاصت داخل
رابطة عنقه السوداء، فقال :

- عليك أن تشرح كل شيء لي، فلم افهم كلمة واحدة
حتى الآن.

اعتدل مرة أخرى وكأنه على استعداد ليتلقى وابلاً من
الكلمات في وجهه. قال إردوسين :

- الأمر بسيط ولكن في غاية الأهمية. تركتني زوجتي
الليلة لتعيش مع رجل آخر، لذا فهو ...

- من هو؟

- بارسوت، ابن عم زوجتي ... جريجوريو بارسوت ... جاء
ليزورني واعترف بأنه هو الذي وشي بي لدى شركة السكر.

- آه ... إذاً هو الشخص الذي خانك؟

- نعم ... ولكي نصحح الوضع ...

- ما السبب الذي جعله يفعل ذلك؟

- كيف لي أن أعرف؟ ليدلني ... بأية طريقة فهو مجنون.

إنه شخص لا يمكن السيطرة عليه. إنه يملك ٢٠٠٠٠ بيزو.
مات أبوه في مستشفى للأمراض العقلية. هذا هو المكان
الذي سينتهي به الأمر إليه. لقد ورث هذا المبلغ من إحدى
عماته.

أحنى العراف رأسه فوق يده. لقد شعر بالضيق أكثر من
ذي قبل. لقد أثارت الفكرة اهتمامه، لكنه لم يكن واثقاً من

أنه فهم شيئاً، فقال بإصرار :

- قل لي كل شيء ... خطوة بخطوة ...

بدأ إردوسين مرة أخرى من حيث نقطة البداية. فقص عليه الحكاية كما نعرفها وقد تخلص من اضطرابه الذي كان يشعر به من قبل أن يكشف للعراف عن نيته، فكان يتحدث بهدوء وعناية.

الآن جلس منحنيّاً للأمام على حافة كرسيه واضحاً كوعه فوق ركبتيه، وواضعاً وجهه بين كفيه وهو ينظر إلى الأرض. وامتدت البشرة الصفراء عبر عظام وجنته العريضة ما جعله يبدو كمن أصابه السل. وشرع يخرج من حلقه نهراً من الفساد ليس له نهاية وهو يتذكر أحد الدروس التي حلت على ذهنه كالقدر. ولذا، ظل العراف يستمع إليه في صمت واضحاً أصابعه فوق فمه. لقد تخيل أشياء كثيرة ...

كان إردوسين يتحدث بهدوء وهو يتخير كلماته بعناية حتى لا يرتكب أي خطأ وكأنه كان يتخلص من كل مخاوفه وذكرياته وندمه وكل الليالي التي لم يذق فيها طعم النوم بالإضافة إلى مشاحناته المريرة. أحد الأشياء الكثيرة التي قالها كان :

- ربما يبدو لك من الجنون أنه بالرغم من أنني جئت إلى هنا لأقترح قتل شخص، أري أنني بريء، لكنني كنت أتحدث عن أيام كنت في العشرين من عمري وكنت لا أزال صغيراً. أليك أية فكرة ما نوع التعاسة التي تؤدي بشخص إلى أن

يقضي لياليه داخل حانة كئيبه حيث يستهلك وقته في أحاديث مقززة ويشرب ارخص أنواع الخمور؟ هل تعلم كيف يكون الأمر بالنسبة لك وأنت داخل بيت للدعارة وفجأة تجد نفسك عاجزاً عن أن تسيطر على نفسك ولا تستطيع البكاء؟ أن تنظر إلى في دهشة ... ربما تظن أنني غريب الأطوار ... لكن ليس لديك فكرة عن أن تلك الغرابة إنما تنبع من كل الآلام التي تكمن في أعماقي. أنا مندهش فعلاً من الدقة التي أستطيع أن أصف بها كل هذا. من أنا؟ إلى أين يسير بي قدري؟ ليس لدي أية فكرة. ومع ذلك فلدي إحساس بأنك مثلي، ولهذا السبب جئت إليك لأقترح عليك أن تقتل بارسوت. نستطيع أن نستغل ماله في تأسيس جماعتنا السرية، وبهذه الطريقة سوف نزلزل أسس هذا المجتمع. عارضه العراف قائلاً :

- لماذا تبدو دائماً هكذا؟

- هذا مالا أعرفه. لماذا تريد أن تنشئ منظمتك؟ لماذا يواصل البلطجي السوداوي استغلاله للنساء ويلمع حذائه عندما تصبح لديه ثروة؟ لماذا خدع إرجويتا المليونيرة وتزوج من عاهرة؟ هل تعتقد أنني أستطيع أن أنسى الصفعة التي وجهها لي بارسوت أو أن أتحمل ما فعله الكابتن؟ من الواضح ... أنا جبان، وإرجويتا شخص مجنون، والبلطجي رجل بخيل، وأنت رجل مقهور. هذا ما نحن عليه. لكن في أعماقنا، وفي مكان ما تحت طبقات عقلنا الواعي ثمة حياة أخرى أكثر قوة واتساعاً ... لذا فإذا استطعنا إصلاح أي شيء فذلك لأننا نؤمن بأننا لو فعلنا ذلك فسنصل إلى الحقيقة ...

أقصد، حقيقة أنفسنا ...

هب العراف واقفاً .. وذهب نحو إردوسين وربت على رأسه ثم قال وفي صوته ريبة :

- إنك على حق يا بني. نحن فعلاً غامضون دون أن ندري ... فالبلطجي مجنون غامض وإرجويتا غامض وكذلك أنت وأنا وهي وكلنا .. إن ضعف الدين الذي سيطر عليه الشر قد عمل على طمس معرفتنا بأنفسنا فننظر إلى أنفسنا من الخارج دون أن نرى الواقع الموجود داخل اللاوعي. إننا في حاجة إلى عقيدة تنقذنا من الكارثة التي أودت بنا. ربما تعترض على ما أقول زاعماً أنه ليس بالجديد. لو أنك كنت تؤمن بالله لاستطعت أن تنقذ نفسك من الشقاء. لو كنت أنا أو من بالله لما استمعت إليك وأنت تقترح قتل صديق لنا. وأسوأ ما في الأمر هو أن نكتشف عقيدة أو إيماناً بعد أن يكون الأوان قد فات. لو ذهبنا لزيارة قس لنفهم مشكلتنا! ولكن كل ما يمكن أن يفعله هو أن يوصينا بالصلاة لله والذهاب إلى حلقة دراسية كل أسبوع.

- وطوال الوقت سنسأل أنفسنا ما الذي يجب أن نفعله

...

- هذا صحيح ... الذي يجب أن نفعله ... في الماضي كان يمكننا على الأقل أن نجد الفرصة لأن نلجأ إلى أحد الأديرة أو أن نرحل إلى أرض جديدة. أما في هذه الأيام فتستطيع أن تأكل الآيس كريم في باتاجونيا في الصباح وتأكل الموز في البرازيل عند المساء. ما الذي يجب أن نفعله؟ لقد قرأت

كثيراً، وصدقني، كل الكتب التي تأتي من أوروبا تمتلئ بنفس
المراة واليأس الذين تتحدث عنهما. انظر فقط إلى الولايات
المتحدة. تقوم نجمات السينما بزرع مبايض من البلاتين، كما
يقوم القتلة بتخطيط الرقم القياسي في ارتكاب أبشع
الجرائم. وجوه مختلفة رأيتها بنفسك، لكن القلوب واحدة،
لقد فقدت البشرية قدرتها على الشعور بالفرحة. لقد فقدت
البشرية حتى ربها، وهي في قمة تعاستها. حتى المحرك بقوة
٣٠٠ حصان لا يسبب المتعة إلا لشخص مجنون على استعداد
لأن يحطم نفسه في حادث تصادم. إن الإنسان حيوان تعيس لا
يشعر بالفرحة إلا في وجود الأعاجيب مثل وباء الكوليرا
الآسيوية والأساطير واستكشاف مناجم الذهب أو الماس. أرى
ذلك ونحن نتحدث. لا نشعر بحياتنا إلا إذا تحدثنا عن حادثة
عجيبة. هذا ما يشعر كل فرد عادياً كان أم قديساً.

- حسناً إذاً ... سوف تحتطف بارسوت؟...

- نعم ... الآن لا بد أن نحدد بالضبط كيف سنسيطر عليه
وعلى أمواله.

أثارت الرياح أوراق الأشجار في الحديقة. فجلس إردوسين
لبضع لحظات وهو ينظر إلى عمود الإثارة الذي أرسل ضوؤه
عبر النافذة المفتوحة إلى أشجار الرمان. حاول العراف
الاسترخاء باسناد رأسه على قمة الدولار البني. أخذ يلف
الخاتم الحديدي في إصبعه مرة أخرى أمام عينيه.

- كيف سنمسك به؟ شئ سهل. سوف أخبر بارسوت
أنني اكتشفت أين أخذ الكابتن إلسا ...

- نعم فكرة سديدة ... لكن كيف اكتشفت ذلك؟ هذا هو ما سيطرحه عليك ..

- سأخبره بأنني ذهبت إلى قسم شئون العاملين بوزارة الحربية ...

- رائع .. جيد .. حسناً ...

مال العراف إلى الأمام بحماس شديد وأخذ يراقب إردوسين باهتمام.

- وسوف نحضره إلى هنا بحجة أننا نريد منه إقناع إلسا بالعودة لي ...

- ممتاز. دعني أفكر بعمق .. كل شيء اقترحته ... يبدو معقولاً .. آه ... قل لي شيئاً واحداً ... هل لديه أسرة؟

- ليس لديه أحد عدا زوجتي ..

- وأين يعيش؟

- في حجرة للإيجار .. وابنة مالكة المنزل حوراء العينين ..

- وماذا سيقولون لو اختفى بارسوت؟

- سأشرح لك ما ستفعله. سنرسل لمالكة العقار برقية من "بارسيريو" موقعة منه يطلب منها فيها أن ترسل له متعلقاته إلى فندق معين، وستقيم أنت في هذا الفندق باسمه.

- رائع! لقد فكرت في الأمر جيداً .. الخطة ممتازة .. من الواضح أن كل شيء في صالحك: الكابتن وعنوان الوزارة وعدم وجود أقارب له وإقامته في مسكن للإيجار .. كل شيء

واضح كخطط الشطرنج .. رائع ..

بعد أن أنهى حديثه، بدأ العراف يقطع الغرفة جيئة وذهاباً. وكل مرة كان يمر فيها أمام النافذة، كان يحجب الضوء عن الحديقة، أو يلقي بظل ضخيم على الدولاب وعلى كمرات الحجر. كان مع إردوسين كل الحق عندما قال إن الخطة محددة جيداً كما لو كانت (قد وضعت تحت ضغط قدره آلاف الاطنان) ... كان حذاء العراف يصدر صوتاً مرتفعاً مع كل خطوة كان يخطوها. حاول إردوسين أن يبدي ندمه لأن الخطة كانت في غاية البساطة .. وخالية من أية أدوار شبيهة بالروايات. كان يرغب في أن يضيف لها بعض المغامرات المحفوفة بالمخاطر تجعلها متكاملة هندسياً :

- اللعنة : ليس في ذلك أي نوع من المتعة! بهذه الطريقة يمكن أن يكون كل فرد قاتلاً!

- أليس هناك شيء ما بين جريجوريو والفتاة الحوراء؟

- لا ..

- إذاً لماذا ذكرتها؟

- لا أدري ..

- ألا تخشى أن تندم على ما فعلت؟

- هذا لا يحدث إلا في الروايات. أما في الحياة الواقعية فقد فعلت الخير والشر، وفي كلتي الحالتين لم أشعر لا بالفرحة ولا بالندم.. أنا أعتبر أن ما يسمى بالندم إنما هو خوف من العقاب .. في الأرجنتين لا يشنقون الناس .. والجناء فقط

هم...

- وماذا عنك أنت ..؟

- معذرة .. لكني لست جباناً. بل أنا جرى ومختلف. وفكر فيما سأقوله. لو كنت تركت زوجتي تسرق من بين يدي دون رد فعل مني، ولو كنت سمحت لنفسي أن أصفع من قبل شخص قد خانني، ألا يحتمل أن أرى هذا الشخص يموت دون أن يحرك ذلك بداخلي ساكناً، شريطة ألا يكون هناك سفك للدماء.

- فعلاً .. شيء منطقي جداً. كل شيء تقوله منطقي. هل تعرف .. إنك فعلاً رجل مسل يا إردوسين؟

- هذا ما كانت تقوله لي زوجتي. لكن ذلك لم يمنعها من الهروب مع رجل آخر.

- وأنت تكرهه بسبب ذلك؟

- أحياناً. حسب الظروف. يعتبر الأمر بالنسبة لي مجرد تغييرات محسوسة أكثر منها كراهية. وفي الواقع أنا لا أكرهه، فلا يمكنك أن تكره هؤلاء الذين تعلم أنهم على نفس درجتك من الحقارة.

- إذاً .. لماذا تريد قتله؟

- ولماذا تريد أن تنشئ جماعتك؟

- هل تعتقد أن هذه الجريمة سيكون لها أي تأثير على حياتك؟

- هذا ما أبغي معرفته. لكي أعرف إذا ما كنت حياتي، وطريقي في رؤية الأشياء، أو قدرتي على الإحساس ستتغير بعد رؤيتي له وهو يموت. على أية حال، أشعر بأنني في احتياج للقتل، حتى لو خرجت روحي من جسدي.

- وتريد مني أن أقوم بهذا العمل القذر من أجلك؟

- طبعاً ... لأنه بالنسبة لك يعني " أداء عملي القذر" الحصول على مبلغ ٢٠.٠٠٠ بيزو. وهو المبلغ الذي تحتاجه من أجل إنشاء منظمتك ومواخيرك ...

- ما الذي جعلك تعتقد أنني الشخص الذي يمكنه أن يقوم " بذلك"؟

- ماذا؟ كنت أراقبك منذ فترة طويلة. لكنني أصبحت على قناعه بأنك الشخص الذي يمكنك اقتحام فعل تلك المخاطر من عام واحد مضى عندما قابلتك في الجمعية الثيوصوفية^(١).

- كيف كان ذلك؟

- أتذكر ما حدث وكأنه يتم الآن. كانت هناك امرأة تباع الفحم على يسارك تتحدث مع صانع الأحذية عن "مادة الروح". هل لاحظت كم يفتتن صانعوا الأحذية بالسحر؟ على أية حال ..

- ثم ...؟

(١) الثيوصوفية Theosophy : معرفة الله عن طريق " الكشف " الصوفي أو التأمل الفلسفي . المترجم.

- ثم شرعت أنت في مخاطبة رجل بولندي كان على اتصال بروح "سوبتسكي".

- لا أتذكر ...

- أنا أتذكر. كان البولندي يعمل عامل بناء كما ذكرت لي بنفسك. ثم انتقلت أنت والبولندي من الحديث عن سوبتسكي إلى الحديث عن "غريزة العودة إلى الوطن الأصلي لدى الحمام"، فقلت أنت له: "إن الغريزة الوحيدة التي تمثلها غريزة العودة إلى الوطن لدى الحمام هي أنه يمكن أن يكون وسيطاً في خطط الابتزاز". ثم بدأت تشرح ما كنت تقصد. وقبل أن تنهي حديثك بعد أن اندهش منك "بولاك"، قلت لنفسى: "إنه رجل قادر على أن يفعل كل شئ".

- ها.. ها! يالك من رجل .. أتدري ذلك؟

- بالتأكيد. تذكر : تتكون آلية خطتنا من ثلاثة أجزاء صغيرة لا بد أن تتشابك بإحكام رغم أن كل جزء منها منفصل عن الآخر. أول جزء هو الاختطاف. والجزء الثاني هو سفرك إلى "روساريو" حيث ستقيم هناك وتطلب متعلقات بارسوت وتتسلمها باسمه. والجزء الثالث هو عملية القتل نفسها ثم التخلص من الجثة؟

- وهل سنتخلص من الجثة؟

- بالطبع .. إما باستخدام حامض النتريك أو بقذفها داخل أحد الأفران، وفي هذه الحالة سنحتاج إلى درجة

حرارة ٥٠٠ درجة مئوية لتتأكد من أن العظام أصبحت رماداً.

- كيف عرفت كل ذلك؟

- تذكر أنني مخترع. آه ويمكننا أن نستغل جزءاً من الـ ٢٠.٠٠٠ بيزو لإنتاج الزهور النحاسية بالجملة. في هذه اللحظة، أعرف أسرة تستطيع أن تصنعها لي. أحد أبنائها ربما يتقدم لعضوية جمعيتك .. وفي الفترة الأخيرة .. ظلمت أفكر في طريقة لإدخال تعديلات على محرك "ستيفنسون" البخاري عن طريق الكهرباء المغناطيسية. فسيصبح أكثر بساطة بحوالي مائة مرة. هل تعرف ما أحταجه فعلاً؟ أن أبتعد لفترة : أن أذهب في نزهة للجبال، للحصول على قسط من الراحة لإجراء الدراسات.

- هل تذهب إلى المخيم الذي نعهده؟

- إذاً، فأنت توافق على الخطة؟

- شئ واحد فقط ... أين يضع بارسوت أمواله؟

- لقد باع منزلاً قد ورثه منذ ثلاثة أعوام؟

- إذاً فهو يضع المبلغ في حساب للمدخرات؟

- لا .. بل في حسابه الجاري.

- ألا يعيش من فوائده؟

- كلا .. بل ينفق ماله كله شيئاً فشيئاً .. فهو ينفق

٢٠٠ بيزو شهرياً، ويقول إنه سوف يموت قبل أن ينفقه بالكامل ..

- شئ غريب. ما هذا الرجل؟
- رجل قوي .. وقاس .. يجب أن نخطط لعملية الاختطاف جيداً لأنه سوف يقاومنا كحيوان مفترس ..
- حسناً ..
- آه .. قبل أن أذهب، هل ستخبر البلطجي بكل هذه الأمور؟
- لا .. لا. إنه سر بيننا نحن الاثنين .. فمهمة البلطجي هي تنظيم بيوت الدعارة .. هذا هو كل شئ. سوف ترد المال لشركة السكر غداً، أليس كذلك؟
- بلى ...
- الآن سأفكر في الأمر. أعرف أحد المزورين الذي يمكنه تزوير وثيقة من وزارة الحربية..
- مشى إردوسين في الحجرة جيئاً وذهاباً ثم أردف :
لا بد أن تكون عملية الاختطاف يسيرة .. تذهب إلى روساريو ثم ترسل برقية من السنترال هناك .. وعندما ترتكب الجريمة ...
- هذا لن يكون الشخص الوحيد الذي سنرتكب
- ماذا؟
- بالطبع لا .. ثمة شخص آخر : يهمني أن أحفظ بكل شئ سرّاً داخل الجمعية. سوف أشرح لك .. سوف يكون لدينا خلايا ثورية في كل ركن من أركان الأرجنتين.

وستتمركز اللجنة المركزية هنا في العاصمة. وسوف تتكون مما يلي : كل قائد مقاطعة سيكون عضواً في اللجنة. وسيكون كل قائد ضاحية عضواً في لجنة العاصمة للضواحي، وكل رئيس مدينة سيكون عضواً لمجلس العاصمة للمدن وهكذا ...

- ألا يبدو هذا معقداً نوعاً ما؟

- لا أدري. سوف نحل هذه المشكلة. لقد فكرت في بعض التفاصيل التنظيمية الأخرى أيضاً. كل خلية سيكون لديها مرسل ومستقبل لاسلكي، وكل عشرة أعضاء يشتركون في شراء سيارة وعشر بنادق ومسدسين آليين. وكل مائة عضو سيكونون مسئولين عن شراء طائرات حربية وقنابل وهكذا. وكل الترقيات سوف تختص باللجنة المركزية. وكل التعيينات قليلة المستوى سوف تتم من خلال التصويت. ولكن الآن حان وقت النوم. ثمة قطار سيصل في خلال دقائق .. أم أنك تفضل النوم هنا؟

لم يك لدى إردوسين سبب واقعي لعدم للمغادرة. لقد دقت الساعة الثالثة، وكل ما قاله العراف في النهاية مر على إردوسين وهو يشعر بالدوار. فلم يستوعب أكثر من ذلك. إنه في حاجة إلى أن يرحل بعيداً، هذا هو كل شيء : أن يرحل بعيداً.

تصافح الاثنان ثم ودعه العراف في أعلى السلم، ثم أخذ إردوسين سبيله عبر الحديقة وهو مرهق. عندما التفت لينظر عبر الظلال، كانت النافذة المضيئة تسطع كمستطيل أصفر اللون وسط الظلام.

فوق الشجرة



شرع الفجر في البزوغ. ولا يزال إردوسين سائراً على ملق من الحجارة المكسورة داخل الحقائق ذات الأسوار. بدأت حرارة الصباح الباكر تتخلل أقصى خلية في رئتيه المرهقتين. ولكن لا تزال السماء مظلمة فلا يمكن رؤية أي شئ على مسافة بعيدة. وفي الطرف البعيد من متاهات الشوارع. كانت هناك خطوط قليلة من الضوء الأخضر تلمع في السماء. كان إردوسين يقول لنفسه وهو يواصل السير :

- شئ موحش كالصحراء الموحشة. في هذه اللحظة، تنام إلسا معه^(١) ...

أخذت قطرات من الندى تسيل عبر الشوارع خلال ضوء الفجر الذي يبدو كصفحة الماء. قال إردوسين لنفسه :

- ومع ذلك فلا بد أن أكون قوياً. أتذكر عندما كنت طفلاً، كنت أتخيل أن رجالاً عمالقة يمشون فوق قمم السحاب باسطي أيديهم، ويغطي أطرافهم النور. في الحقيقة كانوا يسيرون في أرض السعادة التي كانت بداخلي.

ثم أردف :

- آه ... إن فقدان الحلم كفقدان الثروة تماماً ... ما

(١) بعد ذلك عرف إردوسين أنه في تلك اللحظة بالضبط كانت إحدى الممرضات تعتني بها. إذ صدرت إشارة سيئة المعنى من الكابتن جعلت إلسا تقذف نفسها خارج السيارة، حيث عرفت أنها قد وقعت في ورطة ثم ذهبت إلى المستشفى وهناك اعتنت بها كبيرة الممرضات إذ أدركت أنها تتعامل مع امرأة تكاد تفقد عقلها (المعلق).

الذي أقوله؟ بل أكثر سوءاً. لابد أن تكون قويّاً، ولا تكن رحيماً مهما تكن مرهقاً وتقول لنفسك : " أنا مرهق الآن"، ربما أشعر بالندم على كل شئ الآن، لكن الأمور ستختلف غداً. هذا ما سيكون غداً.



أغمض إردوسين عينيه، تملأ رائحة القرنفل والبلسم الجو بصورة كرنفالية غريبة. فقال إردوسين لنفسه :

- بالرغم من كل شئ، لابد أن تمتلئ الحياة بالفرحة. هذه ليست طريقة للعيش، هذا ليس صحيحاً. لابد أن يكون هناك نوع ما من السعادة التي تعلو فوق البؤس. لا أدري .. شئ أكثر نبلاً من وجوهنا البشرية الكالحة، حقيقتنا البشرية الفظيعة، إن العراف على حق. لابد أن ننغمس في عالم الزيف، عالم الأكاذيب المبهرة. أن نعبد شخصاً. أن نمهد طريقاً وسط تلك الغابة من الغباء .. ولكن كيف؟

واصل إردوسين مناجاة نفسه بينما تشيع الشمس اللون الوردى على وجنتيه :

- ما الذي يهم إن كنت قاتلاً أو منحلاً؟ هل يهم؟

لا. إنها مشكلة تافهة. ثمة شئ أكثر أهمية بكثير من تحقيق البشرية كلها، وهو السعادة. لو كنت أستطيع أن أفرح، إذا جعلتني السعادة في حل من ارتكاب الجريمة. السعادة هي كل ما يهم .. وحب شخص ما ...

تحولت السماء إلى اللون الأخضر على مسافة بعيدة بينما لا تزال جذوع الأشجار يغمرها ظلام خفيف. قطب إردوسين حاجبيه. وبدأ شريط الذكريات يترى في ذهنه، الضباب ذهبي اللون، القضبان اللامعة التي تمتد على مسافة بعيدة في منظر طبيعي وقت المساء تحت ظله الشمس. وبرز على السطح وجه فتاة صغير شاحب ذو عينين ينعكس منهما الضوء وجدائل شعر أسود تتدلى من طرفي القبعة.

منذ سنتين .. لا.. بل ثلاث سنوات .. نعم ثلاث سنوات مضت. ماذا كان اسمها؟ ماريا؛ ماريا إيثر. ماذا كان ذلك؟ كان وجهها الحلو يبعث الدفء في ليالي عالم خيالية. إنه يتذكر جيداً! كان جالساً بجوارها، وكانت الريح تهز جدائلها السوداء، وفجأة مد يديه ووضعها حول ذقنها. أين يمكن أن نكون الآن؟ أي سقف قد تنام تحته الآن؟ لو رآها، هل يمكن أن يتعرف عليها؟ منذ ثلاث سنوات كان قد التقى بها في القطار، وتحدث معها لبضع دقائق لمدة أسبوعين أو أكثر، ثم اختفت. كان هذا هو كل شئ. لم تعرف أنه متزوج. ماذا كان يمكن أن تقوله لو كانت عرفت؟ نعم.. إنه يتذكر الآن. كان اسمها ماريا. لكن، ماذا يهم في ذلك؟ إطلاقاً. بل لا بد أن هناك شيئاً غالياً في هذا الأمر: الدفء الدقيق الذي انبعث من عينيها اللتين كانتا تبدوان مرة خضراوين ومرة بنين.

وصمتها. تذكر إردوسين رحلات القطار وهو يجلس بجوارها، وهي تضع رأسها على كتفه، يلف جدائلها حول إصبعه، وهي ترتعش في صمت. لو تعرف أنه يخطط لقتل شخص ما، فما الذي يمكن أن تقوله؟ ربما حتى لا تفهم كلمة القتل. يتذكر إردوسين كيف تحاول أن تقترب منه وهي تشعر بالخجل كتلميذة صغيرة لتلمس خديه الحشنيين، ومدى السعادة التي فقدوها وهي كل ما يحتاجه للتخلص من كل آثار بشاعة وجه الإنسان.

بدأ إردوسين الآن يسائل نفسه : لماذا يفكر في كل ذلك؟ ما الحق الذي يملكه؟ هل يحق للقتلة الصغار التفكير؟ ورغم كل ذلك، هناك شيء بداخله يبرر وجود العالم. هل هو الذل أم الحب؟ لا يدري، لكنه يشعر بأن نوع من الجمال في هذا التفكك هو الذي يسيطر على العالم. يبدو له أنه إذا أصيبت روح المسكين بالجنون فإنها ستستمتع بهجرها للأحزان السائلة في الأرض. وتحت هذا الشعور بالأسى، تدفع الشخص قوة ساهرة لا يمكن مقاومتها إلى أن يلوى شفثيه بازدراء.

الآلهة موجودة. فهي تحيا خفية تحت بشرة بعض الناس الذين يستطيعون أن يتذكروا الحياة على هذا الكوكب عندما كانت الأرض لا تزال صغيرة. وإردوسين أيضاً يملك إلهاً بداخله. هل هذا ممكن؟ إنه لا يزال يشعر بوجهه ينبض إثر الصفعة التي وجهها له بارسوت، فبدأت القوة التي لا يمكن مقاومتها تلح عليه مرة أخرى : إنه يملك إلهاً خفياً تحت بشرته التي تغمرها الآلام. فهل كود السجن يبرر عقاب إله قاتل؟

ماذا سيقول القاضي إذا ما أجابه : " أذنبت لأنني أملك إلهًا بداخلي؟ "

ومع ذلك، أليس هذا حقيقي؟ هذا الحب .. هذه القوة التي تسري بداخله عند الفجر تحت الأشجار التي يتساقط منها الندى، أليس هذا دليلاً على طبيعته شبه الإلهية؟ مرة أخرى تبرز ذكرياته لتسيطر على عقله : وجه يضاوي شاحب وعينان خضراوان وجدائل سوداء تتمايل إثر نسيم عليل لتضرب وجنتيها. كم يبدو الأمر بسيطاً. إنه يشعر بنشوة تجعله لا يحتاج إلى أن يتكلم. ورغم ذلك يفكر بتلك الطريقة الجنونية في التلميذة تحت الأشجار التي تتساقط منها قطرات الندى. ما السبب الآخر الذي جعل روحه تختلف عما كانت عليه من عذاب في الليلة الماضية؟ أم أنه في مثل تلك الليالي فقط تضطلع بالأفكار السوداء؟ حتى لو كان ذلك حقيقة، فلا يهم إنه الآن رجل آخر. إنه يتسم تحت الأشجار. أليس كل ذلك غريباً؟ البلطجي المخبول، والفتاة العمياء المنحرفة، وإرجويتنا ومسيحه المزعوم، والعراف، وكل تلك الأشباح غير المفهومة التي تتحدث لغة البشر، والتي تضع اللحم فوق الكلمات ماذا يمثل الجميع بالمقارنة به وهو يستند إلى دعامة بجوار نباتات " الحلوة " ⁽¹⁾ المتسلقة، وهو يشعر بالحياة تسري في صدره.

إنه رجل آخر صنعه تخيله لطفلة تضع رأسها على كتفه داخل إحدى عربات القطار. يغمض إردوسين عينيه ورائحة

(1) الحلوة wisteria : نباتات معترشة متسلقة من عائلة البازلاء ذات أوراق مركبة ريشية الشكل وعناقيد متدلية من الأزهار البيضاء أو الأرجوانية . (الترجمان).

التراب النفاذة تجعله يقشعر. ويشعر بدوار ناتج عن إرهاق شديد قد حل بجسده.

يأتي شخص ما نحوه عبر الطريق. يصل إلى مسامعه صوت صفارة أجش يصدر من المحطة. وثمة أناس آخرون يرتدون الطواقي أو القبعات المائلة يمرون أمامه من بعيد. ما الذي يفعله هنا بحق السماء؟ طرف إردوسين بإحدى عينيه وهو يدرك أنه يتحايل على ربه فيمثل دوراً كوميدياً لشخص علج عن أن يتحاشى لعنة الرب عليه. ومع ذلك فثمة أفواج من الظلمات تمر أمام عينيه من حين لآخر، ويسيطر على مشاعره نوع من الثمالة الكئيبة.

إنه يرغب في أن ينتهك شيئاً ما؛ ينتهك الفطرة. لو أن هناك أكواماً من القش بجواره لأشعل فيها النار. انتفخت أوداجه عندما ألقى نظرات يملؤها البغض، وظهرت على وجهه تعبيرات الجنون. وفجأة رأى شجرة سنط، فقفز في الهواء وأمسك بأحد فروعها وتعلق به وأخذ يضرب الجذع برجليه، ثم وضع كوعه على قمة الفرع وتمكن من الوصول إلى زاوية التحام فرعين منها.

انزلق حذاؤه فوق لحاء الشجرة، فلطمت الأغصان الصغيرة وجهه لكنه تسلق لأعلى ممسكاً بغصن آخر، وبدأ ينظر من بين الأغصان المبللة بالندى. الآن يستطيع أن يرى الطريق تحته ملتفاً وسط جزر من الأشجار الكثيفة.

الآن .. يجلس فوق الشجرة. لقد انتهك الفطرة. لأجل ذلك فقط، لا لسبب آخر، انتهك الفطرة كشخص يقتل أحد المارة

لجرد أنه اصطدم به لكي يرى ما إذا كانت الشرطة ستلاحقه. في الناحية الشرقية تظهر المداخل الكثيرة في السماء التي تتخللها خيوط خضراء. وفي الخلف تظهر أرض "بانفيلد" بأشجارها المدهامة كأنها أسراب من الفيلة. ومع ذلك فلا يزال يشعر بالسعادة. فقرر أن يبذل مجهوداً أخيراً، فشرع يصرخ :

- هيه ... أيتها الوحوش النائمة .. هيه .. أقسم إن لكن .. لا .. أريد أن أنتهك قوانين الفطرة، لذا .. ابقوا هادئين أيها الحيوانات الضئيلة. لا .. إن ما أود أن أعظكم به إنما هو شئ جريء : حياة جديدة .. إنني أتحدث إليكم من فوق الشجرة، لكني لا أجلس فوق "شجرة الصمغ" .. بل فوق شجرة السنط.. هيه .. أيتها الوحوش النائمة!

تلاشت قوته فجأة، فنظر حوله وكأنه ذهل لأنه وجد نفسه في هذا الوضع. ثم تفتح وجه الفتاة البعيدة في عقله كما تفتح الوردة. وفجأة شعر بالخزي⁽¹⁾ من الوضع الذي هو فيه، فنزل عن الشجرة .. وهو الآن مقهور ... وكسير ...

(1) ذكر لي إردوسين تفسيرين لهذه الحالة. التفسير الأول كان أنه شعر بالسعادة لادعائه الجنون مثل شخص "شرب زجاجة خمر ويدعي أنه ثمل بهدف خداعهم". كان إردوسين يبتسم ابتسامة حزينة وهو يذكر لي ذلك. وأخبرني بأنه عندما نزل عن شجرة السنط شعر بالخزي بنفس الطريقة التي يشعر بها شخص يرتدي ملابس حفلة تنكرية ثم تتكشف شخصيته فجأة أمام الحضور. لكن بدلاً من أن يجعلهم يضحكون، يسمع ملاحظات ساخرة مثل : "كنت قد سئمت نفسي ففكرت في الانتحار ولكن مع الأسف لم يكن معي المسدس، وعندما كنت أدخل ملابي في البيت، أدركت أنني نسيت المسدس في حيب البنطلون". (المعلق).

الفصل الثاني

التنافر

قضى إردوسين الأيام التي يفترض فيها أن تتم عملية اختطاف بارسوت في غرفة استأجرها بعد أن أعاد المال إلى شركة السكر. وأصبح خائفاً من الخروج، ولم يفكر أبداً في عملية الخطف المخطط لها وامتنع حتى عن زيارة العراف. وبدلاً من ذلك، كان يقضي يومه واضعاً رأسه فوق قبضة يديه على وسادته. أو كان أحياناً ما يقضي ساعات طويلة وهو ينظر إلى الحائط فيتخيل أنه يرى فوقه شريطاً من الأحلام واليأس. في تلك الأيام لم يستطع حتى أن يتذكر وجه إلسا :

- لقد اختفت من عقلي بصورة غامضة.. لقد بلغ مني
الجهد مبلغه مجرد أن أتذكر ملاحظاتها..

بعد ذلك كان يستغرق في النوم أو يتغلب على أي شيء آخر يدور بذهنه.^(١) وحاول دون جدوى أن يركز على مشروعين اثنين كان يعتبرهما من الأهمية وهما تعديل الحركات البخارية حسب النظرية الكهرومغناطيسية وفكرة إنشاء صالون للكلاب حيث يمكن للناس إحضار حيواناتهم الأليفة لصبغ شعرها باللون الأزرق، وصبغ كلاب البولودوج باللون الأخضر الفاتح، وكلاب الصيد باللون الوردى، والكلاب الصغيرة الثعلبية باللون الأرجواني، وطبع صور

(١) بالإشارة إلى تلك الأيام، قال لي إردوسين: "ظننت أنني منحت روحًا تستمتع بجمال العالم: ضوء القمر وهو يسطع خلف سحب الليل البرتقالية، قطرة من الندى تتمايس على قمة زهرة. عندما كنت طفلاً، كنت أظن أن الحياة تحمل شيئاً رائعاً وجميلاً لي. لكن عندما بدأت اكتشف حياة الآخرين، واكتشفت أن كلاً منهم كان يسأم حياته كما لو أنه يعيش في أرض لم يتوقف عنها المطر أبداً فترك أخايد عميقة من الماء داخل عيونهم ما أدى إلى تشويه بصيرتهم نحو العالم. ثم أدركت أن الأرواح تنتقل فوق هذه الأرض كالأسماك التي اجتازت داخل حوض. إن الحياة الحقيقية والزائفة تكمن خلف الأسوار الزجاجية التي يغطيها العشب الأخضر؛ فهناك كل شيء مختلف، فهو مكان مملوء بالحيرة والتنوع، وأما الكائنات الجديدة من هذا الخلق الرائع تجول خلال هذا الجو الغريب". ثم أضاف إردوسين: "لا فائدة.. لا بد أن أهرب من هذا العالم" (المعلق).

كثيرة لغروب الشمس على ظهور كلاب الحظن (الصغيرة
)، ورسم خطوط على بعض الكلاب الصغيرة الأخرى لتبدو
كالسجاد الفارسي. إنه في عذاب مستمر. في إحدى الليالي
استغرق في النوم فرأى الحلم التالي :



كان يعرف أن إحدى الأميرات الأسبانيات مغرمة به. هذا
بالإضافة إلى أنه كان خادم جلالة الملك ألفونسو الثالث عشر،
وهذا ما جعله في غاية السعادة لأن ذلك يعني أنه محاط
بجنرالات يسعون دائماً إلى معرفة أسرارهم. وصفحة البحيرة
التي تبدو كالمرآة تنتهي عند بذور أشجار مورقة بين أزهار
ناصعة البياض، بينما تمسك الأميرة الرقيقة ذراعه وتقول له
بلهجتها الأسبانية:

- هل تحبني يا إردوسين ؟

انفجر إردوسين في الضحك ورد عليها بطريقة مهينة، وفي
تلك الأثناء لمعت دائرة من السيوف أمام عينيه فشعر وكأنه
يغرق، ثم مزقت كارثة تلو أخرى قارات العالم إلى أجزاء

متباعدة، لكنه لم يبال لأنه كان نائماً لمئات السنين في كوخ من الرصاص في قاع البحر. خارج نافذة الكوخ كانت هناك قروش بعين واحدة تحوم بشكل خيف، فضحك إردوسين ضحكة من لا يبغى لأحد أن يسمعه. الآن كل أسماك البحر بعين واحدة. وهو إمبراطور مدينة الأسماك ذات العين الواحدة. وهناك سور ليس له نهاية كان يحيط بالصحراء التي تبدو عند حافة البحر، وكانت السماء الخضراء تبدو صدئة فوق الحجارة. وثمة جماعات كبيرة من الأسماك ذات العين الواحدة والمخلوقات المسوخة المصابة بالجذام البحري ترتطم بجوانب الأبراج الحمراء، بينما يضرب رجل أسود مصاب بالاستسقاء وثناً مصنوعاً من الملح بقبضة يده.

في أحيان أخرى، كان إردوسين يتذكر لحظات كان فيها يعلم مسبقاً ما سيحدث له كما أخبر الكابتن في تلك الليلة المشؤومة. فقد انتابه إحساس مريب بالفرع؛ إحساس بالبقاء في انتظار الواقع بطريقة تجعله الآن يقول لنفسه: " كنت على حق، فقد كنت أعرف طوال الوقت ".

تذكر أيضاً كيف كان ذات ليلة يتحدث مع إلسا فاعترفت - في لحظة صلق - بأنها إذا لم تكن قد تزوجت بالفعل لكانت قد ظلت عزباء، ولكانت اتخذت لها حبيباً بدلاً من زوج. فسألها إردوسين:

- هل تقصدين ذلك فعلاً؟

فأجابته إلسا من فوق السرير الآخر بقسوة:

- نعم .. بالطبع. كنت اتخذت عشيقاً ... ما الهدف من

الزواج؟

أحس إردوسين بصمت قاتل وغريب يزحف فوقه فطرح جسده منبطحاً وكأنه وضع داخل تابوت. ربما في تلك اللحظة تحطم بداخله الحب اللاإرادي الذي يكنه الرجل نحو المرأة، وهو ما جعله يواجه مواقف مروعة لم يكن قادراً على مسايرتها. لقد أحس بأنه داخل أعماق إحدى المقابر وأنه لن يرى ضوء النهار مرة أخرى. ووسط الصمت الدامس الذي ملأ المكان، شرعت الأشباح التي استدعاها صوت زوجته في التحليق أمام ناظره.

فيما بعد - عندما أراد إردوسين أن يفسر هذا الحدث - تذكر أنه استلقى على سريره دون حراك خشية أن تقلب هذه الحركة تلك التعاسة المروعة إلى يأس قاتل لا يرحم.

كان قلبه يخفق بشده. وفي كل مرة ينقبض فيها، كان يشعر بأنه يزيح كتلة طمي ثقيلة لزجة من فوقه. ولم تكن هناك فائدة من محاولته الوصول إلى ضوء الشمس الذي يعن له على مسافة بعيدة. ولا يزال صوت زوجته يرن في أذنيه :
- ما كنت لأتزوج أبداً.. كنت اتخذت لي عشيقاً..

تلك الكلمات القليلة التي لم تستغرق أكثر من ثانيتين اثنتين ستبقى ملازمة له طيلة بقية حياته. أغمض عينيه بمجهود بالغ. لا بد أن تبقى معه تلك الكلمات طيلة حياته، تتضخم بداخله كورم خبيث. وأحس بأسنانه تصر. فأراد أن يعاني أكثر من ذلك؛ أن ينهك ذاته في الآلام؛ أن ينزف حتى يجف دمه وسط العذاب والآلام المفرطة. فامتدت يده نحو فخذه

وهما جامدتان كالجثمان المسجى في كفنه، ولم يجرؤ على التنفس حين سألها في همس واهن :

- وكنت أيضاً ستحيينه؟

- لماذا؟ ... من يدري .. آه .. نعم، فلو كان عطوفاً علي ..
لم لا؟

- أين كنت ستقابليه؟ .. إنهم لا يسمحون بتلك الأشياء في بيتكم ...

- في فندق أو أي مكان آخر ..

- آه!

لاذ كلاهما الصمت. ولكن لأن التعاسة قد أحاطت إردوسين من كل جانب، تخيل زوجته تسير على رصيف شارع صخري كقاع النهر. فغطى سائر مظلم نصف وجهها وهي تهرول بسرعة بخطوات ثابتة نحو المكان الذي اختارته حسب رغبتها. فأراد إردوسين أن يطفئ آخر ومضة من بصيص الأمل المتبقي لديه فابتسم ابتسامه زائفة لم ترها إلسا وسط الظلام. فقال لها بصوت رقيق لدرجة أنها لم تلاحظ اختلاج شفثيه وهو يتحدث إليها :

- لاحظي أن الشيء الرائع في الزواج هو أننا يمكننا التحدث في كل شيء كأخ وأخته .. لكن قللي لي ... هل كان يمكن أن تتعري أمامه؟

- لا تقل مثل هذا الهراء ...

- لا .. بل فقط أخبريني .. هل كان يمكن أن تتعري أمامه؟

- نعم .. بالطبع! لا يمكن أن أظل بملابسي، أليس كذلك؟

شعر إردوسين بأنه ينهار تماماً كما لو أن شخصاً قد شق عموده الفقري بفأس. وأصبح حلقه شديد الجفاف وكأنه قد ابتلع ملء فمه نارا. وكاد قلبه أن يتوقف عن الخفقان. وانبعث الضباب من عقله إزاء عينيه. فكان يسقط في هاوية من السكون والظلمة، ساجداً ببطء في أعماق العدم بينما تستمر كتلة اللحم المصابة بالشلل في وجودها حتى تتمكن من أن تسجل كل لحظة من لحظات الألم. لم ينس بنت شفة رغم أنه كان يتمنى أن يجهد بالبكاء، أو أن يركع على ركبتيه أمام شخص ما ثم ينهض ليرتدي ملابسه ويترك بيته ويذهب لينام في إحدى الحارات أو في أطراف مدينة مجهولة.

صرخ إردوسين وهو يستشيط غضباً :

- ألم تفهمي .. ألم تدري أي ألم قد سببه لي ما قلتيه؟ لا بد أن أقتلك ... يالك من مومس ! لا بد أن أقتلك .. يجب أن أفعل ذلك فعلاً .. ألم تفهمي؟

- ما الذي دهاك ؟ هل جنت؟

- لقد دمرت حياتي .. الآن أفهم لم لم تهبي لي نفسك أبداً، لماذا أجبرتيني على ممارسة العادة السرية؟ .. نعم هذا أيضاً. لقد تحولت بسبك إلى خرقة بالية. لا بد أن أقتلك ..

يستطيع الآن أي فرد أن يأتي إلي ويصق في وجهي. ألم تفهمي؟ ورغم أنني أسرق و أغش وأعاني من أجلك، فأنت .. نعم .. هذا ما تفكرين فيه .. تفكرين في أن تهبي نفسك لرجل صالح!

- هل جننت؟

قام إردوسين ليرتدي ملابسه بغضب :

- إلى أين أنت ذاهب؟

كافح إردوسين داخل المعطف الذي ارتداه، ثم استند إلى سرير زوجته وقال لها :

- أتريدين أن تعرفي إلى أين سأذهب؟ سأذهب إلى بيت للدعارة ... لآخذ جرعة من الزهري!

البراءة والبلاهة



لم يستطع كاتب أحداث هذه القصة أن يغامر بإعطاء وصف لإردوسين، فحظوظه السيئة كانت كثيرة جداً للدرجة أن جميع الكوارث التي سببها بعد ذلك بالتعاون مع العراف يمكن تفسيرها فقط من خلال الآلام التي عاناها أثناء زواجه.

وحتى عندما أقرأ اعترافات إردوسين مرة أخرى، لا أستطيع أن أصلق أنني كنت أستمع إليه وهو يكشف ذاته بتلك الطريقة البشعة. ولأن الآلام كانت تصرعه فلا بد من إعفائه من الخزي والعار.



أتذكر ذلك جيداً. فإثناء الأيام الثلاثة التي قضاها عندي في البيت قصص علي كل شيء. لقد تقابلنا في غرفة كبيرة مضاءة إضاءة خافتة وليس بها أثاث تقريباً. جلس إردوسين على حافة المقعد مائلاً للأمام وواضعا كوعيه فوق ركبتيه وهو يخفي

وجهه بين يديه. كان ينظر إلى أرض الغرفة طول الوقت.

كان يتحدث برتابة. وبدون انقطاع وكأنه يردد درسًا في محيط وعيه المبهم تحت ضغط يعادل ألف رطل. وكلما تحدث، لم تتنوع نغمات صوته، بل يظل صوته على وتيرة واحدة كضربات البندول.

إذا قاطعت حديثه فلا يغضب، بل يبدأ مرة أخرى من البداية مضيفاً إلى كلامه تلك المعلومة التي سألته عنها، ولم يرفع وجهه عن الأرض ولو لمرة واحدة، واضعاً كوعيه على ركبتيه. كان يتحدث ببطء لأنه يهتم بكل جزئية مما يقول ويحاول بقدر إمكانه أن يتجنب اللبس.

كان يكس خوفاً فوق خوف دون أن يبدي أي أثر للانعكالات. كان يعلم أنه سيموت، وأن قصاص هذا الرجل سيلاحقه بلا رحمة، ومع ذلك فهو كما هو، يضع المسدس في جيبه، ويضع كوعيه فوق ركبتيه، ويخفي وجهه بين يديه، وينظر إلى الغرفة الخالية الصدئة، ويتحدث دون أثر لعاطفة في صوته.

لقد أصبح سخيلاً للغاية خلال بضعة أيام. وأضفت عليه بشرته الشاحبة التي تمتد فوق عظام وجهه المسطحة شكلاً كأنه شخص أصابه السل. فيما بعد أثبت تشريح الجثة أن المرض كان يدمره. في اليوم التالي لإقامته بمنزلي قال لي :

- قبل أن أتزوج .. كان يتتأني الفرع عندما كنت أفكر في الزنا. ففي اعتقادي أن الرجل يتزوج المرأة لكي يكون معها دائماً، ويستمتع كل منهما برؤية الآخر طوال الوقت، ويعبر

كل منهما عن حبه بلغة العيون وبالكلمات والابتسامات. لقد فكرت بهذه الطريقة فعلاً عندما كنت صغيراً جداً، لكن عندما خطبت إلسا، أحسست بأنني في احتياج إلى أن أجدد إيماني بكل هذه الأمور.

تحدث إردوسين كثيراً. وقال لي إنه لم يقبل إلسا أبداً لأنه كان يسعه أن يدع دوار حبه لها يثبث النشوة في حلقة، كما أنه يعتقد أن " المرء لا ينبغي عليه أن يقبل سيدة شابة ". لذا فقد حول رغبته الجسدية إلى رغبة روحية. لقد قال لي :

- لم نكن حتى نوجه كلامنا لبعضنا البعض بالطريقة المعتادة لأنني كنت أحب الحاجز الذي أقامته الطريقة الرسمية في الحديث بيننا - كما أنني أيضاً أعتقد أن الرجل لا يجب أن يتعود على سيدة شابة بسهولة، لا .. لا تضحك. حسب تفكيري يعتبر مصطلح "سيدة شابة" تعبيراً أصيلاً عن كل ما هو برئ وكامل وطاهر. عندما أكون بجوارها لا أشعر بالرغبة فيها وإنما كنت أشعر بنوع من النشوة الجامحة التي كانت تملأ عيني بالدموع. وكنت أشعر بالسعادة وأنا أعاني من حبها غير مدرك الهدف الحقيقي وراء رغبتي، فكنت أعتقد أن رغبتي ليست سوى عاطفة روحية أكثر منها فورة جسدية دنيئة تجعلني عبداً لنظراتها الباردة، تلك النظرات المتفحصة التي كانت تخترق طبقات روحي المضطربة ببطء شديد.

كنت أراقب إردوسين وهو يتحدث بهذا الأسلوب. الآن هنا قاتل، قاتل، يتحدث بهذا الأسلوب عن مشاعرنا الرقيقة. واصل إردوسين حديثه قائلاً :

- وفي ليلة زفافنا عندما كنا بمفردنا في غرفة الفندق، خلعت ملابسها بطريقة طبيعية جداً في ضوء المصباح. فالتفت بوجهي بعيداً عنها حتى لا تلاحظ مدى شعوري بالخروج. ثم قمت بفتح ياقة القميص، وخلعت سترتي، ثم حذائي. وبعد ذلك، انسلت تحت الملاءة ولازلت أرتدي البنطال. فنظرت إلى الجداول السوداء التي تتدلى فوق وجهها وقالت لي وهي تضحك : هل ستحل تلك الجداول؟ أزوها فوراً ولا تكن سخيّاً ..

بعد مرور وقت على زواجهما، كانت هناك مسافة فاصلة تفصلهما عن بعض. لقد سلمت نفسها له لكن باشمئزاز دائم إذ أنها قد أحست بأنه خدعها بطريقة ما. عندما ركع على ركبتيه بجوار السرير وتوسل إليها أن تستسلم له ولو للحظة واحدة، أجابته بصوت يسيطر عليه الغضب قائلة:

- دعني وشأني .. ألا ترى أنك تسبب لي القرف؟

لأن إردوسين خشي من وقوع كارثة، عاد إلى مكانه فوق السرير. لقد قال لي إردوسين :

- لم أرد النوم .. بل جلست معتدل القامة واضعاً وسادتي خلف ظهري .. أعلم أن ذلك لم يكن له أي معنى، لكنني ظننت أنها لو استطاعت أن تفهم أنني شخص ضائع وأشعر بالوحلة وسط عالم من الأشباح فربما تشعر بالشفقة على حالي وربما تقول لي في نهاية الأمر : "حسناً .. تعال إلى جواربي إن كنت ترغب في ذلك" .. لكنها لم تقل أي كلمة أبداً أبداً حتى إنني صحت فيها ذات مرة وقد ملأ اليأس قلبي

قائلاً : "هل تعتقدين فعلاً .. أنني سوف أمارس العادة السرية
إلى الأبد؟"، في تلك اللحظة ردت دون أن تتحرك مشاعرها
قائلة : "لا فائدة .. ما كان ينبغي أن أتزوجك".

البيت الأسود

سيطر العذاب على إردوسين بصورة مؤلمة إلى درجة أنه أمسك برأسه بشدة كما لو كان الألم على وشك أن يسبب له الجنون. وعندما كانت كل فكرة جديدة تهز كيانه كان يشعر وكأن مخه ينفرط وتضطرم مكوناته المنفرطة بجدران جمجمته. كان يعرف أن حياته قد ضاعت ولا يمكن أن يستعيدها مرة أخرى. وكان يعلم أن أن ليس هناك بصيص من أمل يمكن أن يعيد الدماء لتجري في وجنتيه الشاحبتين. كان يفهم أن القدر قد زج به في عالم مقلقل حيث يعيش المنيذون الذين نشروا في كل ربوع الحياة كل أنواع الرذيلة والآلام.



لقد تبخر كل أمل لديه. كما تزايد خوفه من الحياة خاصة عندما أدرك أنه لم يعد لديه أحلام يمكن أن تحفزه على الاستمرار، وعندما أدرك - وهو ينظر إلى الركن البعيد من الغرفة - أن الأمر سيان بالنسبة له، إذا ما عمل في غسيل الأطباق أو إذا ما عمل شيئاً أو حارساً بأحد المداخل. ما الذي

يعنيه الأمر بالنسبة له؟ لقد رمته آلامه وسط عالم الصمت الذي يغص برجال من البشاعة ينشرون حقارتهم من خلال بيع أفكار تافهة ونظريات يدعون قدسيتها. وأثناء الليل يتجولون في المراحض العامة حيث يستعرضون أعضاءهم التناسلية أمام الفتيات الصغيرات اللاتي جئن إلى تلك الأماكن منساقات وراء رغباتهن التي لا يستطعن السيطرة عليها.

ظل إردوسين يدور بلا نهاية في تلك الأفكار المقززة، وأحس كأنه مسمار دق في قطعة من الخشب لن يتمكن من التخلص منها أبداً. لقد تغلغت الآلام داخل روحه فأشفق على جسده مما سيلاقيه من أقدار؛ هذا الجسد الذي يراه دائماً كلما مر أمام مرآة وهو يحمل وزناً يقارب السبعين كيلوجراماً.

منذ سنوات طويلة، كان إردوسين قد بحث في أفكاره لكي يجد فرصة يستمتع فيها بكل أنواع الترف والسعادة؛ أنواع السعادة اللامادية التي لا يحدها زمن أو حدود مادية. لكن خلال حياته اليائسة التي يعيشها الآن لن يستطيع الهروب من جسده: ذلك الجسد المعذب الذي لم يكن يشعر في كثير من الأحيان أنه جسده بالرغم من إحساسه بالندم لأنه لم يستطع أن يشعر بالسعادة ولو لمرة واحدة.

كان الندم الذي شعر به تجاه وجوده المادي الكئيب عميقاً عمق الألم الذي تشعر به الأم عندما تعجز عن أن تحقق رغبة ابنها. كما أن إردوسين لم يمنح جسده الهالك يوماً بذلة مناسبة أو نوعاً من الإشباع قد يجعله يستمتع بالحياة. فلم يفعل أي

شئ يحقق السعادة لهذا الجسد، ولكنه قد سمح لروحه بكل شئ، حتى السباحة في الخيال في آفاق أماكن لم يستطع الإنسان اكتشافها.

كان يقول لنفسه مرات عديدة :

- ما الذي فعلته لأحقق لهذا الجسد المنهك نوعاً من السعادة؟

في الواقع كان يشعر أن ثمة حدوداً منفصلة عنه تحدد وجوده كالخمر التي يحدها وعاؤها. لكنه اكتشف أن الوعاء الذي يحوي كل شكوكه ويأسه، وهو الشئ الذي يغذي تلك الشكوك واليأس بالدم. إنه جسد منهك وبال لا يمكن لأي امرأة أن تقبل النظر إليه: جسد يعاني من ضغوط الماضي القاتلة حيث أن عقله لم يكن ليحقق رغباته في السعادة. لقد شعر إردوسين بالحزن والأسى على وجوده المزدوج.

لذا - كما يفعل رجل يائس يلقي بنفسه من الدور السابع - قذف إردوسين بنفسه في خضم العادة السرية اللذيذ محاولاً إغراق ندمه في عالم لا يستطيع أي فرد أن يخلص منه، وواضعاً نفسه داخل شرنقة من السعادة لا يمكن له أن يصل إليها في حياته الواقعية. تلك الشرنقة إنما هي مصفوفة مذهلة يحتاج إلى عمر لانهائي وأموال طائلة حتى يمكن أن يستمر بداخلها.

كان ذلك عالماً من الأفكار الهلامية المنتشرة في دهاليز العربة التي تتنكر في ثياب من الحرير والقماش المقصب والمشدات الصدرية الناعمة الباهظة الثمن؛ إنه عالم كضوء

الشمس وقت الغروب. وفي هذا العالم تتسكع الفاتنات وأكثر النساء جمالاً في الكون أمام إردوسين ويعرضن عليه أثداءهن المستديرات كالتفاح الأحمر، كما يعرضن شفاههن المعطرة وكلماتهن المثيرة للغرائز حيال فمه الذي تنبعث منه رائحة السجائر النتنة.

أحياناً ما تبدو هؤلاء النساء كفتيات طوال القامة، فاتنات، ومتكلفات في الزينة، وأحياناً أخرى يظهرن كتلميذات. إنه عالم في صيرورة مستمرة؛ عالم من النساء لا يمكن لأحد أن يطرده خارجه. وهو في هذا العالم يشعر وكأنه شخص متهالك تنظر إليه النساء العاملات في المواخير العتيقة نظرات تملؤها الريبة وكأنه سيخدعن عند دفع الحساب.

أغمض إردوسين عينيه وغاص في أعماق الظلمة الحالكة والحارقة وكأنه أحد المدمنين الذين يدخنون الأفيون عندما يدخل وكرّاً قذراً يملكه رجل صيني تفوح منه رائحة البراز ومع ذلك فإنه يعتقد أنه يقف على عتبة الجنة.

اندس إردوسين خلصة نحو تلك السعادة المحرقة وهو يشعر بالعار، ولكنه يشعر في نفس الوقت وكأنه مراهق صغير يذهب إلى بيت للدعارة لأول مرة في حياته. ظلت الرغبة تطن في أذنيه كما تطن ذبابة الخيل. لكن لا يمكن لأحد أن يطرده الآن من خارج تلك الظلمة الشهوانية. تلك الظلمة تمثل له بيتاً مألوفاً فقد بداخله كل علامة من علامات الحياة اليومية فجأة. وهناك - داخل البيت الأسود - غرق في متع كثيرة لو وجد انسان يعيش مثلها مقاربه فيها أبداً.

رغم أن هذا البيت الأسود قد تأصل داخل أعماق إردوسين، إلا أن إردوسين استطاع أن يدخله بطريقة غير مباشرة متخذاً كل المحاولات الملتوية للوصول إليه. ولكن بمجرد تخطى عتبة بابه أدرك أنه لا سبيل إلى العودة. ففي أعماق دهاليزه السرية التي تغطيها الظلال تقابله نفس المرأة الرشيقة التي جعلت جسده يتيسر من شدة الرغبة وهو لا يذكر إن كان ذلك قد حدث في أحد الشوارع أم في الترام أم في بيت أحد الأشخاص.

وكشخص يُخرج عملات ورقية اكتسبها بطريقة ما من حافظة نقوده ومن أماكن خفية داخل البيت الأسود، جمع إردوسين أشلاء صورة لامرأة تمثل كل المخلوقات. تلك المرأة الوهمية لها ساقا فتاة ترتدي تنورة رفعتها الرياح وهي تقف في انتظار الأوتوبيس فكشفت عن هاتين الساقين. ولها فخذان تذكرهما إردوسين حيث كان قد رآهما من قبل في إحدى البطاقات البريدية الإباحية، ولها ابتسامة واهنة لتلميذة كان قد قابلها منذ فترة طويلة، وعينان خضراوان لصانعة ملابس شابة تذهب كل يوم مع صديقها إلى أحد الملاهي الليلية حيث يقوم الباعة بخلع بناطيلهم المنتفخة من الأمام أمام الفتيات اللائي يستمتعن بالمشاهدة.

تلك المرأة الوهمية التي صنعها من أشلاء كل النساء اللاتي لم يستطع أن يمتلكهن أظهرت له نفس الحنان الذي تظهره الفتيات الحذرات حين يرتبن على أفخاذ أصدقائهن ورغم ذلك يعتبرن أنفسهن طاهرات. توجهت المرأة نحوه وهي ترتدي مشد صدري ضيق فأظهر الجزء الأكبر من ثديها.

وهي تعتبر أن سلوكها غير مشين كسلوك سيّدة شابة تعرف العيب رغم أنها تسمح لأيادي أصدقائها باللعب والتجول في كل مكان تحت قميص نومها.

ثم غاص إردوسين في أعماق البيت الأسود أكثر وأكثر. البيت الأسود! إن إردوسين يمتلك ذكرى مخيفة خاصة بتلك الأيام الخوالي. لقد أحس بأنه يعيش في جحيم حقيقي، تسيطر على عقله سورة مفزعة لا يستطيع أن يتمالك نفسه عندما يتذكرها حتى وإن كان قريباً الآن من الموت بحكم القانون. فعندما يعود بذاكرته إلى تلك الأيام، فإنه يشعر بالخوف الشديد وتلمع عيناه بوميض أحمر يشع كآبة. كما تسيطر عليه آلامه فيتمنى لو استطاع أن يقفز بعيداً فوق النجوم لكي يحرق نفسه بنارها المضرمة التي قد تحو من صفحات حاضره أحداث الماضي الرهيبة التي لا يمكن أن يطيقها البشر.

البيت الأسود! لا أزال أستطيع أن أراه الآن. هذا الوجه الهزيل لرجل نكد يحملق في السقف وهو في وضع مائل. ثم يخفض نظريه إلي ويقول بابتسامة جامدة :

- استمر .. أخبر البشرية ما هو البيت الأسود .. وقل لهم إنني قاتل .. ومع ذلك فإنني - أنا القاتل - قد أحببت كل أنواع الجمال .. كما أنني قد صارعت داخل نفسي كل الإغراءات المروعة التي كانت تنبع من أعماقي ساعة تلو الأخرى .. لقد عانيت لكي أصبح كما أنا الآن، وقد عانيت من أجل الآخرين أيضاً .. هل تفهم؟ من أجل الآخرين أيضاً.

الإشعار



وقعت حادثة الاختطاف بعد رحيل إلسا بعشرة أيام. في الرابع عشر من أغسطس قام العراف بزيارة إردوسين ولكنه لم يكن موجوداً، وعندما عاد وجد مطروفاً كان العراف قد قذف به من تحت الباب. كان المطروف يحتوي على إشعار مزور من وزارة الحربية يشمل عنوان الكابتن "بياوند" بالإضافة إلى ملحق مكتوب فيه: "سوف أنتظرك وبارسوت كل صباح من الساعة العاشرة والساعة الحادية عشرة صباحاً وحتى الساعة الثامنة مساءً. اطرق على الباب قم ادخل مباشرة. لا تأت بمفردك".



جعل خطاب العراف إردوسين يتوقف عن التخيل حتى يمكنه التفكير. لقد نسي بارسوت تماماً. لقد قرر قبل كل شيء

أن يقتله. ولقد لمعت الفكرة في عقله وسط الظلام. "لا بد أن أقتله". ربما يمكن أن نجد المدخل لجنون إردوسين في كلمة "لا بد". عندما سألته عن هذه الكلمة أجابني بقوله: "كان لا بد أن أقتله وإلا ما كنت أعيش بسلام مع نفسي .. لقد كان قتل بارسوت محور حياتي كما أن الماء يعتبر محوراً لحياة البشر".

بمجرد أن قرأ إردوسين الرسالة توجه إلى حيث يتواجد بارسوت. كان بارسوت يعيش في منزل واسع للإيجار يسكن معه مجموعة كبيرة من الناس. كانت مالكة المنزل قد وهبت نفسها للحياة الروحانية ولها ابنة حواء العينين. كانت المرأة تهتم اهتماماً بالغاً بجمع الإيجار إلى درجة أنه إن تأخر أحد المستأجرين عن دفع الإيجار لأكثر من أربع وعشرين ساعة، يأتي ليجد أمتعته قد قذف بها في الشارع.

كان الليل قد أرخى سدوله عندما وصل إردوسين. ولما دخل الحجرة كان بارسوت في منتصف حلاقة ذقنه. شحب لون بارسوت وأوقف موسي الحلاقة فوق صدغه. ثم نظر إلى إردوسين لأعلى ولأسفل وقال متعجباً:

- ماذا تفعل هنا بحق السماء؟

قال لي إردوسين معلقاً على هذا الموقف :

- أي فرد آخر كان يمكن أيضاً أن ينزعج. لكنني ابتسمت له بطريقة ودية لأنني فعلاً أشعر بالود نحوه في مثل تلك المواقف. ثم ناولته الإشعار المرسل من وزارة الحربية. لقد كنت عصبياً من فرط سعادتي فرحت أقطع الحجرة جيئة

وذهابًا .. فقال لي بارسوت : "إدًا فهي في تمبرلي وتريدني أن
أذهب معك لنحضرها إلى هنا!" فقلت له : نعم هذا ما أريده
.. أريد منك أن تذهب لتحضرها ..

ثم تفوه بارسوت بكلمات لم يفهمها إردوسين، وشرع
يدلك عضلات ذراعيه حتى احمر جلده .. وبعد ذلك أمسك
بالموسي ليشذب أطراف شاربه .. ثم التفت إلى إردوسين
وقال :

- هل تعلم؟ لم أظن أبدًا أن لديك الشجاعة فتأتي إلي
وتزورني ..

تحمل إردوسين تلك النظرات البشعة التي تصدر عن
عينين خضراوين خاصة وأن له وجهًا كوجه النمر، فعقب
قائلاً :

- هذا صحيح .. كنت أظن نفس الشيء .. لكن كما ترى
.. يمكن أن تتغير الأمور ..

- هل تخشى الذهاب بمفردك؟

- لا .. لكنني أرغب في أن يكون لك يد في هذا الأمر ...

صر بارسوت أسنانه ولا تزال رغبة الصابون على ذقنه،
ثم نظر إلى إردوسين من رأسه حتى أخمص قدميه وقال :

- اسمع ... كنت أظن أنني شخص سيئ جدًا .. لكنني أظن
أنك ... أنك أسوأ مني .. لكن على أية حال .. كل شيء بيد
الله ..

- لماذا تقول ذلك ؟

نظر بارسوت إلى المرأة واضعاً يده على خصره. لم تكن لأي كلمة تفوه بها بارسوت أية علامة على تأثر إردوسين، ومع ذلك واصل بارسوت حديثه قائلاً :

- لماذا لا تقول إن هذا الإشعار مزور وإنك تكذب وتدبر لقتلي؟

قال لي إردوسين فيما بعد وهو يعلق على هذا الموقف :

- كم يمكن أن تبدو روح الإنسان في غاية الغرابة؟ لقد سمعت تلك الكلمات ولم أشعر بأي أثر لها .. ولم تبدو على وجهي أية علامات لرد الفعل .. فكيف كان لبارسوت أن يضمن تلك الحقيقة؟ ليس لدي أية فكرة. أم أنه يتمتع بنفس الخيال الغريب الذي أتمتع به؟

أشعل إردوسين سيجارة ثم قال :

- افعل ما تريد ...

لكن بارسوت الذي كان يبدو أنه يريد أن يتحدث فواصل حديثه قائلاً :

- لم لا؟ .. أجبني .. لم لا؟ ما هو الغريب في أنك تريد قتلي؟ إنه شيء منطقي .. لقد أردت أن أسرق منك زوجتك ... وقد اعترفت لك بذلك .. ثم إنني ضربتك .. يا إلهي! إذا لم تكن تريد قتلي فلا بد أن تكون إذاً قديساً ...

- قديس! لا يا صديقي ... لست كذلك .. لكنني أعدك

بأنني لن أقتلك غداً .. ولكن ربما يكون ذلك في يوم ما ..
لكن ليس غداً ...

انفجر بارسوت ضاحكاً وقال :

- أنت فعلاً "شئ" يا ريمو .. أتعرف
ذلك؟ سوف تقتلني يوماً ما. كم ساعته
تكون شريعراً! هل تعرف ما الذي يعجبني
فيك حقاً؟ أتخيل النظرة التي تبدو على
وجهك وأنت تفعل ذلك ... قل لي .. هل
ستبدو خائفاً .. أم ستنفجر في الضحك؟
كانت نبرة أسئلته جادة ، لكنها لم تكن عدائية ،
- " قد أصبح جاداً ، لا أدري .من
المحتمل . فقتل أنسان ما ليس أمراً سهلاً
رغم ذلك "

- " وأنت لاتخشى السجن ؟"

- " لا .. لأنني لو قمت بقتلك سوف
أخذ كافة احتياطاتي ، ووسوف اتخلص من
جثتك بوضعها في حمض الكبريتيك "

- إنك وحش .. يـاـه بالمناسبة
ذاكرتي لا أمل فيها ، هل سددت دينك
لشركة السكر ؟"

- " نعم "

- " من أعطاك النقود؟ "
- أحد البلطجية "
- " ليس لديك العديد من الاصدقاء .. لكنهم مخلصون بما فيه الكفايه .. حسناً متى ستأتيني غداً ؟ "
- " الكابتن يذهب لورديته الساعة الثامنة .. ثم بعد ذلك .. "
- " أنظر لم أزل غير مقتنع بأن ما تقول له لي هو الحقيقة ، لكن إذا كانت إلسا هنا سوف ألقنها درساً لن تنساه - وأنا أحذرك - لسنوات عديدة "
- " عندما غادره إردوسين توجه رأساً الى مكتب برقيات ، وأرسل برقية للعراف.
- ###

• آثار الألم

لم يستطيع اردوسين النوم تلك الليلة كان مرهقاً ، بل ولم يستطيع التركيز على أي شئ ، وحاول ان يشرح حالته العقلية هذي لي بالألفاظ التالية:-

"الموضوع كأن الروح تطفو على بُعد نصف متر من الجسد . وتشعر كأن جميع عضلاتك قد إنكمشت بعيداً ومع شعور لا ينتهي بالألم ، فأنت تغمض عينيك وتحس جسدك

أخذاً فى التحلل إلى اللاشئ، وعلى حين غرة تتذكر واحدة من التفاصيل الصغيرة المنسية من مكان ما من بين آلاف الأيام التي عشتها، لا ترتكب ابداً جريمة ، ان ما تفرزه تلك الذكريات هو الحزن لا الرعب الذي يخفيك ، وتشعر بأنك تقطع روابطك مع المجتمع رابطة رابطة، وأنت تغوص في عالم من الظلال تمتلئ بالوحشة ، وأنت فقدت كل إحساسك بالاتجاه ، وأنهم يقولون - هذا ما قلته للعراف بنفسى - ان ذلك مجرماً صلباً ، ولكن ذلك ليس صحيحاً، لأنك تود أن تعيش كما يعيش كل إنسان آخر ، أن تكون لطيفاً كئى إنسان ، وأن يكون لديك منزلاً ، وزوجة ، وأن تنظر عبر نافذتك إلى المارة ، ومع ذلك لا تجد خلية واحدة من خلايا جسدك خالية من تلك الرسالة البارزة التي تشمل كلماتها (يجب ان أقتله) ، وباستطاعتك ان تحاول .. (أننى احاول - ببساطة - ان اعلل كراهيتى ، كيف يمكنى ألا أحاول ذلك؟ أننى اشعر بأننى أعيش حلماً، انا ادرك أننى أتكلم كثيراً لاننى احتاج لأفناء نفسى اننى لست ميتاً . ليس بسبب ما حدث ، ولكن بسبب الحالة التي تتركها واقعة كهذه في نفسك ، مثل جلد بعد احتراقه بشدة ، حتى لو أخذ في التحسن لاحقاً ، الا تلاحظ كيف يبدو شكله؟ كله تجعد وتصلب وزاد التماعاً ، هكذا تصبح روح المرء ، أنها تبرز متوهجة لدرجة تعمي بها عيناك، كما أن تجاعيدها ترعبك ، وتعلم انك تحمل بداخلك وحشاً يمكنه ان ينطلق من أسره في أية لحظة وانت لا تدري لأي اتجاه سيقفز، وحش ..! كثيراً ما فكرت فيه ، وحش كسول ، ملئ وجههم .. وحش قادر على مفاجأة الجميع حتى انت بمدى

عنف نوازعه، وبتلك الخدع الشيطانية يكشف - في استراحات الحياة المخبأة - عن الطريق التي يجد فيها الشر من أي زاوية ، وكم وقفت امام نفسي ، أمام ذلك اللغز الذي هو انا ، وانتابني حسد حياة اكثر الناس ضعة ، يله..... لا ترتكب جريمة أبداً ، انظر كيف ابدو؟ انني اعترفلك بكل هذا ، أعقد أنك قد تفهم ..

" وتلك الليلة ؟ مع مرور الوقت وصلت البيت وكان الوقت متأخراً . فألقيت بنفسي على السرير بكامل ملابسي ، وكان قلبي يدق بجنون كما يدق قلب المقامر ، لم أكن قلقاً بشأن ما قد يحدث عقب الجريمة ، بل أنه حتى عندما كنت لحظة ارتكابها ، كل ما خطر لي هو فضولي بأن أعرف كيف سأصرف؟

وما سوف يفعله بارسوف ، وكيف انتوي العراف خطفه ؟ وبينما قدمت لي القصص التي قرأتها الجريمة على انها مثيرة ، بدت بالنسبة لي مجرد عمل آلي فارتكاب جريمة مسألة سهلة ، تبدو لنا معقدة لأننا - فقط - لم نعتد فعلها، هذا كل ما في الأمر.

" الحقيقة أنني أتذكر رقودي هناك محققاً في الركن البعيد من الحجرة المعتمدة ، بقايا يائسة من وجودي السابق طافت حولي كما لو كانت الرياح تحملها ولم أك قادراً على فهم الأسلوب الغامض الذي تعمل من خلاله الذاكرة ، كيف وأثناء بعض اللحظات الحامسة من حياتنا تطل فجأة صورة أو تفصييلة بارزة تهمنا من الذاكرة ، ثم مرة واحدة تصبح شديدة الأهمية ، ونحن لم نكن نعي حتى أن هذه الصور أو

التفاصيل توجد أصلاً، إلى ان يتمزق الحجاب الذي يغشاها، وهكذا ظلت طوال تلك الليلة، بدلاً من التفكير في بارسوت، رقدت ببساطة هناك في تلك الغرفة المنعزلة، مثل انسان ينتظر حدوث شئ ما قلقاً، هذا الشئ غير العادي الذي غالباً ما اخبرتك عنه، والذي اتصور انه سوف يهئ لي تغييراً جديداً كاملاً في حياتي، ويمحي ماضي، ويظهر رجلاً مختلفاً تماماً عن ذلك الذي كنته.

" في الحقيقة . لم أكن قلقاً بشأن الجريمة شأنها شأن أي مسألة أخرى، وانما ما سوف أكون عليه بعد ذلك ؟ هل ساشعر بالندم ؟ هل أصبح مجنوناً ؟ او سوف انهي تحولاتي ؟ او أنني ببساطة ساواصل طريقي في الحياة بالطريقة التي عشتها من قبل، يعزبني الألم من تلك القدرة الغريبة التي سلبت التآذر والتناسق من أفعالي . - هل ما تقوله الآن هو عرض من اعراض جنوني؟.....

" والغريب في الأمر انني احياناً كنت أشعر بنوبات هائلة من السعادة تفور داخلي، او أشعر بالحاجة الى ادعاء نوبة من الجنون الذي ليس بي، وقاومت ذلك النازع، وحاولت ان اتصور كيف سنقوم باختطاف بارسوت تحديداً. وكنت متأكداً انه سوف يقيمها حرباً، لكنني اعلم ان العراف لم يكن بالشخص الذي يتورط في مسألة كهذه وهو غير مستعد، وتعجبت - وكذلك - كيف نحن بارسوت أن المذكرة الصادرة عن وزارة الحربية كانت مزيفة . ولم اتمالك اعجابي بحضور ذهني الذي أبديته ساعتها، عندما استدار بوجهه الزلق نحوي وقال بنغمة - نصف جادة،

" سيبدو الأمر غريباً - أليس كذلك ، ولو ظهر ان الخطاب مزيف ؟".

" كان خنزيراً قذراً بما فيه الكفاية ، لكنني لم أكن بعيداً عنه في ذلك ، فربما يكون الفارق الوحيد بيننا انه لم يكن يملك ذلك الفضول بشأن العواطف الوضيعة التي كانت تدفعه قدماً ، وعلى أية حال لقد تخطيت مرحلة الاهتمام بذلك ، فقد أكون انا الذي قتلته أو العراف ، والحقيقة انني أغرقت حياتي في هوة وحشية كالزهر في دارة اللعب .

" وصلتي الضجة من بعيد ، فتسارع التعب بتسلل الى عظامي ، احياناً بدا لي ان لحمي يمتص الصمت وأي لحظة سيكون كقطعة من الأسفنج ، وبقيت ابتدع أفكاراً قبيحة عن إلزا ، هنا أخرسني حقد صامت ، وملأني الاشفاق على حياتي اليائسة

" غير ان الطريق الوحيد الذي اتخيل توبتي فيه أمام نفسي هو ان أقتل بارسوت ، وعلى حين غرة اتصور نفسي واقفاً بجواره ، وهو مقيد بحبال سميقة ويرقد ممداً فوق كومة من الأكياس ، وكل ما يمكنني تمييزه بوضوح عين خضراء في وضع جانبي ، مع انفه الشاحب . انخيت على جسده مصوباً مسدساً ، ودفعت شعره للخلف برقة واخبرته بصوت ناعم " سوف تموتايها الوغد " وكان جسده كتلة مخلطة من العظام والعضلات المرتعبة، هل تذكر ايها الوغد ، هل تذكر البطاطس والسلطة التي اوقعتها فوق المائدة ؟ أما زال على أن القى نظري على معتوه ملاك بالضيق عندئذ؟.

" لكنني فجأة احسست بالخلج لأهانتته بهذا الشكل. لذا قلت له - أو لا . لم أقل شيئاً له ، لكنني تناولت جوالاً ووضعتة فوق وجهه وتحت هذه الخرقه البالية ، بدأ وجهه يتمايل بعنف ، فحاولت إلصاقه بالأرض كي أتأكد من ثبات الهدف مع تثبيت ما سورة المسدس ، لكن الجوال انزلق من على شعره ، ولم تواتني القوة للسيطرة على ذلك الوحش الذي يصدر شخيراً يائساً في نضاله ضد الموت ، عندئذ وحينما خفت صور ذلك الحلم ، رأيت نفسي تبحر عبر أرخبيل ماليزيا او على ظهر باخرة بالحيط الهندي ، غيرت اسمي وأزجر بالانجليزية ، وأن ظل حزني كما هو ، لكنني الآن املك زراعين قويين ، ونظرة هادئة ، ربما في بورنيو أو في كالكوتا أو على الشواطئ البعيدة للبحر الأحمر ، أو فيما وراء غابات سيبيريا ، في كوريا أو منشوريا ، ربما استطيع ان أعيد بناء حياتي .

ذهبت احلام المخترع الذي ابتكر اشعة كما لوكانت قطرات من الشمع والذي حلم بتبوء مقعد الرئاسة على المؤتلة الزجاجية لعصبة الأمم .

وفي أوقات أخرى ، وقع اردوسين في قبضة الرعب ، إذ شعر بأنه واقع في القيود ، فلحضارة الممقوتة وضعتة في مأزق لافكاك منه ، . استطاع ان يتخيل نفسه راسفاً في القيود والسلاسل مرتدياً زياً مخططاً بطيئاً في طابور من المساجين عبر تلال من الجليد متجهاً الى غابات يوشويايا ، وكانت السماء فوقه بيضاء كلوح من الزنك.

استثارت تلك الرؤيا وحشيتها ، فنهض وقد أحرقه الغضب وخطا من نهاية الحجرة إلى طرفها الآخر، تملأه الرغبة في ضرب حوائطها بقبضات بدية ، أو فتح ثقب بها بواسطة عظامه . ثم توقف عند عارضة الباب ، وعقد ذراعيه بإحكام ونوبة الحزن الخانق تشمله من جديد ، ومهما كان هو نفسه تافهاً ، إلا ان هناك حقيقة واحدة في حياته لا تدحض ، هو نفسه مقابل الآخرين ، حيث توجد هوة محال عبورها بينه وبين الآخرين . بسبب نقص فهمهم أو بسبب جنونه الخاص به ، وبأي من السببين كان مصيره قد تحدد ، واخذت قطع متناثرة من ماضيه تبزع امام عينيه ، والحقيقة انه أراد ان يهرب من نفسه قبل اي شئ آخر ، ان يغادر الحياة مرة وللأبد ، وتلك الحياة التي تحيط بجسده وتسممه في نفس الوقت يله..... ان تكون قادراً على الدخول في عالم جديد ، ذي طرق واسعة تمتد بعيداً في الغابات حيث تجد بحر انفاس الحيوانات البرية حلواً اذا ما قارنته بذلك الصادر من الانسان استمر يخطو في الغرفة دائراً باستمرار محاولاً اجهاد بدنه ويهلكه تماماً ويحطمه حتى يصبح خائراً فلا يمكنه التفكير حتى في فكرة واحدة

❖ ملحوظة المعلق:

أمل يوماً ما ان اكتب تقريراً عن كيف قضى اردوسين تلك الأيام العشرة ، لأنه من الصعب على أن أفعل ذلك الآن ، إذ ستطلب تدوين كتاب آخر بحجم هذا الكتاب ، وضع في اعتباره أن تلك الدراسة محصورة فقط في ثلاثة أيام وقعت فيها أعمال أبطالها ، ورغم المساحة التي منحتها لنفسى ، فأنتى لا أستطيع ان اكتب سوى الإشارة إلى الحالة الذاتية لهم ، فالحديث ستواصل فى جزء آخر ' هو (قاذفو اللهب) وقد زودنى اردوسين بمعلومات وافية لذلك الجزء الثانى الذي سوف يحوي فصولا غير عادية مثل " العاهرة العمياء " و" مغامرات إنزا " و" الرجل الذي سار مع المسيح " و" مصنع الغاز السام "

الاختطاف

عند الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ذهب اردوسين للقاء بارسوت .

غادراً المنزل دون كلام ، وفيما بعد تعجب اردوسين من تلك الرحلة العجيبة ، حينما ذهب ذلك الرجل الى مصيره المحتوم دون ثرثرة.

وبالعودة لتلك المناسبة نجده قد علق عليها بقوله
" ذهبت مع بارسوت مثل رجل محكوم عليه ، مأخوذ الى مكان الأعدام ، خائراً القوى تماماً ، وكان إحساسى الوحيد شعوراً بالفراغ ملحاً وقد غزا كل مسام جسدى.

" وبارسوت نفسه جلس هناك متجهماً ، واستطعت أن أحس به هو ماض فى الطريق يجمع شتات غضبه ، وجاهزاً لإطلاقه على عدو غامض ، دلته غريزته على وجوده مختفياً بمنزلة منطقة تمبرلي. وواصل اردوسين.

" وخطر لي من وقت لآخر ، كم سيبدو الأمر غريباً لو تسنى للمسافرين الآخرين أن يعلموا ان هاذين الرجلين الجالسين على الكساء الجليدي لمقعد يهيمها فى استرخاءهما من قد يكونان القاتل وضحيته.

" ومع ذلك فكل شئ استمر كما كان عليه من قبل ، أشرقت الشمس فوق الحقول ، وقد تركنا خلفنا مصانع تعبئة

للحوم ، ومصانع الشحوم والصابون ، وورش الزجاج والحديد ، والزرائب التي تقف بجوار أعمدتها المشية وهي تشم الهواء ، والطرق التي لا تزال تحتاج الى (سفلتة) ، إذ تملؤها الاحجار المتناثرة وآثار العربات المارة عليها. ثم أتينا بعد محطة لانوس إلى المشهد المهيّب لمدينة ريميديوس دي اسكالادا بمنازلها المستديرة البشعة المبنية من الطوب الأحمر ، بفتحاتها القائمة سواداً ، حيث تجري القاطرات جيئة وذهاباً تحت أقواسها ، في حين تجد على البعد جماعات من الفقراء البائسين وهم يجرفون الحصى أو يشدون عوارض السكك الحديدية بين القضبان".

وما زالت الرحلة تمضي ، بين الخضرة المترنحة لأشجار السهول التي تحتنق بفعل " الهباب " وأدخنة البترول ، ينتصب صف مائل من الأكواخ الحمراء حيث يسكن عمال شركة السكك الحديدية ، بجدرانها الصغيرة ، وشيش النوافذ قائم بسبب الدخان ، وممرات يغرقها الرماد وبقايا النفايات . غرق بارسوت في افكاره ، كما ترك اردوسين نفسه - تحدياً - لنفس الشئ ، ولو رأي في ذات اللحظة قطاراً يسرع نحوهم على نفس المسار ، ما تحرك له رمش ، لأنه لا يهتم كثيراً سواء مات ام عاش .

هكذا مضت الرحلة ، وعندما هبطوا في تمبرلي ، نفّض بارسوت نفسه كما لو كان يصحو متأهّباً من حلم مزعج ، وكان ، كل ما قاله : " أي طريق سنسلك الآن ؟ " مد إردوسين ذراعه مشيراً للإتجاه الذي عليهم السير فيه ، فانطلق بارسوت . سارا في صمت عبر الطريق المؤدية لمنزل العراف .

سقطت زرقة الصباح الرقيقة على حوائط الشوارع المتقابلة.

ابدعت الأفرع والشجيرات والاشجار من كل مستويات ظلال الخضرة بناءً هندسياً من الكون النباتي المتراكم ، الذي يصنع دائرة فوق رؤسهم بأعمدة متأرجحة ومتقاطعة في متاهة من جذوع الاشجار الحمراء وبدأ أن النسيم الرقيق جعل ذلك البناء الخيالي - الذي جاء مصادفة - من عالم النبات يسبح في هالة ذهبية تسطع بوضوح كمرآة مقعرة ، ويعقد أسفله كل العطور الفواحة فوق الأرض قال بارسوت ! " صباح جميل " .

هذا كل ما قاله حتى وصلا خارج منطقة الملكية الخاصة ، قال : " هذا هو "

قفز بارسوت للخلف وسأله بنظرة ثابتة : " وكيف تعرف أن ذلك هو المقصود ؟ حيث لا توجد ارقام ؟ " وفيما بعد علق اردوسين على تلك الواقعة بملاحظة " كان الموقف يُظهر ان لدي الانسان غريزة تجاه الجريمة بالضرورة ، غريزة تسمح لك بالكذب في اللحظة دونما خوف من مغالطة نفسك ، وهي مماثلة لغريزة البقاء (حفظ النفس) التي يمكنك - عندما يبدو أن كل شيء قد ضاع - من اكتشاف وسيلة هروب لم تحلم بها يوماً " تطلع اردوسين لأعلى وقال بهدوء شديد لدرجة أنه هو نفسه قد دهش لذلك بقوله " لأنني جئت مستكشفاً هنا بالأمس إذا أردت معرفة قدرتي على تحديد موقع إلزا " فنظر إليه بارسوت متشككاً ، كان يمكنه أن يقسم أن اردوسين كاذب لكن غروره منعه من التراجع ، لذا عندما

قام اردوسين بالنداء على أصحاب المكان ، صفق هو بيديه بقوة.

خرج الرجل " الذي رأى القابلة " مرتدياً قميصاً ذا أكمام وقبعة من القش تغطي حافتها العريضة نصف وجهه وتقدم حتى البوابة السلكية الحمراء .

❖ تعليق : أثناء محادثة دارت بين بارسوت والعراف قال إن ليلة ما قبل اختطافه فكر ان الأمر قد يكون كميناً لقتله ، لكن في اللحظة الأخيرة شعر بغرور وزهو منعه من التراجع .

سأله بارسوت : " هل سيلة المنزل موجودة ؟ " ودون أي أجابه قام برومبيرج بإسقاط المزلاج وفتح البوابة ، ثم انطلق عبر ممر ملتوٍ يؤدي للمنزل خلال حديقة من نبات الكالييتوس وتبعه الرجلان ، وفجأة انطلق صوت ينادي ، : أين تذهبون ؟ " نظر بارسوت حوله ، وبينما يفعل ذلك ، دار برومبيرج على عقبيه ، وانطلقت يده كما لو كانت " يايأ " أطلق فجأة . سقط فم بارسوت مفتوحاً باحثاً في يأس عن الهواء وهو يتلوى في ألم ، وحاول الإمساك بمعذته ، لكن ذراع برومبيرج تقوست للأمام مرة أخرى ثم وجه ضربة يمينى الى الفك حطمت أسنان بارسوت فسقط على الأرض ورقد متكوماً وساكناً حتى تحسبه ميتاً ، وقدمه مسحوبتان أسفلهُ وشفته منفرجتان قليلاً . تحرك العُراف ، في حين انحنى برومبيرج البادي الحزن متجهماً فوق الرجل الساقط أرضاً . سحب العُراف ذراع بارسوت وامسكه بيديه كالخلب من تحت إبطه ، وقام الاثنان بحره إلى حجرة العربات المهجورة بينما أعاد اردوسين فتح الباب ذا الطلاء الأصفر الغامق ، تدافعت روائح القش الجاف وجحافل الحشرات من أعماق المكان المعتم ، ووضعوا بارسوت فاقد الوعي في صندوق طعام الخيل ، وسلسلة ثقيلة مربوطة بأحد الأعمدة بواسطة قفل ، لف العُراف طرف السلسلة حول احد عقبي بارسوت ، وعقد حلقاتها عدة مرات ثم ربطها بالقفل ، الذي صر صريراً مسموعاً وهو يفتحه ، وعندما فرغا من شأن السجين ، نظر

اردوسين للعراف ثم قال : " شئ سئ جداً ، لم يحصل على سجل أعماله معه بعد " . كانت الساعة العاشرة صباحاً ، فنظر العُراف لساعته وقال : " أمامي وقت للحاق بقطار الاكسبريس الذي يصل الى روزاريو الساعة السادسة ، هل ستأتي معي إلى رويترو ؟ "

- " أنت ذاهب الى روزاريو ؟ "
- " نعم على أن أرسل البرقية إلى مالكة منزله ، ألا تذكر ؟ هل لديك عنوانها ؟ "
- " نعم لقد حصلت على كل التفاصيل "
- " تلك هي الطريقة السليمة للسيطرة على موضوع بارسوت دون إثارة شكوك
- وهل يحتفظ هو بكل شئ في غرفته ؟ "
- " نعم الصندوق الكبير وصندوقان آخران "
- " حسناً .. دعنا ننهي حوارنا وننتهي للعمل ، عند السادسة من مساء اليوم سأكون في روزاريو ، وسأرسل البرقية لصاحبة المنزل ، وأنت تتصل تليفونياً غداً صباحاً حوالي العاشرة ، والعب دور
- البرئ واسألها اذا ما كان بارسوت قد وصل روزاريو أم لا ، لأنك لم تتلقى منه أية انباء ، وأنت تعلم
- أنه قد عُرض عليه عملاً هاماً ، الخ
- كيف يبدو لك هذا ؟ "
- " جميل "

- " عند الثانية عشرة كان العراف قد ركب
القطار .

الفصل الثالث

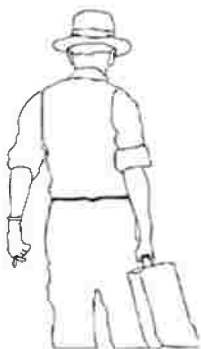
السوط

كانت الحيلة التي دبرها اردوسين ونفذها العراف
ناجحة لدرجة أن العراف قدر أن يعقد أول اجتماع (
للرؤساء) ليعرف بعضهم البعض في الأربعاء التالي ،
فذهب يوم الثلاثاء مساءً عند الساعة الرابعة ليخبر
اردوسين إنهم سوف يجتمعون في تمبرلي الساعة التاسعة
من صباح اليوم التالي . بقي مع اردوسين لدقائق قليلة ،
وفيما هما يخرجان من المنزل ، نظر إلى ساعته مضطرباً
وقال : " يا الله ... الساعة الآن الرابعة تماماً وما زال
أمامي كثير من الأماكن التي علي زيارتها سوف

أراك في التاسعة غداً . ياه بالمناسبة ، كنت أفكر أن هناك شخصاً واحداً فقط يمكن ان يكون زعيمنا في مجال الصناعة هو أنت ... على كل سوف نتحدث كثيراً حول ذلك غداً .. ولا تنسى ان تقدم أو.. أقصد أن تعد خطة لبناء توربينات هيدروليكية ، كمشروع بسيط يمكننا إقامته في الجبال ، فقد نستخدمه في مستعمرتنا للأعمال الكهرومغناطيسية التي نحتاج لها "

: " كم كيلو وات ؟

: " لبس لدي أدنى فكرة هذا شأنك ، تذكر سوف تكون هناك أفران كهربائية وعليك ان تصنفه لقد وصل الباحث عن الذهب ، ويمكنه إعطاؤك تفاصيل أكثر تحديداً غداً ، تأكد فقط انك جاهز عند اقتراح الفكرة .. اللعنة الوقت يمر وتأخرت سوف أراك باكراً " وضع قبعته ونادى عربة أجرة مارة ، واستقر بمقعدها الخلفي



في اليوم التالي وبينما يجول اردوسين شوارع تمبرلي ، تملكته الدهشة إذ شعر لأول مرة منذ شهور عديدة بالهدوء والراحة . مضى قدماً فمنحته البيئة النباتية التي مر خلالها إحساساً بجهد ضخم لا محدود يملاه ، نظر باستمتاع للطرق الممهدة بالزلط الأحمر وسط الحدائق وهي تمد قرونها القرمزية نحو الحقول فتبدو غطاءً أخضر مُرقشاً بالأرجوان مع زهور صفراء وحمراء ، ولو نظر لأعلى لرأى أعماق السماء السائلة الزرقاء التي تدير الرأس الى أن تختفي معها السموات فجأة عن بصره ثم تركه مع ضوء مبهري عمي شبكية عينيه قبل ان يستعيد أبصاره تدريجياً ، وهو يحوم متسللاً في ذرات فضية تتحول ببطء الى صورة من الالواح الزرقاء الخشنة الجافة مثل كهوف المثلين الأزرق ، وإحساس المتعة الذي منحه له ذلك الصباح ، تلك النشوة الجديدة ساعدته على توحيد الشظايا المتناثرة لشخصيته ، وقد مزقتها - كما كانت عليه طويلاً - كل الآلام التي أوقعتها به الكوارث ، وشعر كأن جسده متأهب لتحمل أي شيء . كانت الكلمات التي أخذ يكررها لنفسه هي :

" اوجيستو ريمو اردوسين " كما لو أن ترديد اسمه يهبه سعادة فيزيقية ضاعت طاقته التي بدأ سيره يبتها في أعضائه.

مشي عبر الطرقات المنحدرة تحت اشعة الشمس ، مستمتعاً بقوة شخصيته الجديدة (رئيس الصناعة)

ملأت الطزاجة المنعشة لتلك الجولة النباتية عقله بأفكار عظيمة ، وساعده ذلك على الالتصاق بالشوارع مثل دمية تحمل أثقالاً من الرصاص في حذائها . كان يفكر كيف سيبدو مُحترقاً في الاجتماع وقد سيطر عليه ازدراء باردٌ لهشاشة هذا العالم ، فالأرض تنتمي للأقوىهكذا كانت " للأقوى وهم سوف ينتزعون هذا العالم غضباً ، إلى أن تحدث المواجهة مع أولئك المعتوهين الذين يتكئون بظهورهم على المقاعد في كل مكتب متسلحين بعظمة الأباطرة التي يُرثى لها ، تخيل اردوسين مرة أخرى مكتباً هائلاً ذا حوائط زجاجية ومائدة مستديرة عند منتصفه ، ويتقدم منه مساعدوه الأربعة أوراقهم في أيديهم وأقلامهم معلقة خلف آذانهم - يمشون على أطراف أصابعهم لاستشارته فيما يحملون ، في حين يقبع في أحد الأركان ممثلو العمال - يملأ الشيب شعورهم في حالة من الفزع .عند ذاك يلتفت إليهم اردوسين ويقول ببساطة : " إما ان تعودوا للعمل غداً أو أطلق عليكم الرصاص " ولا شئ أزيد من ذلك ، كانت أوامره موجزة ورقيقة وقد آلته يده من كثرة القرارات التي وقعها ، أبقته الشهية النهممة لالتهام الزمن ماضٍ قدماً ، وحاجتها لروح متنمرة تجملٌ وتزخرف نهاية كل يوم بحصة محددة من خلال حفلات الإعدام الدموية .

اقترب كثيراً من منزل العُراف ، وقلبه ينبض بحماس متجدد ، مردداً لنفسه مقولة لينين - وكأنها لازمة غنائية

تسيطر على ذهنه - " ما نوع الثورة التي لانطلق فيها رصاصاتنا على أحد؟".

عندما وصل للمكان وأخذ يفتح البوابة الأمامية رأى العُراف قادمًا للقائه مرتدياً كعادته لباساً رمادياً طويلاً وقبعة من القش . تصافح الصديقان بحرارة ، وقال العُراف :-

: " لقد هداً بارسوت ، ولا أظنه سيثير معارك كثيرة حول توقيع الشيك ، وقد وصل الآخرون ، لكن دعنا نذهب لرؤية بارسوت أولاً ، وليتظرونا ، اللعنة ! هل يمكنك تصور ما أشعر به ؟

فبتلك النقود يكون العالم لنا" وصلا الآن لحجرة المكتب ، وكان العُراف يدير الحجر الأرجواني في خاتمه على أصبعه مُحققاً في خريطة الولايات المتحدة وواصل كلامه : " سوف نغزو العالم وسوف تثمر أفكارنا العظيمة ، حيث يمكننا أن نقيم ماخوراً في سان مارتن أو في سيوداديللا ، وان يقيم مستعمرتنا في جبال لوس سانتوس ، ومن أفضل لإدارة الماخور من البلطجي الكئيب ؟ سوف نُعينه " الأب العظيم للمواخير " تقدم اردوسين نحو النافذة ، وأطلقت شجيرات الورد روائحها الفواحة ، مائلة الهواء بعطرها الأحمر المنعش مثل جدول جبلي ، وطمّت حشرات لامعة الأجنحة حول البراعم القرمزية لأشجار الرمان ، فوقف يحملق للخارج لدقائق قليلة ، اذ أخذه المشهد إلى ذلك اليوم الذي كان فيه بنفس المكان ،

إلا أنه عند ذاك لم يكن يدري ما تخبئه تلك الليلة له ،
كانت صدمة رحيل إلزا .

أغرقت الظلال الكثيرة للخضرة عينيهِ ، لكنه لم يعرها
أى اهتمام ، ففي أعماقه كان كل ما يراه هو زوجته
ونحدها يرتاح على الحلمات الأرجوانية لصدر مربع
لرجل نهم ، وعيناها تستديران للخلف فاعرة شفتيها
استعداداً لاستقبال الفم الداعر لذلك الرجل ، عبر طائر
مجال رؤيته ، فعاد اردوسين للعراف قائلاً وهو يجاهد "
افعل ما شئت ؟ " ثم جلس وأشعل سيجارة وهو ينظر
للعراف الذي كان منشغلاً برسم دائرة على نسخة ورقية
مستخدماً البرجل ، فسأله

: " لكن كيف ستفعل ذلك ؟ هل سيوافق البلطجي
الكئيب على إدارة بيوت الدعارة هني ؟ "
: " نعم هذه ليست مشكلة ، وبارسوت لن
يشكل عائقاً . "

: " أما زال في مخزن العربات ؟ "
: " اعتقد ان من الأفضل أن أخفيه ، لقد قيدته
بالسلاسل في الإسطبل " .
: " في الإسطبل ؟ :

: " كان ذلك هو المكان الوحيد الذي استطيع إخفائه
فيه بالإضافة لوجود غرفة علوية ينام فيها الرجل الذي
رأى القابله _____ة .
: " علام كل هذا ؟ "

: " سوف أخبرك يوماً ما . لقد رأى القابلة ومن
لحظتها لا يستطيع النوم ليلاً ، واعتقد
أنك "

: " ماذا هل سأكون انا الذي؟ "
: " دعني أنهي حديثي . أظن انك تستطيع الذهاب
لرؤية بارسوت ، وان تقنعه بالتوقيع اشرح أفكارنا
له "

: " ولو لم يوقع ؟ "
: " عندئذ سوف نستخدم القوة طبيعي أنني ضد
العنف ، لكنك ترى الموقف الذي أنا فيه ، فكرتنا هامة
جداً حتى اننا لن نسمح بمشاعرنا بالوقوف أمام تحقيقها ،
وهذا ما يجب ان نتحبر به بارسوت ، قل له أننا لا نحب ان
نجد أنفسنا مجبرين على حرق قدميه أو عضو آخر أسوأ
.....(وواصل) ..إجعله يقوم بالتوقيع . "

: " هل انت مستعد للذهاب الى ذلك المدى ؟ "
: " نعم إذ لن تتاح لنا فرصة مثل هذه مرة أخرى ،
لقد كنت اعتمد على اختراع وردتك النحاسية لكنها
تستغرق وقتاً ، ولا يحسن أن نطلب مالاً من البلطجي ،
لأنه إذا لم يكن معه فسوف نشعره بالعجز ، وإذا كان
لديه المال ولم يعطه لنا، سوف نخسر صديقاً ، وحقيقة انه
كان معك كريماً لا تعني أنه سيكون كذلك معنا ثانية ،
كما أنه عصابي ، في أغلب وقته لا يملك أدنى فكرة عما
إذا كان ذاهب أو قادم . "

كان اردوسين يخلق خارج المستطيلات التي صنعتها
أطر النوافذ عند البقع القرمزية على قمم أشجار الرمان
، أضواء شريط ذهبي من أشعة الشمس النصف الأعلى
من أحد حوائط الغرفة ، وقهر حزن كبير سويداء قلبه ،
ماذا فعل بحياته ؟

لاحظ العراف مدى صمته فقال ،
: " انظر يا اردوسين ، ليس هناك مناصٌ من المخاطرة
بكل شيء أو نترك كل شيء الآن
هكذا تمضي الأمور . الأمر محزن لكن ماذا علينا
ان نفعل غير ذلك ؟
انا اعلم من الأفضل أن تفعل ذلك كله دوغما ضحايا
..... "

" وأنفسنا يا اردوسين لا تنس أننا نضحي
باحتمالات سجننا وفقدان حريتنا ، إلى مدى لا يعلمه إلا
الله ، ألم تقرأ أبدا كتاب بلوتارخ (حيوات متوازية) ؟ "
- : " لا "

- : " حسناً سوف أعيرك الكتاب وسوف تكتشف ان
الحياة الإنسانية لا تساوي حياة كلب ، لو كانت
مسألة التضحية تتعلق بتغيير حياة مجتمع ، هل تتخيل
كم من وقائع القتل التي حملها أشخاص كلينين أو
موسيليني ثمناً لانتصارهم ؟ والشعب لا يريد أن
يعرف لماذا ؟ لأن لينين وموسوليني ارتقيا القمة ،
هذا هو الشيء الوحيد ، المهم ، وهذا ما يبرر أية قضية
، عادلة أم غير عادلة . "

- : " من سيقتل بارسوت ؟ "
- : " برومبرج الرجل الذي رأى القابلة "
- : " لم تقل لي ذلك من قبل "
- : " لم يكن هناك سبب لفعل ذلك وقد اتفقنا عليه الآن فعلاً . " فلحت موجة من العبيد فملأت الغرفة ، وتجسمه صوت الماء المتساقط في بالوعة مياه الإمطار بوضوح
- : " إذن من بالضبط يعرف الموضوع ؟ "
- : " أنت وأنا وبرومبرج "
- : " هذا عدد كبير للاحتفاظ بسر . "
- : " لا لأن برومبرج عبادي ، وما هو أسوأ ، أنه عبد نفسه "
- : " كل ذلك جيد ، لكن كل ما أريده منك ورقة تقرر فيما أنت وبرومبرج أنكما خططتما للجريمة "
- : " لماذا تريدها ؟ "
- : " كيما أتأكد أنكما لن تخدعاني "
- : أنزل العُراف قبعته دون وعي ثم قبض على وجهه المنغولي بأصابعه السمكية ومشى الى منتصف الغرفة أسند كوعه في راحة يده الأخرى وواصل حديثه ثانية،
- : " ليست لدي أية مشكلة في إعطائك ما تريد ، لكن تذكر هذا ، فقط ، ان حياني كلها مكرسة لتحقيق تلك الفكرة ، هناك لحظات عظيمة قادمة عن قريب ، وليس أمامي وقت ولا دافع كيما أخبرك بكل

العجائب التي على وشك الحدوث ، ولا شك ان عصرًا جديدًا بدأ يشرق . فمن سيسعد برؤيته ؟ المختارون وفي اليوم الذي أجد فيه إنسانا يحمل عبء الفكرة حال إطلاقها ، سوف اعتزل في الجبال لحياة التأمل ، وحتى ذلك الحين ، على كل من حولي ان يدينوا لي بالطاعة الكاملة، هذا شيء لا بد أن تفهمه ، اذا لم تشأ أن تسير في طريق بارسوت .

- : " هذا ليس اسلوب كلام "

- : " إنه ذلك لأنني سوف أقوم بتوقيع الورقة التي طلبتها .

- : " انا لا أحتاجها "

- : " هل ستكون في حاجة للمال ؟ "

- : " نعم .. ٢٠٠٠ ، بيزوس لكي "

- : " لا أريد أن أعرف سوف تحصل على المبلغ "

- : " وكذلك لا أريد ان تكون لي صلة بموضوع إدارة المواخير..... "

- : " حسنًا .. يمكنك ان تراعي الحسابات ولكن هل تعرف ما ينقصنا الآن ؟ نحتاج ان نجد رمزاً غوغائياً يستثير الجماهير . "

- : " الشيطان . "

- : " لا انه رمز روحي غامض ، ذو طبيعة ثقافية عالية ، ما نحتاجه شيئاً رخيص وساذج شيء تميل اليه احساسيس الجماهير مباشرة ، مثل القميص الأسود ان ذلك الشيطان عبقري جداً فكما تعرف ،

عرف هو ان الايطاليين لهم سيكولوجية البرابرة
وأصوات التينور بالأوبرا كوميدي وعلى كل
سوف نرى وأنا لدي الآن فكرة شيقة للمراتب
المختلفة في جماعتنا سنتكلم عنها في يوم آخر ،
.....فقد تنجح . "

- : " المسألة بالنسبة لنا ان تكون مدعمة ذاتياً "
- : " بدون كلام هذا مضبوط . فالماخير ستوفر
المال لكن انتظر هنا ألن تذهب لرؤية
بارسوت ، وهل فكرت فيما سوف تقوله ؟ "
- : " نعم "

خرج اردوسين إلى مخزن العربات حيث توجد
الإسطبلات ، كان مبني حجرياً ضخماً ذا حجرات
خالية عديدة تمتلئ بالفئران في الطابق العلوي ، في
احدها عاش أو فلنقل نام برومبيرج الغريب ، الذي رآه
اردوسين يوم الاختطاف، أدرك اردوسين انه بغوص
أكثر في شئ مقدر له أن يدمر حياته بطرق هو نفسه لم
يتخيلها ، وهذا الفهم مضافاً إليه عدم تحمسه تماماً
لخطط العُراف أديا لشعوره بتمثيل اللعبة وخلق
موقف متعمد شديد الغرابة ، إذ قال لي فيما بعد أن (
كل شئ قد فشل بداخلي) إلا انه تغلب على تعبهِ
وعدم اهتمامه وواصل سيره لمخزن العربات ، كان
قلبه يلق بعنف لفكرة (لقاء العدو) ، فقطب حاجبيه ،
وبدا غضبه واضحاً على وجهه . فتح القفل ، وفك
السلاسل ، وبنوبة مفاجئة من الفضول أعاد (دفة)

من دفتي الباب للخلف ، كان بارسوت جالساً مرتدياً قميصه الداخلي وعلى وشك ان يأكل وسط دائرة من الضوء الأصفر مسلطة على مائدة من خشب الآرو يلقيها مصباح يعمل بالكيروسين .

تدلى من فوقه مثلث معدني من مزاول الطعام داخل (نصبة) حصان خشبية ، وعندما شاهد اردوسين ينظر إليه شذرا ، توقف عن صب الزيت في طبق اللحم البارد والبطاطس ، لكنه عندئذ ولكي لا يبدي دهشته أغرق نفسه في عملية الطعام ، تمدد وأخذ بضعة ملح بين أصابعه ورشها فوق البطاطس ، وحافظ على هدوءه رغم إن تحت إبطه الأسود كان يبدو واضحاً عبر فتحه في قميصه الداخلي الأحمر.

أظهرت الطريقة التي ينظر بها بارسوت إلى طبق اللحم بعناية وقصد أنه يضع أهمية كبرى على وجبته أكثر مما يضع على اردوسين الذي كان واقفاً على بُعد خطوات منه قليلة . ، وكان باقي الإسطبل غارقاً في الظلام ، في حين هبطت أعمدة من ضوء الشمس عبر شقوق في الحوائط تاركة دوائر ذهبية مسامية على تراب الغرفة .،

ما كان بارسوت ليتكرم بالنظر لأعلى ، وإنما مدّ رغيف الخبز فوق المائدة ، واقتطع (لقمة) وصب لنفسه بعضاً من ماء الصودا، لكنه أراق بعضاً منه - أولاً - بحذر على الأرض لتنظيف فم الوعاء ، ثم انحنى ليقراً

قطعة من الورق بجانب طبقه ، وهو يضغط ملّ فمه لحماً وخبزاً وبطاطس.

فجأة وبسبب رائحة القش شعر اردوسين بالغثيان فمال نحو أحد الأعملة التي يستند إليها سقف الغرفة ، وتطلع عبر عينيه الضيقتين إلى بارسوت ، الذي كان نصف وجهه مضاء بوهج اخضر قادم من خارج الغرفة ، وبينما يبرز فكاه المتحركان تحت ضوء المصباح ، وقع بصير اردوسين على سوط معلق على الحائط .

أخذ اردوسين بالمشهد ، فالسوط له مقبض طويل وذوائب قصيرة ، وعندما تتبع بارسوت نظرتة قلب شفته باحتقار ، نظر اردوسين أولاً للسوط ثم للسجين ، وبابتسامة تعلو وجهه ذهب الى ركن الغرفة وفك السوط ، وفجأة كان بارسوت واقفاً على قدميه ، ويمتد جسده خارج الصندوق ، وبينما كان ينظر اليه محذقاً في وحشية ، انتقضت عروقه بارزة في عنقه وأوشك على التكلم لكن كرامته منعتة من لفظ كلمة واحدة ، ثم صدر صوت فرقة حادة ، كان اردوسين قد " طرّاق " السوط على الجانب الخشبي ليرى مدى متانة جلد السوط ، لكنه هز كتفيه فقط وشريط اسود يمرق عبر أشعة الضوء هابطاً خلال الظلمة والسوط يسقط على القش .

مضى اردوسين جيئة وذهاباً في الإسطبل ، وأخذ يفكر في الحياة التي يعيشها الآن ، لكن ذلك الإحساس لم يجعله أكثر سعادة ، واعلى مربوط الحصان ، كان

بارسوت يحملق عبر الباب الأمامي المفتوح في الحقل الذي إضاءته الشمس بالخارج.

تغيرت الأمور ، ذلك كل ما جرى ، اذ حلق اردوسين فيه بغضب وسأله : " هل ستوقع الشيك أم لا ؟ " هز بارسوت كتفيه رافضاً ، ولم يكرر اردوسين سؤاله فلربما يوماً ما في مثل نفس تلك الساعة يجد نفسه في زنزانة معتمة ما حيث تعمل ذاكرته - مثلما يفعل بارسوت - على تشكيل فناء من الطمي الأحمر بجوار نهر ، وتتخلل السماء عبر خيوط مضارب التنس للفتيات الصغيرات . كان غير قادر على منع نفسه من الصياح عالياً ضد نفسه اكثر من الصياح بوجه بارسوت .

: " هل تذكر ؟ أنت قلت أنني أشبه بالمعتوه ؟ لا تتفوه بكلمة ، انت لا تدري كم عانيت وتألّمت ؟ لا أنت ولا هي ، الحقيقة هي أنني حزين ، إنكما ، أنت وهي ، من ورطنى في ذلك الأمر كله ، بل أنني لا ادري لماذا أتحدث إليك ، كل ما أدريه أنني منهك بشدة ترى ما الموضوع؟ كان على وشك مغادرة الإسطبل عندما ظهر العُراف ، فرمق بارسوت يديه بقلق ، ازاح العُراف قبعته على ظهر رأسه وأخذ المصباح وأطفأه ، ثم جلس على صندوق الأدوات وبدأ حديثه ،

: " لقد جئت لأرى 'إنهاء موضوع الشيك ، ويجب إن نعرف لماذا اختطفناك ، بالطبع ما كنت لأتحدث

اليك هكذا لولا اننا وجدنا في مذكرة اكتشفناها في جيبك ، كنت منعت اردوسين من إحراقها * وفيما قرأت فكرة بسيطة مدهشة " المال يصنع إلهاً من الإنسان " لذا نجد فوردها ، ولو كان إلهاً يمكنه تدمير القمر".

● كان ذلك تزيفاً كاملاً ، لكن بارسوت لم يجر جواباً ، وكان اردوسين يتفحص وجه العراف البيضاوي الخالي من التعبيرات ، وكان واضحاً انه كان يتدبر امراً ، وان بارسوت لم يؤخذ على غرة بذلك ، مقتنعاً بأنه تم خداعه .

ملحوظة في الجزء الثاني من ذلك المؤلف سوف نقدم ملخصاً لما جاء بمذكرة
بارسوت .

حديث العراف

♣♣♣♣ ♣♣♣♣

واصل العراف حديثه ،

: " أولاً اعتقدت ان ملاحظتك تلك مجرد تعليق
عاطفي يتناثر عبر تهاويمك، ومع ذلك ، ورغماً عما أريد
، بدأت أتساءل لماذا يصنع المال من الانسان إلهاً ، وعلى
غرة ادركت انك وقعت على حقيقة جوهرية ، وهل
تعرف كيف اثبت انك على حق ؟ لانني اعتقد انه
بفضل ثروة هنري فورد ، أصبح قادراً على شراء
متفجرات تكفي لتفجير كوكب مثل القمر ، من هنا
يصبح فرضك صحيحاً .



فرجيز بارسوت " طبعاً " وهو مسرور في الخفاء لذاك المديح.

: " ثم أدركت أن ليس فقط العالم الكلاسيكي كله ولكن كل الكتاب من كل العصور - عداك أنت - قد صادفوا تلك الحقيقة دون أن يعرفوا كيفية الاستفادة منها، كلهم كانوا غير قادرين على أدراك ان رجال مثل فورد وروكفلر ومورجان كانوا قادرين على تدمير القمر لأنهم يملكون القوة لفعل ذلك ، القوة التي - كما أقول - تضيفها الأساطير العديدة على إله خالق ، وهكذا دون أن تدري ، تضع أنت الأساس لمملكة الإنسان الخارق (السوبر مان) ". استدار بارسوت ليراقب العراف ، بينما أدرك اردوسين أنه يتكلم جاداً

- : " وهكذا عندما فهمت انه بفضل القوة التي منحها المال لهم ، أصبح مورجان وروكفلر وفورد مثل الآلهة ، أدركت أيضا ان الثورة الاجتماعية ستكون مستحيلة هنا على الأرض ، لأن روكفلر أو مورجان يمكن ان يزيلا جنساً كاملاً من الوجود " بطرقة واحدة " من أصبعهما ، تماماً مثلما تسقط أنت فوق تل من النمل يعيش في حديقتك " .

- : " طالما يملكون الشجاعة لذلك الفعل " .

- : " الشجاعة ؟ ما كنت أعجب له هل يمكن للإله ان ينكر قواه ، او اذا كان ملوك النحاس وباطرة البترول يمكن ان يسمحوا - ابداً - بانتزاع أساطيلهم وجبالهم وذهبهم أو آبارهم من

بين أيديهم ، وقد رأيت انه لكي يحدث هذا فهم يحتاجون لأن يصبحوا بوذا آخر أو مسيحاً آخر، وأن أله مثل هؤلاء الذين يمتلكون كل القوة والسلطة لن يقبلوا ابداً نزع أملاكهم ، لذا يحتاج الأمر لشيء غير عادي يجب ان يحدث".

- : " انا لا استطيع متابعتك لقد دونت تلك

الفكرة لسبب مختلف كلية عما ترى"

- : " ذلك لا يهم ، فالأمر غير العادي هو الآتي ، ان

البشرية والجماهير على وجه الأرض قد فقدوا

إيمانهم ، ولا اعني العقيدة الكاثوليكية ، أنا أعني

الإيمان العقائدي والدين ، وهكذا فالبشر مكتوب

عليهم ان يقولوا لأنفسهم " فيم حياتنا ومن أجل

ماذا؟"

..... وما ان يتوصل العلم لتمييز كل خصائص

الايان ، لن يرغب احد في الاستمرار بوجود ميكانيكي

مجرد ، ولحظة حدوث تلك الظاهرة ، سيعود للأرض

طاعون غير قابل للشفاء أنه طاعون الانتحار ،

يمكنك تصور عالم يمتلئ بالناس اليائسين وقد ذوت

عقولهم ، وتاهوا في أغوار المدن العملاقة ، وهم ينتحبون

أسفل الحوائط الإسمنتية ويولولون (ماذا فعلوا بإلهنا ؟)

ويقوم صبية المدارس والفتيات الصغيرات بتنظيم

جمعيات سرية حيث يمارسون رياضة الانتحار ؟..... أو

رجال يرفضون إنجاب الأطفال ، رغم نبوءة بيرثلوت

الساذجة بأنهم جميعاً يمكن تغزيتهم بالحبوب المركبة .

فقال اردوسين " ذلك يبدو بعيد الحدوث قليلاً
"فالتفت إليه العراف مندهشاً كان قد نسى وجوده كلية .
: " بالطبع لا شئ من ذلك سيحدث حتى يكشف
الإنسان مصدر تعاسته وذلك ما يؤدي للخطأ مع
الحركات الثورية المؤسسة على الاقتصاد ، فاليهودية
احتقرت مداخل العالم للاقتراض والائتمان وخلصت الى
نتيجة مؤداها (السعادة مفلسة لأن الإنسان يفتقر إلى ما
يسد به حاجاتها .) في حين أن النتيجة الصحيحة هي (
السعادة مفلسة لأن الإنسان يفتقد آلهة وإيماناً)

فأعترض اردوسين : " الآن انت تناقض نفسك فأنت
قلت من قبل أن"

: " إهدأ . ماذا تعرف انت على كل حال ؟ إذن أدركنا
أن هذا هو المرض المرعب الميتافيزيقي الذي يعاني منه
كل فرد ، سعادة الإنسان تعتمد على كذبة ميتافيزيقية وإذا
ما حرمته تلك الكذبة سوف يتحول للوهم الاقتصادي ،
عندئذ تراعى لي ان الوحيدة الذين يمكنهم استعادة
جنة الإنسان المفقودة هم الآلهة الذين يكونون من لحم
ودم ، روكرلر ومورجان ، وفورد هكذا تدبرت
خطة قد تبدو بعيدة المنال لصاحب العقل الضعيف ، إذ
رأيت أن هناك طريقاً او حد للخروج من الممر المسدود
للواقع الاجتماعيوهو أن نتراجع خطوة للوراء ."

أصبح بارسوت الآن جالساً عند حافة المائدة ، ويداه
معقودتان ، وعينه الخضرأتان مركزتان على العراف
الذي كان يمشي جيئةً وذهاباً ومعطفه تم تزريره حتى

عنقه وشعره الأشعث يتطاير بلا قيد ، ويدفع حزم القش المتناثرة على أرضيه حجرة العربات جانباً بطرف حذائه بحركة لا شعورية ، ومازال اردوسين منحنيًا فوق العمود وما زال ، ويتفحص وجه بارسوت ويلاحظ نظرة مآكرة خبيثة وتهكمية تزحف فوقه ، كما لو كانت كلمات العراف تستحق الاحتقار وقد يستمر في سيره ويتوقف وهو يشد شعره كما لو كان ينصت لنفسه وهو يتحدث ، ثم واصل ،

- " نعم اللحظة سوف تأتي عندما يُساق الإنسان غير المؤمن إلى الجنون بسبب كل مُتَعِه ، وإلى الكفر بسبب عجزه ، يساق بعيداً جداً عن عقله لدرجة انه سيُقى به كالكلب المجنون "

- " ماذا تقول ؟ "

- " سيكون مثل عملية تشذيب لشجرة الإنسان ،حصاد ، سوف يكون أولئك المليونيرات مع العلم المسخر لخدمتهم قادرين على تنفيذ أفكارهم ، وقد أصابهم الغثيان من ذلك الواقع ولم يعودوا يؤمنون بالعلم كمصدر للسعادة ، سوف يتسبب أولئك الآلهة - ومعهم كتائبهم من العبيد المتنمرين - في حدوث كوارث بشعة ، ويطلقون الطاعون المدمر ، ... لعدة أحقاب ، وتكون مهمة الإنسان الخارق (السوبرمان) وعبيله أن يدمروا الجنس البشري بآلاف الوسائل حتى يتم استهلاك العالم تقريباً ، وتظل بعض البقايا فقط البقايا

منفصلة على جزيرة صغيرة ما ، وسوف يخدمون

لتأسيس وبناء مجتمع جديد "

وقف بارسوت ويداه مكومتان داخل حيوية ، وحلق

في العراف ثم هز كتفيه سائلاً

- : " أحقيقة انك تؤمن بذلك الهراء ؟ "

- : " لا ، ليس ذلك هراء ، انا سوف أفعله بنفسي ،

ولو لتسلية نفسي فقط " ثم واصل ،

- : " على أية حال ، فالأمر الرئيسي هنا ، أنه

سيتواجد عدد كاف من سي الحظ ممن سيؤمنون به

‘ لكن فكرتي هي ان سيكون هناك طبقتان في

ذلك المجتمع الجديد مع وجود هوة بينهما ، او بدلاً

من ذلك وجود فراغ ثقافي يمثل ثلاثين قرناً بينهما

، وسوف تحيا الأغلبية وهي محفوظة بعناية وسط

جهل مطبق ومحاطة بمعجزات خرافية أكثر تشويقاً

وإثارة من شبيبتها التاريخية ، في حين ستكون

الأقلية من أولئك المسموح لهم بالدخول للعلم

والسلطة، وهذا هو طريق ضمان السعادة للأغلبية

، لأن شعب هذه الطبقة سوف يكون في حالة

اتصال بالعالم الإلهي المقدس الذي يفتقرون اليه

اليوم ، سوف تحدد الأقلية المتع الخاصة بالقطيع

ومعجزاته ، والعصر الذهبي العصر الذي تجول فيه

الملائكة بالطرقات عند الفسق والآلهة يظهرون

تحت ضوء القمر ، ذلك العصر سوف يمر "

- : " لكن هذه فكرة جبارة ولا يمكن ان تحدث "

- : " ولم لا ؟ ياه أنا اعلم إنها لن تحدث ،
لكن علينا ان نتقدم لو كانت تلك فكرة محتملة
- : " كل شئ مقلوب رأساً على عقب والعلوم
..... "
- : " ليذهب العلم الى الجحيم ! أليديك أية فكرة
عن هدفه ؟ وأنت ألم تتخذ من العباقرة هزوا
وسخرية في مذكرتك وتقول إنهم (يُفْتَنُونَ بكل
ما هو عابر وزائل) ؟ "
- : " طبعاً ، وعليك ألا تعارض الناس لأجل خاطر
ذلك فقط وبالنسبة لقولك ان كل شئ قد انقلب
رأساً على عقب في جماعتي بصورة تدعو لليأس ،
فهو نفس الشئ في المجتمع القائم ولكن بمعنى
عكسي تماماً ، فمعرفتنا - واقصد بها أكاذيبنا
الميتافيزيقية - ما زالت في مهدها بينما العلم
عملاق الآن ، والإنسان ذلك المخلوق البائس المتألم
عليه ان يحمل ذلك العبء الناتج من عدم التوازن
المرعب ، فمن جانب هو يعرف كل شئ ، ومن
جانب آخر لن يكون في جماعتي أي موضوع منها
هدفاً ، لا الأكاذيب الخرافية ولا المعرفة الوثيقة
بمعجزات الإله ، بينما كل شئ يمثل العلم
والغير نافع للسعادة الداخلية - سيكون وسيلة لا
أكثر للسيطرة بأيدينا ، ودعنا لا نتجادل حول هذه
النقطة فليس هناك هدف من ذلك ، فالإنسان
اخترع كل شئ تقريباً لكنه لم يجد أية مبادئ

إرشادية وهادية للحكومة أفضل من تعاليم المسيح
او بوذا ، لا بالطبع لن أتساءل عن الحق في أن
يكون المرء متشككاً في ذلك الأمر . لكن الشك
تurf للأقلية فنحن سوف نقدم للباقيين
السعادة (مطهوه جيداً) ، والإنسانية سوف تشبع
نفسها من تلك الإدارة الشعبية المقدسة "

- : " أتظن نفسك قادراً على تحقيق ذلك " .

توقف العُراف هنيهة ، واخذ يلوي الخاتم ذا الحجر
الأرجواني حول أصبعه وتطلع اليه ، ثم انحنى ناحية
بارسوت ، لكن بصره زائغ كما لو كان ذهنه قد شرد
بعيداً عن الواقع ، واسترد نفسه وواصل الحديث .

- : " نعم كل ما يتخيله الإنسان قابل للتحقق لو
منح وقتاً ، لم يقدم موسوليني بالفعل الديانة
والعقيدة لكل المدارس الايطالية ؟ هذا مجرد مثال
عن مدى تأثير (العصا على الظهر) للإلزام
الناس بالنظام ، الأمر الأساسي هنا أن تأسر روح
الجيل بينما يبحر الباقون بحرية " .

- : " وماذا عن فكرتك العظيمة ؟ "

- : " كنت سأصل لتلك النقطة ، خطتي ان أوسس
جماعة سرية لن تكتفي بنشر أفكارى فقط ، لكن
تؤدي دور مدرسة لملوك المستقبل ، واعلم أنكما
ستقولان انه كان هناك العديد من الجمعيات
السرية في الماضي ، وذلك حقيقي وكلها
فشلت لأنها لم تُبنَ على أسس ثابتة وراسخة ،

كلها يعتمد على العاطفة ، ووهم سياسي أو ديني ،
دون ان يأخذوا في حساباتهم واقعاً مادياً محسوساً ،
وجماعتنا في المقابل ، سوف تبني على مفهوم حديث
راسخ ، هو مبدأ الصناعية ، وبأسلوب آخر ، قد
يكون لها جانبها الخيالي اذا كان ذلك ما تريدان
وصف ما كنت أقوله ، لكنها سوف تعتمد على
الصناعة كأساس ثابت ، وهكذا أيضاً سنحصل
على الذهب"

تحول صوته إلى نبرة حادة ، وأضفت تقلصات عنيفة
على وجهه نظرة تقاطعت فيها عيناه ، حرك رأسه
الرمادي من جانب لآخر ، كما لو كان ضغط الانفعالات
غير العادية يلق رأسه ، فأراح يده على خصره ، وأخذ
يخطو ذارعاً المكان ويتكلم ،

: " آه .. نعم الذهب . أتدري ماذا اعتاد الألمان
القدامى تسميته ؟ أسموه الذهب الأحمر ذهب
هل تتابعاني؟ لا تقولوا أي كلمة ، يالللشيطان
.....أتدركان أنه لم يحدث أبداً ولا مرة واحدة أن تقوم
جماعة ما بتجريب مثل هذه المجموعة من الأفكار ؟ والمال
هو ما سيربطها كلها معاً ، ويمنحها الفكرة والأهمية
والعنف المطلوبين لجذب الناس لها. وسوف نستهدف
قبل أي شئ الشباب لأنهم أغبياء ويسهل استهواؤهم ،
ولسوف نعدهم بمملكة هذه الدنيا وانتصارات الحب ،
سوف نعدهم بكل شئ .. بكل شئ هل تتابعاني؟
سنسلمهم أزياء لامعة ، وقمصاناً رائعة وحرملات مزينة

بالريش من كل لون ، ... وجواهر بارقة ، ومستويات مختلفة من اختصارات الأسماء وبأسماء مدوية ومراتب قيادية وفي الجبال سوف نبني معبداً من الورق المقوي ، ونستخدمه في تصوير أحد الأفلام لا بمجرد أن نحقق الانتصار سوف نبني معبداً له سبعة أبواب ذهبية وبه أعملة من الرخام الوردي ، وممرات تؤدي إليه مخططة بجوافٍ من النحاس ، وحوله سوف نزرع الحدائق وكل بني البشر سيأتون لعبادة الإله الحي الذي صنعناه ."

- : " ولكن ماذا عن المال الذي يكفي ذلك كله كم مليوناً؟ "

وكلما أكثر العُراف من الكلام كلما انتقل حماسه الى اردوسين ، لقد نسي كل شيء عن بارسوت ، رغم وقوفه بجواره تماماً ، وبرغم إرادته ، تخيل عالماً جديداً محتمل قيامه ، ولسوف تعيش البشرية طقوساً متبادلة وسعيدة من البساطة وسوف تملأ الألعاب النارية سماء الليل بآلاف من النجوم الحمراء ، وقد يقبع ملاك ذو جناحين أخضرين يلمعان فوق سحابة ، بينما أسفله ينزلق رجال ونساء في أزياء بيضاء تحت أقواس من النباتات ، وقلوبهم مطهرة من الغشاء الذي كان يخنق قلبه ، أغمض عينيه ، وأخذ وجه إلزا يسبح نحو ذاكرته ، وقبل أن يقبض على صوتها ، انفجر صوت العُراف حاملاً رده الوحشي ،

: " إذن تريد أن تعرف من أين سنحصل على تلك الملايين ؟ إنه أمر سهل سوف ندير بيوتاً للدعارة

..... وكل عضو في الجماعة سيكون له اهتمام مباشر بكل أعمالنا . سوف نصبح مرابين ، وسوف نستغل النساء والأطفال والعمال ، والريف والمجانين في الجبال ... وأسفلها في كامبو تشيلينو وسوف نبحت عن الذهب وسنستخدم الكهرباء لمساعدتنا في استخراج الخام ، فإردوسين صمم بالفعل مولداً كهربائياً بقدرة ٥٠٠ حصان ، وسوف ينتج حمض النتريك بتركيز غاز النيتروجين من الهواء الجوي بواسطة قوس كهربائي دوار ، وسنستخدم الطاقة الكهربائية لإنتاج الحديد والنحاس والألمنيوم هل تتابعاني ؟ وسوف نخدع العمال كيما يحضروا هنا وسوف نستخدم السوط للقضاء على أولئك الذين يرفضون العمل بالمنجم ، أليس ذلك ما يحدث الآن في جران شاكو في مزارع الشاي والمطاط والبن وفي مناجم القصدير ؟ سوف نقيم سوراً سلوكياً مكهرباً حول مناطق ملكياتنا ، وسوف نشترى سكوت رجال الشرطة والمفتشين في بتاجونيا برشاً يسيل لها اللعاب، المهم ان نبدأ ، فالباحث عن الذهب موجود هنا بالفعل ، وقد وجد أماكن بها ذهب عندما ان يسافر عبر كامبو تشيلينو مع عاهرة تدعى القناع (ماسك) ، وكان علينا أن نبدأ ، هذا كل ما في الأمر ، ومن أجل بداية الدراما المبالغه لإلهنا الحي سوف نختار أحد المراهقين ، أو ننظر - ويكون من الأفضل حتى نربي طفلاً استثنائياً جميلاً ، ونعلمه القيام بدور الإلهة وسوف نتحدث بشأنه وسيتحدثون عنه في كل مكان ، ولكن في جو

من الغموض ، كيما تزداد مكانته أكثر في أذهان الناس ، هل تتخيل ما سيقوله أغبياء بوينس آيريس عندما تصلهم أنباء الشائعة أن في جبال تشوبوت البعيدة هناك إله مراهق يجيا في معبد منيع من الذهب والرخام شاب مذهل يقوم بالمعجزات ؟ "

- : " ان هرائك شيق هل تعلم ذلك؟ "

- : " هراء ؟ ألم يؤمن الناس بوجود البولسياسور الذي أكتشفه رجل انجليزي مخمور والرجل الوحيد في نوكوين الذين رفض البوليس منحه رخصة سلاح لأنه كان يطلق النار بصورة غير دقيقة ؟ ألم يعتقد الناس في بوينس آيرس بالقوى الروحية لذلك المهرج البرازيلي الذي ادعى قدرته على شفاء أورفيليا ريكو من الشلل ؟ فإذا ما كان هناك مشهد ضخم وتافه دون ذرة من خيال فسيكون هو هذا المشهد ، ورغم ذلك ألم يقم عددٌ لا يحصى من البلهاء بتجفيف دموعهم عندما قام ذلك المحتال برفع علامة الانتصار عالياً رغم ان الفتاة ظلت معاقة كما هي ؟ ذلك يبين أن الناس في هذا الجيل وكل جيل لديها حاجة مطلقة للإيمان بشئ ما ، وإذا ما استطعنا الحصول على جريدة لمساندتنا ، حينئذ سيمكننا القيام بالمعجزات . هنا العديد منهم ملأهم اليأس من رؤية شئ مثير كهذا يروجون له ، ونحن سوف نمد أولئك المتشوقين للمعجزات بإله عظيم ، مُزين بأساطير يمكننا

نسخها من التوراةالآن هناك فكرة ،
يمكننا إن نعلن أن الشاب الذي لدينا هو المسيح
الذي تنبأ بقدومه اليهود أظن على أن أفكر
كثيراً في هذا الموضوع ، ويمكن أن يكون معنا صور
لإله الغابة هذا ، كما يمكننا أن نصنع فيلماً وبه
معبدا الورقي وسط الغابة ، ونظهر الإله وهو
يتحدث الى روح الأرض "

- : " لكن هل انت نفعي أم أنك مجنون ؟
رمى اردوسين بارسوت بنظرة اشمئزاز متسائلاً ، كيف
يمكن إن يكون بهذا الغباء وهذه البلاهة تجاه جمال خطط
العَراف؟ ، وفكر في نفسه قائلاً (إن هذا الحيوان
المتوحش يغير من الجنون العظيم ، تلك هي المسألة .،
أظنه يستوجب القتل) .

- : " أنني الاثنان معاً ، سوف نختار إنسانا بين
شخصية كريشنا مورتى وبين رودلف فالتينو ،
على أن يكون أكثر غموضاً ، طفلاً ترمز ملامحه
الغريبة لكل آلام الدنيا . وأقلنا سوف نعرضها
في المقاطعات الفقيرة ، والمدن العشوائية ، هل في
إمكانكما إن تتخيلوا تأثير مشهد يقوم فيه ذلك
الإله الشاحب بإحياء رجل ميت على إنسان محروم
وبائس . أو مشهد رئيس الملائكة جبريل وهو
يتابع أعمال تعدين الذهب أو يشرف على
شحنات المعادن ؟ ولا أزيدك بمشاهد العاهرات
المغريات المهيآت لمنح أنفسهن لأول بائس مسكين

يصل لمن ، سوف يغرقنا فيض من الطلبات التي
تسألنا الذهاب للعمل في المدينة المفقودة (للملك
العالم) وأن نستمتع بملذات الحب المجاني ، وبعيداً
عن كل ذلك الغناء سوف نقوم باختيار أقل الناس
تعليماً ، وحالما نضع أيدينا عليهم هناك ، سوف
نتزع روحهم المعنوية ونجبرهم على العمل
عشرين ساعة في اليوم لتنقية الذهب "

- : " ظننتك في صف العمال " .
- : " عندما أخطب أحدهم ، سوف أكون شيوخياً ،
ولكني الآن أخطبك أنت وأخبرك ، ان جماعتي
السرية ملهمها هو جماعة تم تنظيمها في بداية
القرن التاسع عشر على يد قاطع طريق اسمه عبد
الله بن مایوم وبالطبع لم يكن لديه المحتوى
الصناعي الذي أضيفه أنا لتنظيمي وسيضمن
نجاحه ، إذ أراد مایوم هذا ان يجمع أحرار الفكر
والارستقراطيين والمؤمنين معاً من جنسين مختلفين
يائسين هما الفرس والعرب في تنظيم بنه على
تراتبية مكونة من المبادأة والغموض ، واطلقوا
أكثر الأكاذيب المفضوحة بين الناس ، وقد وعدوا
اليهود بأن المسيح سيأتي ، اما المسيحيين فوعدوهم
بقدوم الباراقليط (المعزي) والمسلمين بخروج
المهدي ، وقد فعلوا ذلك بنجاح مؤثر لدرجة أن
جماهير غفيرة من الناس من ذوي الثقافات والآراء
والمعتقدات المتباينة أوقفوا أعمالهم من أجل منظمة

كان هدفها الحقيقي معروفاً لعدد قليل مختار من الأفراد ، وبهذا الأسلوب حلم مايموم بحكم كل العالم الإسلامي ، واسمح لي أن أخبركما ان قادة الحركة كانوا نفعيين بصورة لا تصدق ومن الذين لم يؤمنوا بشئ على الإطلاق ، وسوف نقتدي بنموذجهم ، سوف نصبح بلشفيك وكاثوليك وفاشيست وملحدين أو عسكريين وفقاً لمستوى المبادرة".

- " انك أكثر المحتالين جلباً للعار ممن رأيت لو نجحت الخطة " شعر بارسوت بارتياح غريب في إهانة العراف ، والحقيقة هي أنه لم يُقر بأنه أكثر منه وضاعة بأي شكلٍ وعلاوة على ذلك ، اكتشف ان هناك شيئاً ما مهيناً له ، مهما بدا غريباً أمامه ، وتلك كانت الحقيقة الصادمة وهي أيمن لاردوسين ان يصبح صديقاً لأحد ما من هذا المستوى ، قال لنفسه : " كيف يمكن لذلك المعتوه ان يكون صديقاً لإنسان مثله ؟ " وهذا هو سبب اقتناعه انه كان دائماً على حق في معارضته للعراف .

- " سوف تنجح ، لأن الذهب هو الإغراء ، ونجاح منظمتنا سوف يُقاس بمدى المكاسب التي سوف تجلبها أعمالنا ، وأحد مصادر الدخل سيكون من بيوت الدعارة ، إاردوسين قد ابتكر آلّه تمكنا من قياس عدد الزبائن الذين زاروا كل فتاة يومياً ، ثم

هناك الهبات والتبرعات ، وصناعة جديدة تأمل في إطلاقها وهي صناعة الورود النحاسية ، وهي واحدة من اختراعات اردوسين ، وربما تستطيع ان تفهم الآن لماذا اختطفناك "

- : " وما فائدة ذلك إذا كنت أسيرك ؟ " عند هذه

اللحظة ، فكر اردوسين فجأة في غرابة عدم قيام بارسوت بتهديد العراف ولو مرة واحدة بالانتقام منه لو استطاع أن يحرر نفسه ، وهذا ما أدى به إلى أن يقول لنفسه

- : " علينا ان نكون شديدي الحذر مع يهوذا هذا

، إنه قادر على بيعنا ليس مقابل قطع من الفضة وإنما يبيعنا حسداً " وواصل العراف

- : " ان نقودك سوف تمكننا من إقامة مأخور ،

وتنظيم أولى بعثاتنا وشراء الأدوات ، وإنشاء مكتب برقيات ، وكل ما نحتاجه من أجل استخلاص الذهب " .

- : " وانت لا تقر باحتمال الفشل ؟ "

- : " نعم انا سوف لكنني سأواصل ما

أفعل وكان الأمر لا تحوطه ظلال من الشك ، بالإضافة إلى أن الجماعة السرية تشبه آلة بخاريه ضخمة والبخار الذي تخرجه يمكنه ببساطة ان يحرك رافعة تؤدي دور (الهوائية) " .

- : " لكن ما الذي ترغب في تحريكه ؟ "

- : " جبلٌ من اللحم الحامل ، ونحن المختارون القلائل - نريد ونحتاج الطاقات الإعجازية على الأرض ، وسنُعد أنفسنا من المحظوظين لو استطعنا خلال أعمالنا الفظيعة ان نرهب الضعفاء ونستثير الأقوياء .. ولكي نصل لهذا علينا أن نبني قوتنا الذاتية ، وان نقوم بتثوير الوعي ، ومدح البربرية ، وأكبر قوة غامضة يمكنها فعل ذلك كله هي منظمتنا السرية ، سوف نُحي محاكم التفتيش ، وسوف نحرق كل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله على العمود ..

كيف تأتي للناس ألا يدركوا مدى الروعة غير العادية في إحراق شخص ما حياً ؟ ويسبب عدم الإيمان بالله هل فهمتما ؟ لعدم الإيمان بالله ألا تريان ان من الضروري * الضروري على الاطلاق - لدين جادٍ يشيع الرهبة في النفوس أن يأخذ بمجامع قلوب البشر من جديد ؟ وأن يجثو كل إنسان على ركبتيه حين يمر قديس بهم أو أن تجلب صلوات أكثر الرهبان تواضعاً معجزة من سماء المساء ؟ لو تعلمون كم حلمت بذلك كثيراً ! وما يمنحني الأمل هو علمي كيف أدى تطور الأمور والبؤس في عصرنا هذا الى الإخلال بتوازن الكثير من الناس ، وكل تلك الأرواح الشاردة التي ضلت طريقها داخل المجتمع تُعد طاقات مهددة بلا طائل ، قم بجمع شخصين ساذجين مع فيلسوف كلي (ممن لا تهمهم المتع الدنيوية) في أحط المقاهي المحلية

وأكثرها وضاعة ، وستحصل على ثلاثة من العباقرة فوراً ، وأولئك العباقرة لا يعملون ولا ينتجون أي شئ ... وأتفق معك أنهم مجرد شخصيات عبقرية براءة .. لكن ذلك البريق الزائف يمثل طاقة يمكننا توجيهها لخلق أساس متين لحركة قوية وجديدة . وهؤلاء هم الأدوات التي أنتوي استخدامها .

" إذن سوف تصبح مديراً للمجانين "

" هذا ما تقول بالضبط .. أريد أن أصبح مديراً للمجانين ، ولكل العباقرة الخرافيين الذين لاحصر لهم ، ولكل الناس المجانين الذين لا يجدون مكاناً لهم في الجماعات البلشفية أو الروحية و ... كل اللأسوياء ... وأنا أقول لك هذا لأن لدى خبرة عميقة بهم ، فلو تم خداعهم بصورة صحيحة مع استشارة مشاعرهم جيداً سيكونون قادرين على فعل أشياء تجعل شعر رأسيكما ينتصب هلعاً ، فكل مثقفي البارات ، ومخترعي (ورش ما تحت السلم) وأنبياء شعب الأبرشية وسياسي المقاهي وفلاسفة الأندية الإجتماعية ، هم الذين سيصبحون وقود المعركة في جمعيتنا السرية "

" أنت لاتعرف مدى غرور أولئك الذين يقتربون

من حافة العبقرية "

" نعم .. حتى يفهموا الامر بصورة صحيحة . أليس

كذلك يا بارسوت ؟ "

" موضوع لايهمني "

" لكن عليك أن تهتم ، فأنت ستصبح واحداً منا ،
هذا ما أظنه ، أخبرني عن واحد من أشباه العباقر هؤلاء
ولا تعد أنت مبدعاً تماماً ، إنه يكوم كل درجات الغباء
والإهانة الموجودة في شخص أنت تسيء فهمه في ذهنك .
لكنك لو تمدح هؤلاء الوحوش الأنانيين - بصورة
منتظمة - فسوف يصبح ذلك الانسان الذي كان ليقتلك
لأ تفه الأسباب ، عبداً لك باختياره ، فكل ما عليك فعله
هو أن تغذيهم بجرعات صحيحة ومنتظمة من الأكاذيب
الفخمة ، عندئذٍ سواءاً كان مخترعاً أم كان شاعراً سوف
يفعل كل ما تريده منه "

فزجر بارسوت : " إذن أنت تعتبر نفسك عبقرياً .
كذلك ؟ "

" أظن ذلك طبعاً . ، ولكن خمس دقائق يومياً فقط ،
رغم أن الحقيقة أن هذا الموضوع لا يقلقني فالكلمات
لا تهتم من ولِدوا (ليفعلوا) ، المسألة هي كل أولئك
الناس القابعون على الخافة وبنترفخون بكلمات جوفاء .
لقد وضعت لنفسي لغزاً لاعلاقة له بقدراتي الفكرية ،
وهو (هل يمكن للبشرية أن تكون سعيدة ؟) وكان أول
من قاربتهم للحصول على إجابة هم أولئك التعساء ،
وباعتبارهم الهدف قدمت لهم كذبة سوف تجلب لهم
السعادة بدغدغة غرورهم .. وهكذا يصبح هؤلاء
الشياطين البؤساء - إذا ما تُركوا لدواخلهم - مجرد
أهداف للشفقة والعطف ، وسيصبحون مادة خاماً
نستخدمها لإنتاج الطاقة .. بخاراً "

" أنت تنأى بعيداً عن الموضوع ، كنت أسألك ماذا كانت دوافعك لتنظيم جماعة سرية خاصة بك ؟ "

" هذا سؤال غبي ... لماذا ابتكر آينشتاين نظريته ؟ فالعالم يمكن أن يسير دون (نسييته) ، وكيف يمكنني أن أعرف أنني لست أداة بيد قوة أكبر لا أومن بها مطلقاً ؟ ليس لدي أدنى فكرة .. فالعالم سرٌّ ضخماً ، وقد لا أكون سوى يد الخادم أو العبد الذي يهئ المثوى الكامل الذي سيأتي إليه القديس (المختار) ليموت فيه . "

ابتسم بارسوت بوهن ، إذ يستمع لذلك الرجل ذي الأذن (القنبيطية) وشعره الأشعث ولهجته الغوغائية عن المختار التي تثير داخله إحساساً غريباً بالاحتقار ، ويتساءل كيف لذلك المهرج أن يرتدى كل تلك الاقنعة ؟ ولكن الأغرب من ذلك كله أنه لم يكن غاضباً ، فالشعور الذي أثاره العراف فيه شعوراً آخر مختلف كما لو كان ما قاله لا يشكل مفاجأة له ، أو كما لو كان سمع ذلك كله من قبل بنفس الصوت ونفس النبرة ، في مناسبة بعيدة ضاعت وسط لفائف حلم رمادي قاتم ، ثم أصبحت نبرة العراف أقل مبالغة

" صدقاني .. هذا ما يحدث دائماً في عصور اللايقين والشتات ، وقلة من الناس هم من يتنبأون بأن شيئاً غير عادي سيحدث .. وأولئك الناس أصحاب الحدس ، من يشكلون ذلك النادي من المتنبئين الذين أعد نفسي بينهم ، يشعرون بالحاجة لاستشارة وعي الانسانية .. وأن يفعلوا شيئاً ، حتى لو بدا ذلك الأمر في النهاية سخيفاً ، وفي

حالي هذي يكون هذا الشأن هو جماعتي السرية ، يا الله الطيب ! هل لدى أحد أية فكرة حقيقية عن آثار ونتائج أفعاله ؟ عندما أفكر أنني على وشك أن أقوم بتحريك عالم كامل من الدمى ، دمي ستمضي قدماً وتتضاعف عدداً ، أشعر بالرجفة رعباً ، ويخطر لي - أحياناً حتى - أن ما قد يحدث سيكون بعيداً جداً عما قصدته ، كما تحدث الكوارث التي يتسبب فيها فني الكهرباء عندما يأخذ جنونه أبعد من رغبات صاحب العمل ، لكن رغم ذلك أشعر بالحاجة الملحة لأن أضع كل شيء في الحركة وأن أجمع الطاقات المشتتة لمئات الأنفس المتعارضة وتنسيقها في هارموني منسجم باللعب على ذاتيتها وتيهها ومشاعرها وأوهامها ، وأن أقيم كذبة تعد تأسيساً لذلك الجهد ، وأن أجعل الذهب حقيقتها الواقعة
الذهب الأحمر ."

" كل ما تقوله صحيح أنت سائر للنجاح "

" إذن ماذا تريد مني ...؟ " كان هذا ما لفظه

بارسوت ،

" قلت لك من قبل .أريدك أن توقع على شيك

بمبلغ ١٧٠٠٠ بيزوس ، وهذا المبلغ سيبقي لك ٣٠٠٠

بيزوس تفعل بها ما تشاء ، وسنسد لك فيما بعد ،

على أقساط شهرية من الدخل الذي سنحصل عليه

من ادارة المواخير وعمليات تعدين الذهب "

" وستخرجوني من هنا ؟ "

" بمجرد أن نصرف الشيك "

": ماذا يثبت لي أنك تقول الحقيقة ؟"

بعض الأمور لا يمكن إثباتها ، ولكنك إذا أردت مني برهاناً دعني أقول لك ببساطة إذا ما رفضت توقيع الشيك ، سوف آمر بتعذيبك بواسطة الرجل (الذي رأى القابلة) وبمجرد أن يجبرك على التوقيع سوف أقوم بقتلك "

رفع بارسوت عينيه المغسولتين ، اللتين تخفيهما حية طالت خلال ثلاثة أيام ، وبدا وجهه كما لو كان مغلفاً بضباب نحاسي ... (إقتله) كلمة لا تأثير لها عليه ، ففي تلك الحظات ام تعن له شيئاً بجانب أن الحياة ليس لها سوى أهمية قليلة جداً .. إذ ظل لفترة طويلة يتوقع حدوث كارثة ما ، وقد حدث الآن ، وبدلاً من شعوره بالوقوع في قبضة الرعب ، اكتشف في نفسه لامبالاة دعت له لأن يهز كتفيه أمام أي مصير تخبئه له الأقدار ، فواصل العراف حديثه.

": واكني لا أريد للأمور أن تصل لهذا الحد ، ما أريده من أجلك أن تساعدنا ، ومن أجلك أن تبدي اهتماماً بمشروعنا .. صدقني ، نحن نعيش أوقاتاً صعبة ، والشخص الذي سيكتشف الكذبة التي تحتلها الجماهير سوف يصبح ملك هذا العالم . فكل واحد وقع فريسة للقلق ، حيث لا أحد سعيد بالكاثوليكية ، ولكن البوذية لا تلائم مزاجنا لأن الحاجة للسعادة قد أفسدتنا، وربما يجب علينا أن نتكلم عن الشيطان وعن نجمة المساء ، ويمكنك أن تضيف على

أشعارنا حاجات أحلامنا ، كما يمكننا أن نستهدف الشباب
... ياه يالها من فكرة عظيمة ... عظيمة جداً "

تداعى العراف على الصندوق إذ أجهله الكلام ،
وجفف العرق النازل على جبهته بمنديل خشن ، وجلس
ثلاثتهم في صمتٍ للحظة ، وفجأة قال بارسوت .

:" نعم .. أنت على حق إنها فكرة عظيمة ، فك قيودي
وسوف أوقع الشيك من أجلك " ظن أن سخونة وحاسة
خطاب العراف هما ما أديا لوقوعه على الصندوق . نهض
العراف معترضاً .

:" لا..... لا . سوف أطلق سراحك حالما نصرف الشيك
، اليوم الاربعاء ويمكنك أن تصبح حراً عند منتصف النهار
غداً . لكنك ستكون قادراً على مغادرة منزلنا خلال شهرين
"

كان يصرح بذلك لأنه أدرك أن الرجل الآخر لم يؤمن
بأي من خططه .

:" هل تحتاج لشيء هذا المساء ؟ "
:" لا.. "

:" لكنك لا تستطيع أن تذهب هكذا ..إبقى قليلاً "
:" لا فأنا متعب ... واحتاج بعضاً من القيلولة .
سوف أعود الليلة ونستطيع التحدث في

المزيد ، هل تريد سجائر ؟ "

:" نعم "

وغادر الاثنان الاسطبل . رقد بارسوت فوق فراشه
المكون من القش ، وأشعل سيجارة ، وأطلق بعضاً من

دخانها ، وبينما يتصاعد التقطته أشعة رقيقة من ضوء الشمس في حلقات بارقة كزرقة الصلب ، والآن أصبح وحيداً ، وهبطت أفكاره نظيفة في مكانها الملائم ، فقال لنفسه .

" : لم لاتمد يد المساعدة لذلك الرفيق ، إذ أن خطته لإقامة معسكر للثورة مثيرة للاهتمام ، وأنا الآن أفهم سبب انضمام ذلك (الايردوسين) له ، بالطبع سيعني ذلك أنني سأخرج للشوارع ربما ذلك وربما لا ، لكنني عرفت دائماً أن هذه الأمور يجب أن تصل لنهاية بطريقة أو أخرى "

أغلق عينيه كيما يتأمل المستقبل . كانت قبعته مشدودة فوق وجهه ، والتفت العراف نحو إردوسين وهما يمشيان قدماً وقال

" : بارسوت يعتقد أنه يخدعنا ، وغداً بعد أن يوقع الشيك ، سيكون علينا قتله "

" : لا... أنت سيكون عليك قتله "

" : حسناً .. بواسطتي .. إذ ليس أمامنا خيار آخر ، فبمجرد أن يصبح طليقاً ربما يشي بنا للشرطة ، وهو يظننا مجانين ! وسنكون كذلك إذا تركناه يعيش "

وصلا الى وقفة قريبة من المنزل ، وهناك في السموات الزرقاء أندفعت الحواف المتداخلة للسحب السمراء اللون بسرعة عبر الفضاء .

- " : من سيقوم بذلك ؟ "

- " : الرجل (الذي رأى القابلة) "

- " أنت تعلم أن الموت مع الصيف الذي يوشك على الحلول ليس مسألة سهلة "
- " هذه حقيقة كافية "
- " وماذا عن الشيك ؟ "
- " يمكنك صرفه نقداً "
- " ألا تخشى أنني قد أفر بالمبلغ ؟ "
- " ليس الآن ... لا.. "
- " لماذا؟؟؟ "
- " لأن ... فقط لأنك أكثر من أي واحد تحتاج لنجاح جمعيتنا السرية ، لتتأكد من الملل.. وذلك أيضاً السبب في أنك تستمر معي في ذلك الموضوع بعيداً عن الملل والقلق "
- " ربما تكون على حق ... متى سنلتقي غداً ؟ "
- " فلنرى... التاسعة عند المحطة ، سوف أحضر لك الشيك .. وبالمناسبة هل معك أية أوراق تحقيق للشخصية ؟ "
- " حسناً .. إذن لا شيء سيحدث خطأً آه. هناك شيء واحد فقط ، انصحك أن تكون موجزاً وهادئاً عندما تتحدث في الاجتماع " .
- " هل هم جميعاً موجودون ؟ "
- " نعم ... "
- " والباحث عن الذهب أيضاً ؟ "

- : "نعم"

شق الرجلان طريقهما عبر أفرع الشجر وتوجها نحو البيت الصيفي ، الذي كان بناء مفتوحاً من الخشب ، تطلق نحوه شجرة (ماصة العسل) براعمها وأزهارها البيضاء والقرمزية .

الأزمة



و بينما كانا يدخلان ، نهض الرجل الذين كانوا يشكلون دائرة واقفين ، فوقف إيردوسين مذهولاً عندما لاحظ أن واحداً منهم كان ضابطاً مرتدياً زياً رسمياً برتبة العقيد . و بخلاف العقيد كان متواجداً أيضاً الباحث عن الذهب . و هافنر و شخصاً آخر لم يعرفه .

كان هافنر و كوعه على المائدة يتصفح بعض الأوراق المشوشة الخط ، في حين إنحنى الباحث عن الذهب فوق خريطة أمامه ، و إنتصب حجر صلب فوق حافة الورقة ليمنع الريح من الإحاطة بها . و قام البلطجي "The Thug" بمصافحة إيردوسين و جلس بجواره ، و هو لا يزال يحملق في العقيد ، الذي إستثار فضوله في الحال ، (العراف) كان بارعاً في المفاجآت إلا أن الوافد الجديد لم يترك عليه أثراً طيباً ، إذ كان رجلاً طويلاً شاحب الوجه بعينينه بازغتين سوداويتين ، و ما أزعج أيرودسين كانت شفته السفلى التي بدت ملتوية باستمرار يملؤها الإحتقار ، و كذلك الثنيات الثلاث التي تقبع عند إلتقاء أنفه الطويل المعقوف بجهته ، مع شارب حريري يغطي شفثيه الحمراوين ، و بعد تمام تقديمه للحضور

نادراً ما ألقى على أيرودسين أكثر من نظرة حانقة قبل أن يغوص في سرير خلوي مستنداً بظهره إلى عمود خشبي و سيفه يتدل بين ركبتيه ، و خصلة شعر إلتصقت بجبهته المسطحة .

و لعدة دقائق ، لم يتفوه أحد منهم ببنت شفه و هم يعنون النظر في بعضهم البعض بقلق ، فقام "العراف" بإشعال سيجارة و هو يجلس قريباً من المدخل المؤدي للمنزل الصيفي و بدأ يُقيم الرجال الذين سيدعوهم "رؤساءه" ، ثم فجأة رفع رأسه و أخذ يتحدث جاذباً معه الرجال الخمسة : " أنا لا أجد فائدة ترجى من تكرار كل ما سبق أن عرفناه و تم الإتفاق عليه في لقاءاتنا المنفردة بأن تكون الخطة تشكيل جماعة سرية يتم جمع الأموال لها بغض النظر عن الدواعي الأخلاقية و اللاأخلاقية ، و كلنا متفق على هذا ... أليس كذلك ؟ ما رأيكم و أنا أميل للهندسة - أن نسمي جماعتنا (الخلايا) ؟ ، فقال العقيد : " هذا هو إسمها في روسيا ... و على أولئك المنتمين لخلية ما أن يعرفوا أعضاء الخلايا الأخرى " .

- : " ماذا ... هل لن يعرف القادة بعضهم البعض ؟

"

- : " لا ... فالذين لن يعرفوا بعضهم البعض هم الأعضاء لا القادة "

فتدخل الباحث عن الذهب :

- : " أن ذلك سيجعل الأمور مستحيلة ... إذ لو حدث ذلك فما الذي سيربط بين الأعضاء في الخلايا المختلفة ؟ "

- : " ... لكن نحن الستة فقط الذين سيربطون بين أجزاء الجماعة "

- : " لا يا سيدي .. أنه أنا " هو الجماعة " ، كان ذلك هو إعتراض العراف مستطرداً

- : " و لكي أكون أكثر جدية ، يمكنني القول أن كل الأعضاء هم من يشكلون الجماعة ... بغض النظر عن بعض القيود فيما يتعلق بشخصي "

و أراد العقيد أن يدلي بدلوه :

- : " أظن تلك المناقشة غير مجدية ، لأنني كما أرى سيكون هناك نظام محكم و جيد ممن الترتي ، و كل تقدم سوف يجلب لنا عضواً في خلية ليكون على إتصال بقائد جديد ، حيث سيكون هناك عدد من الترتيات بقدر عدد قادة الخلايا .

- : " على كل كم عدد الخلايا الموجودة حالياً ؟ "

- : " أربع .. و سوف أتولى مسئوليتها كلها - و واصل العراف كلامه : " و ستكون أنت يا أيردوسين قائداً المسئول عن الصناعة ، وسيكون الباحث عن الذهب - هنا أوما شاب يجلس بأحد الأركان على الطاولة موافقاً - مسئولاً عن تخيماتنا و عمليات التعدين ، بينما سيتولى العقيد - هنا -

مسئولية إنتشار جماعتنا داخل الجيش ، و يقوم هافنر
بالإشراف على (بيوت الدعارة) "

فإنتفض هافنر ليعترض قائلاً :

- : " أستسمحك عذراً ، أنني لن أكون رئيساً
لأي شيء ، إن حقيقة وجودي هنا لا دلالة لها سوى
إنني أقدم لك معروفاً بتخطيط ميزانية لبيوت الدعارة
تلك ، و إذا لم يسعدك هذا فأنا سأعادركم على الفور
." "

فتقدم العراف بإعتذاره صائحاً :

- : " لا .. إبق معنا " .

جلس البلطجي الكتيب و راح يعبث بأحد الأقلام ، و لم
يتمالك إيرودسين إظهار إعجابه بكبرياء هافنر .

و لم يكن هناك أدنى شك أن العقيد هو محور كل إنتباه
للحاضرين ، بسبب مكانة زيه الرسمي ، و حقيقة وجوده
بينهم ، فإستدار الباحث عن الذهب نحوه متسائلاً :

- : " حسناً ماذا أتى بك إلى هنا ؟ و هل تأمل في

نشر جماعتنا السرية داخل الجيش ؟ ... "

إعتدل كل واحد في مقعده ، فتلك هي مفاجأة إجتماعهم
الكبرى ، أنها " الحبكة المسرحية " التي تم تخطيطها
في صمت ، و فيما وراء ظلال من الشك حامت حولهم ، إتخذ
العراف سمت القائد ، و كان الشعور بالخرج أنه أبقى في
طيات ذهنه مثل ذلك السر خافياً ، لكن إيرودسين شعر
بالفخر لإرتباطه به . و مال كل واحد منهم للأمام لسماع ما

يمكن أن يقوله العقيد ، فتفحص العقيد وجه العراف ثم بدأ كلامه :

- : " أيها السادة .. لقد قيمت ما سأقوله بعناية شديدة و إلا ما كنت هنا الآن و هذا هو موقفنا ، أن جيشنا ممتلئ بالعديد من الضباط المحبطين ، و ليس هناك هدف أبعد من ذلك السبب لعملنا ، و لذا فلن يشكلوا أدنى عقبة أمامكم ، و أفكار من مثل الديكتاتورية و الأحداث السياسية و العسكرية الجارية في كل من أسبانيا و شيلي أدت بزملائنا إلى الاعتقاد أن بلدنا قد أصبحت تربة خصبة لمثل تلك الديكتاتورية "

ها سقطت فكوك مستمعيه لأسفل تعبيراً عن الدهشة الشديدة ، فما يسمعوناه الآن كان غير متوقع تماماً .

و أراد الباحث عن الذهب أن يستزيد معرفة فقال :

- : " و هكذا تعتقد أن الجيش الأرجنتيني .. أقصد ضباطه سوف يتقبلون أفكارنا ؟ " فأجابه :

- : " بالطبع سوف يفعلون .. خاصة عندما تقوم بتقديمهم صورة لائقة ، يمكنني أن أخبرك من البداية أن كثيراً جداً من الضباط أكثر مما تتوقع إمكانه قد تربوا على النظريات الديمقراطية بما فيها البرلمانية ، .. لا تقاطعني لأن تسعين بالمائة من أعضاء البرلمان في بلدنا لا يمكنهم مجازاة ضابط صغير بالجيش في مستوى التعليم و الثقافة . و قد أصاب

أحد السياسيين هدفه حين قال - أثناء إتهامه
بالمشاركة في إغتيال أحد الحكام - في إجابته (إنك
لكي تحكم أمة لا يتطلب الأمر مهارات أكثر مما
يملكها مشرف مزرعة ما) و ما قاله ذلك السياسي
حقيقة تنطبق على كل أمريكا اللاتينية "

جلس العراف يحك يديه بصوت واضح ، و نظر العقيد
إلى كل واحد منهم و أكمل حديثه :

- : " أن الجيش يعد مؤسسة قوية داخل أي
مجتمع متدن ، و بذلك التحديد نعد نحن قوة هذا
البلد ، إلا أننا نخضع لقرارات الحكومة ... لكن ما
هي الحكومة بالضبط ؟ ... السُلطان التشريعية و
التنفيذية ، و بمعنى آخر أناس تم إختيارهم بواسطة
الأحزاب السياسية الغوغائية ... و يالهم من ممثلين و
نواب .. أيها الأصدقاء ... إنكم تعلمون أفضل مني
أن المرء لكي يدخل البرلمان يحتاج إلى إحتراف
الأكاذيب ، مستهلاً شأنه بالتمارض و سط اللجان ،
ثم القيام بصفقات و مشاركة المحتالين من كل لون ،
و بإختصار ، يعيش حياته خارج القانون و الحقيقة ، و
ليس لدي أدنى فكرة عما إذا كان ذلك يحدث في
البلدان الأكثر تحضراً أم لا ، لكن ذلك هو الواقع
هنا ، ففي مجلس النواب و الشيوخ لدينا ، نجد
أعضاءاً متهمين بالقتل و بالربا ، و من الأوغاد
المسجلين بكشوف الصرف في الشركات الأجنبية ،
لدرجة أن النظام البرلماني مع أناس بتلك البلاهة

الوقحة أصبح واجهة بشعة شوهدت الحياة في هذه الأمة . كما أن الانتخابات الرئاسية مولتها رؤوس الأموال القادمة من الولايات المتحدة على أساس الوعد بضمان حصول مؤسساتهم على إمتيازات إستغلال ثرواتنا القومية ، و أنا لا أبالغ حينما أقول أن في بلدنا هذا لا تُعد المنافسات السياسية أكثر من " هَرْجَة " بين بائعين يتصارعون من أجل بيع الأمة لأعلى سعر في المزاينة (*) .

جلسوا جميعاً فاغري الأفواه أمام العقيد ، وفيما وراء العوارض الخشبية وإحراج النباتات المتسلقة بدت سماء الصباح زرقاء لامعة ، لكن لم يلحظها أحد ، وفيما بعد أسر لي أيرودسين أن لا أحد من الموجودين في لقاء الأربعاء ذلك ، كان يتوقع نصف ذلك المشهد الحسي الرائع ، جفف العقيد شفتيه بمنديله و واصل حديثه :

- : " سعيد أنا ، أن كلماتي لمست وتراً لديكم ، فهناك العديد من الضابط الشباب الذين يرون ما أراه ، بل أن هناك بعض القادة الكبار الذين رُقوا حديثاً أن ما عليكم فعله - و لا تصيبكم الدهشة بما سأقوله - أن تقودوا المجتمع نحو توجه شيوعي كامل ، و أقول هذا لأنه لا يوجد شيء مثل الشيوعية في الأرجنتين و ما كنت لأصف لكم مجموعة من النجارين يتحدثون بكلام إجتماعي عبثي لا معنى له في مكان ما حيث لا تجد إنساناً يرفع قبعته إحتراماً كشيوعي . و أود أن شرح أكارى لكم بأكبر قدر

ممكن من الوضوح ، فكل جماعة سرية تشبه السرطان داخل المجتمع ، تؤدي عملياتها الغامضة إلى خلخلة وظائف مضيفها .. حسناً ، علينا نحن قادة الخلايا أن نتأكد أن تلك العمليات و الإجراءات ثورية و بروليتارية تماماً . ، و كانت تلك أول مرة تُذكر فيها هذه الكلمة [ثورية بروليتارية] في هذا اللقاء ، و رغماً عن إرادتهم رمق كل واحد الآخر بنظرة متوترة ، ثم .. : " و هذا سوف يجذب كثيراً من المهوسين و يساعد على إنتشار الخلايا ، و بهذا الأسلوب يمكننا خلق قوة ثورية مصنوعة ، و لسوف نتخصص في الهجمات الإرهابية ، حتى لو كانت هجمة نصف ناجحة ، فسوف تُطلق كل قوى المجتمع الظلامية المتوحشة ، و إذا ما كررنا الهجمات خلال عام مصحوبة بمنشورات ضد المجتمع تُحفز الطبقة البروليتارية لإقامة سوفيات خاصة بهم (*) ، هل تعلمون مدى ما سوف نحققه ؟ ... أنه شيء مذهل بقدر ما هو بسيط ، نحن سنخلق حالة من الموارد الثوري " .

- : " و يمكنني أن أحدد ذلك (الموارد الثوري) بنوع من الإضطراب الجمعي غير القادر على تحديد هدفه الحقيقي ، فكل واحد يقف على الحافة ، و إنفعالاته ثائرة ، و تُحرك الصحف الأمور أكثر ، و تؤدي الشرطة " و نصيها في الأحداث " بإعتقال الناس الأبرياء ، الذين يصبحون - بعد كل

ذلك - ثوريين بعدما عانوا على أيديهم ، و كل شخص يستيقظ في الصباح قلقاً بشأن آخر الأخبار ، آملاً أن يسمع عن أعمال أكثر رعباً من ذي قبل ، مما يؤدي لتأكيد شكوكهم حول الأسوأ ، و ستؤدي وحشية الشرطة إلى إشعال غضب أولئك الذين يعانون إلى أن يُفرغ شخص ما فقد رشده طلاقات مسدسه في صدر شرطي ، فتبدأ المنظمات العمالية ردود أفعالها و تعلن الإضرابات ، و تنشر كلمات مثل " الثورة " و " البلشفية " الخوف مع الأمل في كل مكان ، عندئذ و حينما تمتد سلسلة من الانفجارات عبر المدينة و عندما تُقرأ كل المنشورات و يصل الموارد الثوري إلى ذروته ، تكون تلك هي لحظتنا نحن العسكريين كيما نتدخل .

حرك العقيد حذائين (طولي الرقبة) بعيداً عن عمود ساقط من أشعة الشمس و واصل حديثه

- : " نعم فنحن رجال العسكر سوف نتدخل ، حيث نعن أنه أمام عدم القدرة الواضحة للحكومة في الدفاع عن مؤسسات الوطن و الأعمال الإقتصادية و الأسرة ، فإننا سنتولى مسؤولية الدولة ، و نعلن قيام ديكتاتورية مؤقتة ، فكل الديكتاتوريات - من تعريفها - مؤقتة ، و ذلك ما يساعد على إشاعة الثقة ، و ستعترف الطبقات البورجوازية و الرأسماليون و فوقهم الحكومات الأجنبية اليمينية بالحكم الجديد في الحال ، و سوف نلقي باللوم على

السوفيتات التي أجبرتنا على إتخاذ هذه الخطوة ، و
نطلق النار على بعض المساكين الملاعين الذين
سنقبض عليهم و يعترفون بقيامهم بتفجير القنابل ،
و كذلك سوف نغلق المجلسين النيابيين و نخفض
الإنفاق الحكومي إلى أدنى مداه ، و نُبقي على إدارة
الدولة بيد العسكريين ، و بذلك تحقق الأرجنتين
عظمة غير مسبقة " .

و إستغرق العقيد في الصمت ، و انفجر الموجودون في
قاعة المنزل الصيفي في تصفيق حاد ، هنا طارت إحدى
الحمامات فجأة بعيداً .

فقال إيردوسين : " إن فكرتك رائعة " ... " لكنها تعني
أن نعمل جميعاً من أجلك .. "

- : " ألا تريدون أن تكونوا قادة ؟ "

- : " نعم .. و لكن كل ما سنحصل عليه
سيكون كسرات ضئيلة من المأدبة " .

- : " لا يا سيدي .. فالفكرة أن ... "

إندفع العراف مقاطعاً : " أيها السادة ... لم نأت هنا لمناقشة
إتجاه المستقبل لمنظمتنا ، و إنما لوضع خطط نشاط لكل قائد
خلية ، ولو وافقتم على ذلك ، يمكننا البدء " .

هنا رفع شاب حسن المظهر لم ينبس شفة حتى الآن صوته
متسائلاً

- : " إذا تكرمتم .. هل يمكنني أن أقول شيئاً ؟ "

"

- : " نعم بالطبع " .

- : " حسناً إذن .. أعتقد أن أول ما يجب تحديده هو ، هل تريدون إحدا تورة أم لا ؟ أما التفاصيل التنظيمية فيمكنها الانتظار آجلاً " .
- : " حقاً .. أنها تأتي لاحقاً .. إنك على حق "

و أخيراً أفصح الغريب عن شخصيته :
- : " أنا صديق لهافنر ، و محام ، هجرت مكاسب مهنتي لأنني لا أريد الارتباط بالنظام الرأسمالي ، أليس لي الحق أن أقول ما أؤمن به ؟ "
- : " نعم بالطبع لك ذلك " .
- : " حسناً إذن .. أعتقد أن ما قاله العقي يُغير كل اتجاهات مجتمعا " .

إعترض الباحث عن الذهب قائلاً
- : " لا .. يمكن لذلك أن يكون نقطة الإنطلاق ، دون أن يؤثر على المبادئ الأخرى " .
- : " بالطبع " .
- : " ذلك صحيح " .
و كانت المناقشة على وشك أن تتواصل ثانية فنهض واقفاً ليقول

- : " أيها السادة دعوا الخلافات ليوم آخر ، فما يهمنا الآن ليست هي الأفكار ، و إنما يهمنا التنظيم التجاري لمجموعتنا ، و أقترح - لذلك - أن نترك أي موضوع لا يتعلق مباشرة بذلك .. " .
فصاح الخامي

- : " لكن هذه ديكتاتورية منك " .

خلق فيه العراف للحظة ثم قال محمداً

- : " يبدو لي إنك تظن نفسك وُلدت قائداً
و أعتقد إنك مُحق ، و لو كنت ذكياً كان عليك أن
تبدأ تنظيم جماعة أخرى غير جماعتنا ، و بهذا يمكننا
معاً أن نجلب الإنهيار للنظام القائم ، لكن هنا إما أن
تطيعني أو تغادرننا .. " .

واجه الرجلان أحدهما الآخر للحظة ، ثم نهض الحامي
ممعناً النظر في الفلكي للمرة الأخيرة ناثراً إبتسامة رجل
صعب المراس ثم غادرهم خارجاً . كسر صوت العقيد
الصمت الناشئ من خروجه أخيراً قائلاً للعراف

- : " كنت على صواب تماماً في تصرفك هذا ،
فالنظام أساس لكل شيء ، و هانحن نستمع إليك " .

ألقت بقع ماسية الشكل من ضوء الشمس أشعتها اذهبية
الزخرفية على أرضية البيت الصيفي الترابية السوداء في حين
يأتيهم صوت سندان قادمًا من محل حداد بعيد ، و على افرع
الأشجار بدأت طيور لا حصر لها في الغناء .

كان إيردوسين يتأمل في زهرة النبات المتسلق ، بينما جلس
الباحث عن الذهب واضعاً كوعيه على ركبتيه محققاً في
أرضية المكان ،

و كان البلطجي يدخن ، و تفحص إيردوسين ملامح
العراف المنغولية و كان صديره محكم الأزرار حتى عنقه ، و
ساد صمت كئيب عقب كلمات العقيد (ماذا يريد ذلك

الدخيل منهم) نهض إيردوسين شاعراً بالضيق فجأة و
أعرب عن إعراضه

- : " هناك كثير من النظام في موضوعنا بقدر ما
ترغب ، لكن من الغريب أن نتحدث عن الديكتاتورية
العسكرية ، فكل ما يهمنا هو إنضمام القوات المسلحة
لحركتنا الثورية " .

جلس العقيد منتصباً في مقعده و هو يتسم لإيردوسين

:

" إذن أنت تقر بأنني أدت دوري جيداً " .

:

" أي دور ؟ " .

:

" نعم هذا صحيح ... دوري فأنا ضابط كبير كما
أنت تماماً " .

فقال العراف

- : " هل ترى كم للكذبة أن تصل في قوتها ؟
لقد جعلت صديقي يتنكر هنا كضابط ، و رغم
حقيقة إنكم جيدون في التعامل مع السر ، إلا أنه
كان كافياً لإقناعكم بأنه ستكون هناك ثورة في الجيش
(*) "

- : " ثم ماذا ؟ ... "

- : " و هكذا ، ليس ما حدث أكثر من حلقة
تسميع أدواره ، لكننا يوماً ما سنلعب المسرحية كما
لو كانت حقيقية " .

كانت كلمات العراف مفزعة لدرجة أن الرجال الأربعة الآخرين جلسوا يشاهدون العقيد الذي بدأ الآن يقول :

- : " في الحقيقة أنا لم أصل لرتبة أعلى من رقيب " .

لكن العراف قطع ما يقوم بشرحه عندما قال

- : " ماذا عنك يا هافنر .. هل إنتهيت من الميزانية المقترحة ؟ "

- : " نعم هاك هي .. "

تصفح الأرقام المتناثرة على لوحات عديلة من الورق و عندالك أخذ يشرح للحضور أن " مواخير الدعارة هي أكثر وسائلنا ضمانا لكسب المال كجمعية سرية " .. و واصل حديثه .. " أعطاني صديقنا ميزانية لتأسيس ماخور يبدأ بعشر فتيات و هذه قائمة بالتكاليف أمامكم :

- * عشر سرر نوم مستعملة ٢,٠٠٠ بيزوس
- * إيجار شهري ٠,٤٠٠ بيزوس
- * إيداع لمدة ثلاثة شهور ١,٢٠٠ بيزوس
- * تأثيث المطبخ و الحمامات و البار ٢,٠٠٠ بيزوس
- * إكرامية لمفتش الشرطة ٠,٣٠٠ بيزوس
- * إكرامية الطبيب ٠,١٥٠ بيزوس
- * إكرامية للنائب المحلي لإستخراج الرخصة ٢,٠٠٠ بيزوس
- * ضرائب شهرية محلية ٠,٥٠ بيزوس

- : " نعم "

نظر إيردوسين متفحصاً وجه الضابط المزيف الشاحب ، و هو يحلق في فراشة بيضاء تحوم فوق بقعة من الأرض الخضراء ، و لم يملك إيردوسين نفسه من الشعور بالعجب متسائلاً ، كيف يمكن لذلك العراف أن يجد مخلوقات تشبهه كيما تشاركه مشاريعه ، و بدا الأمر و كأنه قرأ أفكاره ، فسأل العراف

- : " و ماذا عنك يا إيردوسين ، كم تحتاج لإنشاء معمل الجلفانو - بلاستيك الذي يخصك ؟ "

- : " ألف بيزوس " ذ

- : " ياه .. إذن فأنت مخترع (الوردة النحاسية (.. أليس كذلك ؟ "

هكذا سأله العقيد

- : " نعم "

- : " أقدم لك التهاني ، أعتقد أنه سيكون نجاحاً عظيماً ، بالطبع سيكون عليك (جلفنة) الزهور على مدى كبير "

- : " هذا صحيح ، و أفكر في تنفيذ مرحلة التصوير في نفس المعمل توفيراً للنفقات "

- : " أنه قرارك أنت "

- : " و هناك كذلك صديق لي مُدرب جيداً يمكنه مساعدتي في موضوع الجلفانو بلاستيك "

و عندما قال ذلك ، كان إيردوسين يفكر في عائلة اسبيلا
الذين كانوا مرشحين محتملين للإضمام لجماعتهم السرية ،
لكن العراف قطع أفكاره عندما أعلن أن

- : " سوف يقدم لنا الباحث عن الذهب الآن
أخباراً عن المنطقة التي نأمل في إقامة مخيمنا عليها " .

عند هذه الكلمة نهض رجل آخر ، فأصابت إيردوسين
الدهشة حال رؤيته ، بسبب الفكرة التي رسختها السينما في
ذهنه عن ذلك النوع من الأشخاص ، حيث تخيله رجلاً
عملاقاً بلحية كثيفة شقراء ، تصدر عنه رائحة كريهة من
الخمر ، لكن الواقع كان شديد الاختلاف -

كان الباحث عن الذهب شاباً في مثل عمره ذا بشرة
شاحبة شُدت بإحكام فوق عظام وجنتيه المسطحة ، و ذا عينين
سوداوين مشعتين ، و بدا صدره البرميلي الضخم - على
سبيل التناقض - كما لو كان يخص شخصاً آخر يفوق جسمه
بضعفين ، و له ساقان مقوستان نُحيلتان ، و قد برز مقبض
مسدس بين حزامه الجلدي و حافة بنطاله ، و كان صوته
واضحاً مستوياً ، لكن كل شيء فيه كان سيء التجميع كما
لو كانت هذه الأشياء أدمجت معاً من قطع و شذرات تخص
أفراداً مختلفين من الرجال ، و كان وجهه جامداً معتاداً تكرر
النظر إلى يديه ، و له صدر ملاكم و ساقا جوكي ، بينما كان
ماضيه غريباً متكاثفاً مثل سحنته ، و عاش في الريف حتى
سن الرابعة عشرة إلى أن قتل لصاً ، ثم بعد عدة سنوات
أعادته خشيته من الإصابة بالسل الرئوي إلى مناطق البامبا

(*) حيث قضى ليلاليه و أيامه يحول بمساحات واسعة لا تُصدق ، فمال قلب إيردوسين إليه في الحال .

قام الباحث عن الذهب بفك أغلفة بعض الصخور و كانت قطع من الكوارتز تحمل خاماً من الذهب ، و قال بصوت جاد - : " و أنا أحمل معي شهادة التحليل من إدارة

المناجم "

و مرت الأحجار من يد ليد بسرعة ، و أمضوا أنظارهم بشراة و إستمتاع ، بينما تَرْتُبُ أصابعهم على عروق و شذرات الذهب داخل حجر الكوارتز ، و سحب العراف سيجارة ببطء لنفسه و هو يراقب وجوههم و الصدمة لما شاهدوه تستقر عليها ، و الإغراء يسيطر على ملاحظهم ، م جلس الباحث عن الذهب مرة أخرى قائلاً لهم ببرود

_ : " يوجد الكثير من الذهب هناك و لا يعرف احد شيئاً عنه ، و هو بالقرب من منطقة كامبو تشيلينو ، في البداية كنت في إسكيل وسط حفائر مهجورة لأحد المناجم ثم ذهبت إلى آرويو بيسكادو و مشيت كثيراً ... و لا أعرف إذا كنتم تدركون ذلك .. لكنكم إذا ما سافرتم هناك يمكنكم المضي لأيام و أيام دون أن تصلوا لأي مكان ، و على أية حال وصلت في النهاية إلى كامبو تشيلينو ، إنها غابة ، غابة خالصة تمتد آلافاً من الكيلومترات المربعة ، كنت هناك مع ماسك (القناع) و هي عاهرة من إسكيل تعرف مخرجاً من هناك حيث عاشت هناك لفترة مع أحد عمال المناجم ثم قتل عندما عادا إلى المدينة ، فالناس هناك يقتلون بعضهم البعض دونما سبب على الإطلاق ، و أصاب مرض السفلس (ماسك)

فملاًها بشرات ، و لم تستطع الخروج من الغابات ، و كم أذكرها جيداً حيث ظلت تجول بلا هدى لأكثر من عشرين عاماً ، و من بويرتو مادرين ذهبت إلى كومودور و منها إلى تريليو ثم إلى إسكيل . و تكاد تعرف تقريباً كل المنقبين عن الذهب هناك ، أولاً توجهنا نحن الإثنين إلى آرويو بيسكادو التي تقع على بُعد أربعين فرسخاً جنوب إسكيل ، لكن كل ما وجدته كانت بعض الآثار القليلة لترسيبات الذهب ، فإرتحلنا لمدة أسبوعين عبر التلال على ظهور الخيل حتى وصلنا كامبو تشيلينو .

و روى الباحث عن الذهب كل مغامراته ، و صوته هادئ و ثابت و هو يركز على تفاصيل أوديسته الجنوبية (*) ، وجد إيردوسين نفسه _ و هو ينصت بإهتمام _ و قد إنتقل بصحبة (ماسك) يعبران أغواراً و منخفضات في البرد و الظلام وسط الكتل الجبلية القرمزية المثلثة التي تحتل قمم الجبال و تملأ الأفق ، ثم إختفت تلك القمم عندما دخلا غابات أبدية من الشجر ذي الجذوع الحمراء و الأوراق الداكنة الخضرة ، و تقدما بإستمرار شاقين طريقهما ، و قد خدرتهما المساحات الناعمة الشاسعة في سماء تشبه الصحراء الزرقاء الثلجية .

و إستمر الباحث عن الذهب في روايته متجاهلاً ما أثارتها كلماته عن مغامراته التي إستغرقت شهوراً ، متوقفاً أحياناً لتأكيد معنى ما بالإشارة و الجميع ينصتون له بإهتمام عميق - : " و في النهاية ، و ذات صباح ، وصلت أحد الأغوار السوداء ، و كان يشكل دائرة من صخور البازالت

الأسود المختلطة ، و هو منخفض يمتليء بلحيمات صخرية سوداء و أعلاها تماماً تبدو زرقة السماء شديدة الحزن . و توزعت أعداد قليلة من الطيور الوحيدة على قمم تلك الصخور التي قبعت في ظلال قمم أعلى منها ، و في قاع هذه الفجوة وجدت بحيرة من الماء الذهب تغذيها نهيرات من الشلالات التي شقت طريقها إلى أسفل تلك التكوينات "

لم يجد الباحث عن الذهب نفسه وسط مثل تلك الأجواء المشؤمة من قبل ، ثم توقف عن التحديق في الأعماق البرونزية لتلك البحيرة ، مندهشاً ، و التي تعكس صور الصخور السوداء فوقها ، و تساقطت الصخور ذات البقع الخضراء و الشرائط الممرية الطويلة إلى الماء الذي إنعكس عليه و كذلك وجهه الشاحب ذو اللحية مع السماء الشاسعة خلفه . رغم أن الباحث عن الذهب من لونها ، إلا أنه طرد تلك الفكرة لغرابتها لأنه لم يقرأ - طوال حياته - شيئاً مثل ذلك . و واصل حديثه

- : " لكنني بعدما خرجت من الغابة ، كنت عند طبيب الأسنان بمدينة راوسون ذات يوم جالساً بغرفة الإنتظار ، و بدأت أقلب صفحات نسخة من مجلة [ميديكال ويكلي] رأيته فوق إحدى الموائد هناك ، عندئذ صادفت إكتشافاً ، فتحت المجلة عشوائياً و على أول صفحة رأيته وجدت مقالاً عنوانه [ماء الذهب] أو الذهب الغروي الذي يستخدم لعلاج مرض الذئبة الحمراء (الثعلبية) فبدأت قراءته ، و إكتشفت أن الذهب يمكن تعليقه

في الماء على شكل جزيئات مجهرية دقيقة . و كانت هذه الظاهرة الجديدة بالنسبة لي مكتشفة من قبل بواسطة الكيميائيين الذين أسموها [ماء الذهب] ، و كانوا يحصلون عليه بأبسط ما يمكنك تخيله من وسائل ، و ذلك بغمر قطعة ذهب تم تسخينها بشدة في ماء المطر ، فتذكرت في الحال تلك البحيرة التي إعتقدت أن لونها يعود للكائنات الحية داخلها ، دون إدراك ذلك ، لقد كنت واقفاً بجوار بحيرة من الذهب السائل تكونت عبر قرون لا تُحصى كماء قادم من الشلالات ماراً فوق عروق الذهب بالصخور . هل ترون ما يفعله الجهل بالمرء ؟ فلو لم تضع الصدفية تلك المقالة الصحفية بين يدي ما كنت لأدرك أهمية إكتشافي "

فأراد العقيد سؤاله قائلاً

- : " و هكذا عدت ثانية هناك ؟ "

فأجابه

- : " طبعي ، لقد عدت هناك منذ ثمانية أشهر فقط .. لكنني وقعت في خطأ .. إذ كان علي أن أدرس كيفية إستخلاص الذهب .. فكل هذا الذهب موجود في طبقات هناك ، و علينا أن نعمل عملاً شاقاً و أن نحصل على بذلات غوص لأن قاع البحيرة هو المختلط بالذهب أما ماؤها فهو بلا لون "

فقال هافنر

- : " أن ما تقوله شيء مشير ، و حتى لو لم يكن هناك ذهب ، فالأمر يبدو أفضل كثيراً من تلك المدينة المزعجة "

فأضاف العقيد

- : " لو أقمنا مُخيماً في كامبو تشيلينو سوف نحتاج لمكتب برقيات (تليجراف) " أجاب إيردوسين

- : " لو كان الأمر كذلك ، يمكننا إقامة مكتب متنقل بموجة إرسال طولها من ٤٥ إلى ٨٠ متراً ، و سوف يكلفنا ذلك ٥٠٠ بيزوس و يكون لدينا مدى ٣٠٠٠ كيلو متر "

فتحدث العقيد مرة أخرى

- : " أنا أؤيد المُخيم لأننا نستطيع إنشاء مصنع الغاز السام هناك ، أنا أظن إنك تعرف شيئاً عن ذلك يا إيردوسين "

- : " نعم .. غاز الخردل على سبيل المثال يمكن صناعته بواسطة التحليل الكهربائي ، رغم إنني لم أدرس ذلك بعمق ، لكنك على حق ، لأن معامل الجراثيم و الغازات هي ما نحتاجه و نركز عليه . خاصة معمل إنتاج الطاعون البابوني و الكوليرا الأسيوية ، و نحتاج الحصول على بعض عينات لأنواع البكتيريا الملائمة لأن الإنتاج الفعلي سيكون رخيص جداً "

فقاطعهم العراف

- : " أعتقد أنه من الأفضل ترك موضوع تنظيم المخيم لاحقاً ، حيث يجب أن نركز على بدء تنفيذ مشروع هافنر و يمكننا تنظيم المجموعة الأولى فقط كي ترحل نحو المستعمرة بمجرد أن نوفر نقوداً لذلك ، هل هناك أسرة ما في ذهنك يا إيردوسين ؟ "

- : " نعم عائلة اسبيلا "

فتدخل هافنر

- : " توقفوا للحظة ، أنا أعتبر ذلك مجرد مبالغة ، فأنا لست أكثر من مساعد في جمعيتكم السرية ، لكنني أطلب أن نحدد شيئاً ما الآن "

حلق فيه العراف قائلاً

- : " هل ترغب أن نتعجل اعداد الأموال كيما نبدأ ؟ "

- : " لا "

- : " حسناً إذن .. إنتظر حتى نحصل على بعض التمويل و يستغرق ذلك بضعة أيام ، و لسوف ترى عند ذاك "

فقال هافنر و هو يقف ناظراً للباحث عن الذهب

- : " إصغ لي يا صديقي ، بمجرد الإستقرار على فكرة المخيم .. أخطرني . و إذا إحتجت لأشخاص للمعاونة ، سيكون ذلك أفضل ، سوف أمدك بجماعة من المتسكعين الذين سيستمتعون كثيراً بإبتعادهم عن بوينوس آيريس "

و ما أن قال ذلك حتى وضع قبعته فوق رأسه و تهيأ
للمغادرة دون مصافحة أحد من الموجودين ، إلى أن تذكر شيئاً
ما فجأة فصاح في العراف

- : " لو أسرعت قليلاً و حصلت على الأموال ،
هناك ملخور كبير معروض للبيع ، و ملحق به مطبخ للشواء ،
و هو مكان مناسب للمقامرة كذلك ، و المالك من مواطني
أوروغواي و يطلب ١٥,٠٠٠ نقداً ، و يمكنه أن يرضى بـ
١٠,٠٠٠ الآن و ٥,٠٠٠ أخرى خلال عام "

- : " هل يمكنك المجيء هنا يوم الجمعة ؟ "

- : " نعم "

- : " حسناً .. فلنتقابل الجمعة ، و أظن أننا يمكن أن

نتم الصفقة "

- : " إلى اللقاء "

كان هذا كل ما قاله البلطجي و غادر المكان

** الباحث عن الذهب :

ما أن غادرهم هافتر حتى قام إيردوسين - الذي أراد
مخاطبة الباحث عن الذهب - بإلقاء تحية الوداع على العراف
و للعقيد ، و بدأ يشعر بالقلق من جديد ، و بينما يأخذ
طريقه للمغادرة همس له العراف

- : " عليك أن تكون هنا الساعة التاسعة غداً

، إذ يجب أن نقوم بصرف الشيك "

كان إيردوسين قد نسى ذلك الموضوع ، و تطلع حوله كما
لو كان قد تلقى ضربة فجأة ، و احتاج أن يتحدث لأحد ما

لينسى ذلك الإلتزام البغيض الذي يزرع تحت ثقله و يجعل قلبه تتسارع نبضاته تحت الشمس الحارة لمنتصف النهار .
كان قلبه قد قال فعلاً للباحث عن الذهب ، فتقدم نحوه و سأله

- : " هل يمكننا مغادرة المكان معاً ؟ فأنا أود

محدثك بشأن (ذلك المكان البعيد) ؟ "

تفحصه الرجل الآخر بعينين لامعتين ثم قال

- : " بالطبع ، سأكون مسروراً ، أنت تبدو

رقيقاً مثيراً "

- : " شكراً "

- : " خاصة بسبب ما سمعته من العراف عنك

، أتعلم أنها خطة عظيمة منك أن نُحدث الثورة

باستخدام جراثيم الطاعون ؟ "

تطلع إليه إيردوسين ، و شعر بالإحراج لهذا الشئ الزائد ،

هل حقيقة هناك من يأخذ ذلك الهراء الذي حلمت به بشكل

جدي ؟ ..

فأصر الباحث عن الذهب على رأيه مواصلاً

- : " هذه مع فكرة الغازات السامة (ضربة

معلم) . هل تتخيل ذلك ؟ أن نترك عبوة في مركز

الشرطة عندما يكون سانتياجو ذلك الوحش موجوداً

هناك ..! و أن نسقم كل رجال الشرطة مثل الفئران !

"

ثم أطلق ضحكة صاخبة لدرجة أن ثلاثة من الطيور

حلقت بعيداً معاً من أفرع شجرة الليمون .. مردداً

- : " نعم يا صديقي إيردوسين ، أنت إنسان مختلف ، ياه .. طاعون و كلورائين ! إننا بصدد إحداث ثورة هنا في المدينة .. يمكنني رؤية ذلك اليوم بالفعل - و أصحاب المحال التجارية يمدون أنوفهم خارج فتحاتها مثل أبناء عرس ، بينما نقوم بتطهير العالم من كل تلك النفائات بأسلحتنا الآلية ، يمكنك شراء سلاحاً آلياً مقابل ١٠٠٠ بيزوس ، ذلك السلاح الذي يقوم بمائتين و خمسين دورة في الدقيقة ، أنه كنز حقيقي ! ثم نطلق سُحْباً من غاز الكلورائين و الخردل ... ياه عليك أن تنشر أفكارك في كتاب .. صدقني "

فقاطع إيردوسين ذلك السيل من الشناء المبالغ فيه ليسأل
- : " إذن وجدت الذهب .. أليس كذلك ؟ يا ذهب . "

- : " لقد أدركت أنك لم تصدق كلمة من تلك الحكاية عن (ماء الذهب) ؟ "
- : " ماذا تقصد بكلمة (حكاية) ؟ إذن فالذهب ... "

- : " إنه موجود بالطبع .. موجود .. إنه مجرد سؤال عن إيجاده "

نظر إيردوسين و قد خاب أمله حتى أن الباحث أسرع ليضيف

- : " إنتبه .. لقد أخبرتك لأن العراف قال أنه يعتمد عليك "

- : " نعم .. لكنني ظننت ... "
- : " ماذا ؟ "
- : " إنه فيما بين كل تلك الأكاذيب ، توجد هذه كحقيقة ضمن الحقائق القليلة .. "
- : " هذا صحيح في جوهره ، الذهب موجود ، ونحن علينا ببساطة أن نجده ، ويجب أن تشعر بالسعادة أن كل شيء تم ترتيبه لنذهب بحثاً عنه ، أو إنك تعتمد على أن تلك الروؤس الحاملة قد تتحرك مقدار أنملة لو لم تدفعها للحراك بعض الأكاذيب العظيمة ؟ لقد أوليت الأمر تفكيراً كثيراً وهذا هو السبب في إعتبار نظرية العراف عملاً ذكياً ، فالرجال فقط هم من يستجيبون للأكاذيب ، وهو يمنح الأكاذيب إنسجام الحقائق ، فالناس الذين ما كانوا يملكون ما يكفي لتحركهم للحصول على أي شيء والشباب الذين أصبحوا في أوضاع تمتلئ بالسخرية واليأس ، عادوا للحياة من جديد في ظل حقيقة أكاذيبه ، هل بإستطاعتك تصور شيء أسمى من ذلك ؟ .. ثم لماذا كل ذلك ؟ إن نفس الأمر يحدث كل وقت بالفعل و لا أحد يعترض ، نعم كل شيء وهم .. فقط إذا ما أمعنا التفكير فيه ... لا يوجد أحد بيننا يمكنه ألا يصرح بأن جماعتنا تُدار بأكاذيب غبية حذرة ، إذن ما هي الخطيئة الكبرى التي يرتكبها العراف ؟ إنه ببساطة يستبدل كذبة كبرى ، متعالية و بارعة بأخرى تافهة . و يبدو لنا العراف بزيفه هذا ،

شخصاً فوق المعتاد لكنه ليس كذلك ، .. أو بصورة أخرى هو كذلك ... هو فعلاً كذلك ، لأنه لا يسعى لكسب شخص من وراء أكاذيبه ، إلا أنه ليس كذلك لأن كل ما يفعله هو تطبيق مبدأ قديم إستخذه من قبل كل حالم إجتماعي أو محتال . و لو كتبت قصة حياته يوماً ما ، سيقول أولئك الذين يقرأونه من خلال إحساسهم بالحكم عليه ، لقد كان عظيماً ، لأن الوسائل التي إستخدمها لتحقيق مبادئه و مثله هي تلك التي توافرت لأي دعي آخر أو محتال ، و ما نراه مزعجاً و غير طبيعي هو ببساطة خشية العقول العاجزة الضعيفة التي تعتقد أن النجاح يأتي فقط من العمليات الصعبة و الغامضة بدلاً من أي أمر بسيط ، رغم أنك تعلم كما أعلم أنا أن أعظم الأعمال هي أبسطها ، مثل كولومبس و بيضته "

- : " حقيقة الأكاذيب .. هه .. "

- : " بالضبط .. و المشكلة أننا لسنا على درجة من الجراءة تكفي لإنجاز تلك المشروعات العظيمة ، فنحن نتخيل أن إدارة دولة ما أكثر صعوبة من إدارة منزل بسيط ، و هكذا نُحْمِلُ الأشياء الكثير جداً من الرومانسية و الأدب "

- : " و لكن في أعماقك هل تشعر ... أقصد "

هل لديك إحساس ما بأننا سننجح ؟ "

- : " كليه ... و صدقني سوف نصبح حكاماً "

للأرجنتين ... هذا إذا لم يكن العالم نفسه ، لا بد من

ذلك ، إن خطة العراف هي خلاص للبشر الذين
أرهقتهم آلية حضارتنا ، فلم تعد هناك أفكار جديدة
و لا توجد رموز جيدة و لا سيئة ، لقد سمعت العراف
مرة يتحدث عن المستعمرات المقامة بالعالم القديم
بواسطة كل الأفراد غير الطبيين الذين كانوا
يشعرون بإغترابهم في أوطانهم ، ونحن سوف نفعل
نفس الشيء ، لكننا سوف نجعل من مجتمعنا لعبة
صاحبة ، لعبة تربح دائماً حتى أرواح أصحاب المتاجر
الذين يفضلون مشاهدة أفلام رعاة البقر .. ياه إنك لا
تستطيع تخيل ذلك ، تخيل كل تلك الفوضى التي
سنحدثها ! ، و كملجأ أخير يمكننا نشر قنابل
النيتروجليسرين ، لمجرد أن نضحك على مشاهد
الإضطراب التي تسببها بين الجماهير المتزاحمة ، ماذا
تظن في أوضاع عصابات المناطق المجاورة و البلطجة
خلال أيامهم الصاخبة ؟؟ ، تلك العصابات التي
ليس أمامها سبيل لتفريغ طاقاتها ، لذا يقومون
بإستهلاكها في ضرب إنسان وقع في أيديهم أو سلب
إنساني عربي ، فقط فكر في .. كومودورو و بويرتو
مادرين ، و تريليو ، و اسكيل و آريو بيسكادو و
كامبو تشيلينو ، فأنا أعلم كل المسارب و كل المناطق
السيئة .. صدقني ، سوف نشكل عصابة رائعة من
الشباب "

و أصبح يبتعد أكثر

- : " ألا تصدق أن هناك ذهب ؟ .. إنك تشبه أولئك الأطفال الذين تصبح أعينهم أكبر كثيراً من معداتهم عند المائدة ، كل شيء في هذا البلد لنا هو ذهب " أخذ إيردوسين يشعر بنفسه ينزاح بعيداً بذلك الحماس الذي يندفع من الرجل .

كان الباحث عن الذهب يتحدث بأنفاس متسارعة تتلوى عيناه و هو يرفع أحد حاجبيه ثم الحاجب الآخر و يدفع ذراع إيردوسين بود كبير .

- : " صدقني يا إيردوسين ... هناك الكثير من الذهب .. أكثر مما يمكنك أن تحلم به .. لكن ليس ذلك هو الهدف ، إن هدفنا هو ، أن الوقت يمر سريعاً ، و اسكيل و آريو بيسكادو و ريوبيكو .. و كامبو تشيلينو ... فرسخاً وراء فرسخ ، مسافراً يوماً بعد يوم ، و كما تعلم إنك مجرد الحصول على وثيقة لجواد لا يستحق الآخر عشرة بيزوس و أن عليك أن ترحل أسابيع طوالة ، و لا يعود للوقت معنى .. فكل شيء ضخم ... هائل .. إنها أمور أبدية هناك و عليك أن تصدق هذا ، و أذكر عندما كنت و ماسك بالقرب من آريو بيسكادو ، ليس فقط الذهب ، إنما ذهب أحمر ، حيث تشفى الأرواح المصابة بأمراض الحضارة ، فيجب علينا أن نرسل كل أصدقائنا لتلك الجبال ، إنتبه .. أنا في السابعة و العشرين من عمري .. و قد خاطرت بحياتي مع مسدسي عدة مرات " و عندما قال ذلك سحب مسدسه مكماً

- : " هل ترى ذلك العصفور هناك ؟ "

و كان على بُعد خمسين خطوة و منا ، فرفع مسدسه إلى مستوى ذقنه و جذب الزناد و عند إنطلاق الرصاصة سقط العصفور من فوق الشجرة - و أستطرد

- : " أترى ذلك ، هكذا كنت أخطر بحياتي مرات ،

فليس هناك سبب كي يحزن المرء ... تعرف إنني في السابعة و العشرين من عمري ، و آريو بيسكادو و اسكيل و ريوبيكو و كامبو تشيلينو و كل تلك المناطق الشاسعة الخالية يمكن أن تصبح ملكنا ، و يمكننا أن نُشكل و نُرتب حراساً [للنيو جوي] و هو نظام لفرسان الذهب الأحمر في مخيلتي .. أعتقد أنني بالغت كثيراً .. لا ! كان عليك أن تتواجد هناك لتدرك ذلك ، إنها نوع من التجربة و الخبرة التي تجعلك و اياً بآن ما هو مطلوب بشدة فوق أي شيء آخر هو وجود أرسطراطية بين الطبيعة ، و عندما تنتفض ضد العزلة و الوحدة و كل الأخطار و الحزن و الشمس و ضد السهول الفارغة اللانهائية سوف تصبح إنساناً جديداً ، مختلفاً تماماً عن ذلك القطيع من العبيد الذي يكدح من أجل وجودها بالمدينة ، و هل تعلم ما هي البروليتاريا الفوضوية الاشتراكية في مدننا فعلاً . إنهم ليسوا أكثر من ذلك القطيع من الجبناء ، فبدلاً من تقديم أرواحهم للإختبار في الجبال أو في السهول الخالية ، يفضلون الراحة و التسلية ، و هم لا يريدون أن يعرفوا شيئاً عن العزلة البطولية في البرية ، إذ ماذا سيحدث لكل المصانع و بيوت الأزياء و آلاف الأشياء الطفيلية بالمدينة ، لو ذهب كل أمرئ للبرية و الخلاء ؟ ، لو أن كل واحد أقام خيمته

هناك ؟ هل تدرك الآن لماذا أنا مع العراف ؟ ، أن الأمر متروك لنا نحن الشباب لإبداع تلك الحياة الجديدة ، و لسوف نقيم مجتمعاً أرستوقراطياً خارجاً عن القانون ، و سوف نطلق النار على كل المثقفين الذين تفشت بينهم أفكار تولستوي البلهاء . و نوجه الآخرين للعمل لصالحنا و ذلك هو سبب إعجابي بموسيليني ، لقد إستخدم عصا على ظهور كل اللاعبين الموسيقيين ، و من يوم لآخر تحولت مملكة الأوبرا الكوميديّة هذي إلى كلب حراسة لمنطقة البحر المتوسط ، فالمدن هي سرطان العالم ، لأنها تحطم الرجال و تجعل منهم جناء و هم ماكرون و حاقدون ، و الحقد هذا و الحسد هو الذي يدفعهم لتأكيد أحقياتهم ، الحسد و الجبن ، لو ظهرت بين تلك القطعان أية حيوانات شجاعة و نبيلة لكانت حطمت كل شيء إلى قطع متناثرة منذ زمن طويل ، و إذا آمنت بالجماهير كأنك تؤمن بقدرتك على الإمساك بالقمر و إحضاره أمامك ، انظر ما حدث للنيين مع الفلاحين الروس ، و كل ما يمكن أن نقوله في هذا القرن أن كل فرد يشعر بأنه ليس في بيته في هذه المدينة عليه أن يتوجه إلى البرية ، و هذا ما أوحى به العراف ، و هو على صواب ، فعندما لم يتحمل المسيحيون الأوائل الحياة في المدن ، ذهبوا للصحراء ، و هناك وجدوا سعادتهم الخاصة بهم ، و رغم ذلك ففي هذه الأيام يُفضّل المحروم النهيق وسط الجماعة "

- : " أتعلم ؟ لقد أحببت مقارنتك مع الصحراء "
- : " هذا صحيح يا إيردوسين ، و كما يقول العراف ، أن أولئك الذين لا يتلاءمون مع المدن عليهم ألا يفسدوها ،

أمام من يتلاءمون ، فمن أجل الحزاني سيئي الحظ توجد
الجمال و السهول و ضفاف الأنهار العظيمة "
لم يتوقع إيردوسين مثل تلك الانفجارات العاطفية ، و بدا
على الباحث عن الذهب أنه قرأ أفكاره ، لأنه قال :

- : " سوف ندعو للعنف ، لكننا لن نسمح
لأصحاب نظريات العنف بالتواجد في خلايانا و أي
إنسان يريد إظهار كراهته للمجتمع القائم سوف
يكون عليه تقديم دليل إخلاصه و ولائه ، أترى الآن
الهدف من معسكر التدريب هذا ؟ أليس الذهب
وهماً رائعاً آخر ؟ ، و أي إنسان يريد الإنضمام عليه
تقديم التضحية بنفسه من أجلنا ، و الجهود الذي
سيبذله سيجعل منه رجلاً خارقاً من أجل نفسه ، و
عندئذ سوف يُمنح القوة ، أليس ذلك ما يحدث في
أنظمة الدير و الرهينة ؟ و أليست تلك هي
الطريقة التي ينتظم بها الجيش ؟ لا .. لا . لا تحقق في
مندهشاً هكذا ! حتى في المتاجر الكبرى مثل جاث و
شيفز أو هارودز أخبرني الموظفون بها أن هيئة
العاملين يقبلون مستوى معيناً من النظام يجعل من
الجيش و نظامه يبدو مثل نكتة مقارنة بالأول ، و
هكذا نستطيع أن ندرك ، يا إيردوسين أننا لا نخترع
شيئاً ، فكل ما نفعله هو تغيير هدف عادي إلى هدف
غير عادي "

جعل الباحث عن الذهب إيردوسين يشعر بالخجل ، و
حسده على عنفه ، و قد هزته حقائقه الكاسحة الدامغة ، و

أراد أن يعارضه فوق كل ذلك ، لكنه قال لنفسه : " إنني لم أنشأ لألعب دور النجم مثله فأنا واحد من هؤلاء الجبناء البؤساء الذين يعيشون في المدينة ، لم لا أشعر بحميتته وتمرده ؟ نعم مايقوله صحيح . و كل ما أفعله أن أبتسم له بأدب كما لو كنت خائفاً أن يضربني ، و حقيقي أيضاً أن عنفه يخيفني ، و أنا أرتعب من عاطفته القوية .

قال الباحث :

- : " فيم تفكر أيها الرفيق ؟ "

نظر إليه إيردوسين طويلاً و عميقاً ثم قال :

- : " كم هو محزن أن ينشأ المرء جباناً "

فهز الباحث كتفيه

- : " إنك تعتقد أنك جبان لأن الحياة التي

عشتها لم تدفعك لتخاطر بالخروج من طبيعتك و

جلدك ، و أود أن أراك يوماً تعتمد فيه حياتك على

جذب الزناد ، عندها سأعرف إذا كنت جباناً أم لا ، و

الأمر أن لا أحد في المدينة يمكنه أن يكون شجاعاً ،

فأنت تعلم جيداً أنك لو ضربت أحداً ما سوف

تطاردك الشرطة لدرجة إنك تتمنى لو كنت أكثر

تساحاً بدلاً من تطبيق العدالة بيديك ، بهذه الطريقة

تُدار الأمور ، و هكذا تعودت على تقبل كل شيء ،

و على مراقبة دوافعك .. "

نظر إليه إيردوسين

- : " إنك رائع .. أتعرف ؟ "

- : " لا تقلق أيها الصديق ، سوف ترى
بنفسك إنك ستصحو بسرعة ، و سوف تتوصل
لجانبك الشجاع ، و كل ما تحتاجه أن تخطو الخطوة
الأولى "

ثم إفترقا بعد ظهر أحد الأيام ... إفترقا كصحبة ..

** المعاقبة

في نفس اليوم و بمجرد أن وصل إيردوسين آخر درجة من
السُّلم الدائري متجهاً لغرفته ، رأى امرأة ترتدي معطفاً من
فراء القندس و قبعة خضراء تتحدث لصاحبة المنزل عند
المدخل ، و سمع كلمة " ها هو جاء " ليعرف إنه هو
الشخص الذي ينتظرانه ، و حينما توقف أمامها أدارت المرأة
الغريبة وجهها المنمش المضيء نحوه قليلاً و سألته :

- : " هل أنت السيد إيردوسين ؟ "

فتعجب إيردوسين سائلاً نفسه

- : " أين رأيت هذا الوجه من قبل ؟ "

مجيباً نفسه أنه بالفعل رآها .. فقدمت المرأة نفسها :

- : " أنا زوجة السيد إرجويتا "

- : " آه .. إذن أنت المعاقبة .. أليس كذلك ؟ "

خجل مما قال بهذه الوقاحة التي جعلت مالكة المنزل تحملق
بدهشة في قدمي المرأة فإعتذر إيردوسين :

- : " آسف جداً .. لقد فاجأتني .. و يجب أن
تدركي أنني لم أتوقع أ ... هل تفضلين بالدخول ؟ "
و قبل أن يفتح الباب إعتذر عن حالة الغرفة التي
ستجدها عليها ، لكن هيبوليتا أطلقت إبتسامة مندهشة و
بحر ، قالت :
- : " لا يهم "

شعر إيرردوسين بالقلق من النظرة الهادئة المتفحصة
المنطلقة من عينيها الخضراوين المختلطتين بزرقة مضيئة ، و
فكر في أعماقه : " هناك أمر غريب في شأنها " و لاحظ أن
أسفل قبعتها الخضراء ينسدل شعرها الأحمر في ربطتين
ناعمتين تغطيان أعلى أذنيها ، و نظر ثانية لرموشها الرقيقة
الحمراء و شفتيها الممتلئتين تبرزان من وسط نعومة اللون
الوردي ، فعاوده التفكير : " كم هي مختلفة عن صورتها " ..
نظرت إليه - و هي واقفة بجواره - كأنما تقول لنفسها : "
إذن هذا هو الرجل " .. و رغم وقوفه بجوارها إلا أنه يشعر
بوجودها دون أن تتملكه الفكرة حقيقة كما لو كانت غير
موجودة بالفعل أو إنها توجد على بُعد أميال من أفكاره ، مع
أنها كانت هناك ، و عليه أن يقول شيئاً ، لذا بعد أن أضاء
النور و تقديم مقعد لها في حين قام بالجلوس على الأريكة ،
دبر أمره للخروج من الحالة ، قال :

- : " إذن أنت زوجة إرجويتا ؟ أيمكننا تخيل
ذلك ! "

مازال لم يستطع إستنتاج ما تفعله هذه المخلوقة الجديدة
التي إندفعت فجأة وسط فوضاه هذه ، و إجتاح ذهنه تيار من

الفضول أذ كان يفضل أن يكون الموقف مختلفاً ، فهو يشعر أنه يعرف وجه تلك المرأة حقاً ، فمنحنياته البيضاء تشع جاذبية نحاسية ، و الرموش البنفسجية المائلة للحمرة بدت و هي تطلق نظراتها مثل أشعة سائلو من الشمس تنتشر بالآلاف الخيوط الذهبية الهابطة من قمة سحابات تعلو رأس قديس في صورته الشعبية .

و كان إيردوسين يفكر : " أن جسدي هنا و لكن أين روحي ؟ "

و ظل يكرر جملة

- : " إذن أنت زوجة إرجويتا ؟ تصوري . "

وضعت هيبوليتا ساقاً فوق ساق و أرخت طرف فستانها أسفل ركبتها ، و إنعكس القماش على أصابعها الوردية ، و رفعت رأسها ببطء كما لو كان ذلك يستهلك منها قدراً كبيراً من الجهد وسط الأجواء الغريبة المحيطة بها في غرفة مجهولة ، ثم قالت :

- : " يجب أن تفعل شيئاً لزوجي . لقد أصابه

الجنون " ..

فرد عليها :

- : " هذا لا يدهشني .. "

و سره أنه استطاع أن يبقى هادئاً و متماسكاً أشبه بموظفي البنوك في روايات خافير دو مونتبن ، و أجابها و هو يدخل الدور الذي إختاره لنفسه كي يلعبه :

- : " إذن جنّ زوجك .. أليس كذلك ؟ "

ثم فجأة أدرك أنه لن يتماسك أكثر من ذلك في تظاهره ،
إنفجر قائلاً :

- : " أتدرين ؟ إنك جئت لتلقي علىّ تلك
الأنباء الغريبة ، إلا أنها لا تؤثر في ، و يؤلمني أن أكون
هكذا ، فارغ الوجدان ، بينما أريد أن أشعر بأي شيء
إلا أنني أشبه بعمود السور الساكن . لا بد أن تغفري
لي .. هل ستغفرين ؟ فلم أكن أبداً هكذا ، لقد
تعودت أن أكون سعيداً كالبلبل ، لكنني شيئاً فشيئاً
تغيرت ، لا يمكنني أن أفسر ذلك ، ، و أنا أراك أود أن
أكون صديقك لكن ذلك مستحيل ، لو أنك
ستموتين هنا أمامي أشك في قدرتي على تقديم
كوب من الماء لك .. هل تفهمين ؟ .. و رغم كل
ذلك .. و على أية حال .. أين هو ؟ "

- : " في مصحح لاسي ميرسيدس "
- : " هذا غريب ، ألم تقيما في آزول ؟ "
- : " نعم .. لكننا جئنا هنا منذ أسبوعين .. "
- : " و متى حدث ذلك ؟ "
- : " منذ ستة أيام .. و لا أفهم كيف ... و
المسألة كما قلت أنت من قبل ، ساحني لو كنت
أضيق لك وقتك ، لقد فكرت فيك لأنك تعرفه ، و
كان يحدثني دوماً عنك ، حتى رأيته آخر مرة ؟ "
- : " عندما تزوجتما ... نعم حدثني عنك و
كان يسميك المعاقة .. و أحياناً الداعرة .. "

شعر إيردوسين بروح هيبوليتا تغسل عينيه بنظرة رقيقة ،
و كان متأكداً أنه يستطيع محادثتها في أي أمر ، فروح هذه المرأة
تضم نفسها هناك متأهبة و راغبة في إستقباله ، تعقد يديها
على حجرها و هي تتكلم ، و ساعده هذا الوضع المريح على
زيادة إحساسه بالإسترخاء ، و بدت أحداث ذلك الصباح عند
العراف بعيدة منه ، و كل ما تبقى من ذكرياته شظايا من
أشجار و سماء ، و بينما تمر تلك الصور المتتالية عبر ذهنه ،
تترك فيه إحساساً يانعاً بالسعادة دون سابق إنذار ، حك يديه
معاً في تمر تلك الصور المتتالية عبر ذهنه ، تترك فيه إحساساً
يانعاً بالسعادة دون سابق إنذار ، حك يديه معاً في إرتياح و
قال :

- : " لا تأخذي كلامي على محمل الإهانة ،
لكنني أظن أنه كان مجنوناً بالفعل عندما تزوجك "
- : " أخبرني .. هل تعلم إذا ما كان تعود
المقامرة قبل زواجنا أم لا ؟ "
- : " نعم ... و أتذكر أنه درس الكتاب
المقدس لأنه تحدث عن عصر جديد آتٍ ، مع نهاية
الألفية الرابعة ، و أمور كثيرة أخرى مثل ذلك ، ثم
نعم .. هو كان يقامر ، و كان دائماً ما يثيرني أمره
لأنني إعتبرته نموذجاً للحالة الهيستيرية "
- : " نعم كان هيستيرياً ، بل أنه خاطر مرة
بـ ٥,٠٠٠ بيزوس في لعبة بوكر ، فباع جواهره ، و
عقدي الذي أهدانيه أحد الأصدقاء .. "

- : " ما هذا ؟ ألم تعطي العقد لخدمتك قبل الزواج مباشرة ، هذا ما قاله لي أنك أعطيت عقدك و طقم المائدة الفضي .. و شيك الـ ١٠,٠٠٠ بيزوس الذي قدمه لك ذلك الرجل الآخر ... "
- : " هل تظني مجنونة أيضاً ؟ لماذا بحق الله أعطى خادمتي عقداً من اللؤلؤ ؟ "
- : " إذن هي كذب عليّ ؟ "
- : " هكذا يبدو الأمر "
- : " كم يبدو غريباً ! "
- : " لا تندهش .. لقد كذب كثيراً ، و على كل فهو في عالم آخر الآن ، و كان قد أعد مجموعة " من الأرقام " يمكنه اللعب بها في (الروليت) ، لو رأيته كنت ستغرق في الضحك ، لقد دون ما يملأ كتاباً من الأرقام و هي الوحيلة التي كان يفهمها .. يا له من رجل ! لقد أقلقته عدم قدرته على النوم ، و قد ترك الصيدلية دون متابعة ، و أحياناً عندما ينطفئ النور في حجرة النوم و أكون على وشك النوم ، أسمع خبطة عالية على الأرضية ، صادرة عنه ، ربما يكون قفز من السرير و أخذ يدون بعض الأرقام بجنون خشية هروبها من ذاكرته ، ... إذن أخبرك هو أنني قد أتخلى عن عقدي اللؤلؤي .. أليس كذلك ؟ ، ياله من رجل .. أنه هو الذي قام برهنه قبل زواجنا .. حسناً كما كنت أقول .. في الشهر الماضي ذهب إلى كازينو ريال في سان كارلوس .. "

- : " وقد خسر بالطبع "
- : " لا لقد حول ٧٠٠ بيزوس إلى ٧٠٠٠ ،
ليتكم رأيت حالته حينما وصل .. لم يقل كلمة ،
فقلت لنفسي " الأمر كذلك .. لقد خسر " لكن
الشيء الملحوظ هو مدى خوفه من حظه الحسن .. و
حتى ذلك الحين كان يملؤه الشك بشأن مجموعة
الأرقام .. "
- : " نعم .. أفهم ذلك . لقد فضل الإيمان بها
بدلاً من إخضاعها للتدريب "
- : " هذا صحيح ، كان يخشى الفشل ، لكن
كما كنت أقول ، ظل لعدة أيام في عالم آخر ، و أذكر
مرة أثناء نوم قيلولتنا إلتفت نحوي قائلاً : " حسناً
سيدتي .. يبدو أنك ستعتادين أن تكوني ملكة العالم
" - : " أنت تبالغ كالعادة "
- : " و عليّ أن أعترف بعد نجاحه أن - حتى
أنا - قد أغراني ذلك بالإيمان بهذه المجموعة من
الأرقام ، ففي أول جولة اتبع بدقة تلك المجموعة ، ثم
ها هو يسحب ٣٠٠٠ بيزوس من حسابي للضغط
على البنك بالإضافة إلى ٦,٥٠٠ بيزوس أخرى
إستخدم الباقي منها في سداد بعض ديونه على
الصيدلية ، ثم إنطلقنا إلى مونتيديو ، و قد فقد كل
مليم يملكه "
- : " في كم من الوقت إستغرقت الخسارة ؟
"

- : " عشرون دقيقة .. و ظننت أنه سوف ينسحب من اللعب .. و لكن هل حقاً أخطرك بأني أعطيت عقدي للخادمة ؟ ياله من رجل ! " - : " ربما قال ذلك ليعطيني إنطباعاً جيداً عنك . و كيف كانت رحلة عودتكما ؟ "

- : " حسناً .. لم يقل كلمة واحدة .. حملت عيناه عالياً و كان وجهه مجهداً و منتفخاً بلا ملامح ، و بمجرد أن وصلنا إلى بوينوس آيريس ذهب لينام ، كان ذلك يوم الإثنين و ظل هناك حتى هبوط الليل ثم غادر المنزل ، و لا أعرف لماذا لكنني كنت أشعر بأن شيئاً ما سيحدث .. و لم يعد حتى العاشرة لذا ذهبت للنوم . و حوالي الساعة الواحدة صباحاً أيقظني صوت أقدامه داخل الحجرة ، و أوشكت أن أضيء النور عندما قفز ناحيتي و جذب ذراعي - و أنت تعلم مدى قوته - و شدني خارج السرير و أنا في قميص نومي ثم جذبني بطول الممر حتى الباب الأمامي للفندق ! "

- : " و ماذا فعلت أنت ؟ "

- : " لم أصرخ .. لأنني أعرف أن ذلك سيزيد من غضبه ، و وقف في المدخل يُحلق فيّ كما لو كنت عربية أمامه تماماً ، و قد تقلصت جبهته من الألم ، و جحظت عيناه ، و في الخارج كانت الرياح تلهب ظهر أفرع الشجر ، و أنا أحاول حماية نفسي بيدي ، لكنه ظل واقفاً في سكون يُحملك فيّ إلى أن هرع أحد

رجال الشرطة مع بواب الفندق الذي أيقظته الضجة ، وقفزا عليه من الخلف ، عندئذ أخذ في الصراخ لدرجة أن من كانوا على ناحية الشارع سمعوا صوته يصرخ : " هذه هي الفاسقة ... المرأة التي تحب البلطجيين ، والتي يشبه لحمها لحم الحمير .. "

- : " إنك تتذكرين نفس الكلمات . هه ؟ "

- : " يبدو الأمر كما لو أنه يحدث أمامي الآن ، فها هو يقاوم كي يعود داخل الغرفة ، و رجل الشرطة يحاول جذبه خارجاً و البواب يأخذ بخنقه كي يضعف مقاومته ، بينما كنت أقف هناك كالبلهاء في إنتظار نهاية الأمر ، مضطرة لتحمل نظرات الناس الذين تجمعوا و هم يرون أنه من المبهج الضحك عليّ بدلاً من مساعدة رجل الشرطة ، كما أنني دائماً دائماً ما أرتدي ثوب نوم طويل ، و في النهاية و بمساعدة رجال الشرطة الآخرين الذين إستجابوا لصرخات أحد المارة داخل الفندق ، تمكنوا من سحبه إلى مركز الشرطة ، كانوا يعتقدون أنه مخمور و ثمل لكنها كانت نوبة جنون .. هكذا قال الطبيب .. و كان يهذي بكلمات عن سفينة نوح .. "

- : " لقد فهمت .. لكن كيف يمكنني مساعدتك ؟ "

شعر إيردوسين مرة أخرى أن وجودها جزء من حياته مثل قطعة من رواية ، شيء يحتاج إلى العناية مثل ربطة العنق في حفل راقص .

- : " حسناً كنت أتساءل إذا ما يمكنك أن
تقرضني بعضاً من المال ، فأنا لا أستطيع الاعتماد
على أسرته مطلقاً "

- : " ألم تتزوجا في منزله ؟ "

- : " نعم لكن عندما عدنا من مونتفيدو
بعد الزواج زرنا أسرته ذات يوم .. هل تتخيل زيارة
بيت كنت فيه خادمة يوماً "

- : " أمر مثير و مذهل ! "

- : " لا يمكنك أن تتصور كيف كانوا جميعهم
مستكبرين و أنفين .. واحدة من عماته ... و لكن
لماذا نتحدث عن هذه المسائل الوضيعة (المقرفة) ألا
توافقني ؟ هذه هي الحياة بكل ما فيها . فهم طردونا
و غادروناهم - و بتهكم - حظاً أفضل المرة القادمة "
- : " و ما هو الغريب في أنك كنت خادمة !
"

- : " لا غرابة في ذلك "

- : " المسألة إنك لست من ذلك النوع فقط
"

- : " شكراً .. و الموضوع أنني عندما غادرت
الفندق كان عليّ أن أرهن خاتمي ، و يجب أن أنتبه
للقليل من المال المتبقي معي .. "

- : " و ماذا بشأن الصيدلية ؟ "

- : " تركناها في رعاية شخص نثق به .. و قد
أرسلت له برقية ليبعث لي نقوداً ، فرد عليّ بأن

أسرة إرجويتا أصدرت له تعليمات مشددة بالأمر يرسل لي مليماً واحداً .. وهكذا .. "

- : " وهكذا ماذا تظنين إنك فاعلة ؟ "
- : " هذا مالا أعرفه .. سواءاً بالعودة إلى بيكو أو البقاء هنا "

- : " يالها من فوضي "
- : " لقد تعبت تماماً .. صدقني "
- : " أنا آسف لكنني اليوم لا أملك أية نقود ، وغداً سيكون معي "

- : " أنت تعلم أنني أريد أن أحافظ على المبلغ القليل الذي معي تحسباً لأية طوارئ "
- : " مرحباً بك للبقاء هنا حتى نجد لك مكاناً ثابتاً ، وهناك غرفة خالية بجوار غرفتي ، هل يمكنني أن أفعل شيئاً آخر لك ؟ "

- : " أن تجد وسيلة لإخراجه من ذلك المصح "

- : " كيف أفعل ذلك إذا ما كان قد أصابه الجنون فعلاً ؟ على أية حال سوف نحاول . و بالنسبة لليلة يمكنك النوم هنا ، و سأدبر أمري للنوم على الأريكة .. رغم أنه يبدو أنني لن أنام هنا إطلاقاً "
ثم مرة أخرى أرسلت المرأة نظرتها التي تقدح شرراً مشوباً بحضرة قليلة من وراء رموشها الحمراء ، و بدت كما لو كانت تنثر روحها حول حدود أفكار الرجل لتأخذ إنطباعاً عن نواياه

- : " حسناً .. أوافق "
- : " غداً .. إذا شئت سأعطيك بعضاً من النقود تسمح لك بالذهاب لأحد الفنادق لو فضلت ذلك على البقاء هنا "
- لكنه فجأة انتابه الغضب لفكرة عبرت ذهنه فقال :
- : " لا يبدو عليك حقاً أنك أحببت ادواردو هل تعرفين أ... "

- : " لماذا هذا السؤال ؟ "
- : " ذلك واضح .. فأنت أتيت هنا ، و تروين لي تلك الدراما بهدوء أدهشني و من الطبيعي .. ماذا يجب أن أظنه فيك ؟ "

بدأ إيردوسين يقيس - بناظره - الغرفة الصغيرة صعوداً و هبوطاً أثناء سؤاله ذلك ، ثم شعر بعدم الإرتياح من جديد و نظر إلى جانبي وجهها المنمش البضاوي برموشه الحمراء الرقيقة تحت حافة القبعة الخضراء ، و تللك الشفاه التي تبدو منتفخة ، و ربطتي الشعر النحاسية اللون تنسدلان فوق أذنيها ، فرحين تقترف عيناها الشفافتان أشعتها اللامعة من الضوء . و قال لنفسه : " إنها بالكاد تملك صدرًا " . كانت هيبوليتا تنظر حولها ثم سألته بإبتسامة متوهجة فجأة :

- : " ماذا تنتظر مني بالضبط . ز يا عزيزي ؟ "
- إهتز إيردوسين بتلك الكلمة الرخيصة " عزيزي " بعد كلمات عادية مثل " خطأ أفضل المرة القادمة " ، فقال بعد فترة صمت :

- : " لا أدري .. أفترض أنني لم أظنك بهذه الدرجة من البرود ، فهناك لحظات تركت فيّ إنطباعاً إنك غير طبيعية قليلاً ، و ربما أكون على خطأ .. لكن حسناً .. على أية حال هذا شأنك "

وقفت هيبوليتا ، :

- : " أنا لم أتمادى في لعبة تمثيلية ، و السب في مجيئي هنا واضح و صريح ، فأنا أعلم إنك كنت صديقه المفضل ، ماذا تريد ؟ " بالنسبة لي أن أبكي مثل ماريا المجذلية ، عندما لا أشعر بأي أسف لأي شيء ؟ لقد بكيت بما فيه الكفاية "

فوقف إيردوسين كذلك ، كانت تحرق فيه ، لكن الخطوط الحادة المصمتة تحت بشرة وجهها مثل درع مقوى تراخت من التعب و الإجهاد . و مع رأسها المائل نحو أحد جانبيها ذكرته بزواجه ، ربما تكون هي تماماً .. كانت تقف عند مدخل باب غرفة غريبة بلا مبالاة ، نظر الكابتن و هي تغادر للأبد و لم يكلف نفسه عناء إيقافها ، ابتلعها الشوارع ، ربما توجهت إلى فندق وضيع ما ، و فجأة حركته الشفقة قال :

- : " ساحيني .. أنا في مأزق .. مرحباً بك هنا ، أنا آسف فقط لأنك وصلت في وقت لا أملك فيه نقوداً أقدمها لك ، لكنني سأفعل غداً "

جلست هيبوليتا ثانية ، و هو يذرع الغرفة ذهاباً و جيئة و يشعر بنبضات قلبه تلق سراعاً منهكاً بعد يومه مع العراف و بارسوت ، ثم قال بمرارة :

- : " الحياة جهاد .. أليس كذلك ؟ "

حملت المرأة الغريبة في طرف حذائها في صمت ثم رفعت عينيها و تقطية صغيرة تعلو حاجبيها وقالت :

- : " تبدو قلقاً ، هل هناك ما يهم ؟ "
- : " لا .. لا شيء .. أخبريني هل كان صعباً وجودك معه ؟ "

- : " قليلاً . لقد كان عنيفاً "

- : " مسألة غريبة ، أو و لو أستطيع تخيله داخل المصح . لكني لا أستطيع ، قكل ما يمكنني هو أن أضع له قطع متناثرة من وجهه و إحدى عينيهِ ، و يجب أن أخبرك لقد رأيت الكارثة تأتي ، لقد قابلته ذات صباح و روى لي كل القصة ، و عرفت ساعتها أنك لن تكوني سعيدة معه ، لا بد أنك متعبة و عليّ أن أخرج و سوف أخطر صاحبة البيت بإحضار عشائك هنا "

- : " لا .. أنا لست جائعة "

- : " حسناً .. إذن . سأخرج .. إسدلي الستارة

إذا شئت .. كوني في بيتك "

و بينما يخرج إيردوسين ، تطلعت إليه المُعاقبة بطريقة غريبة ، مثل مُغرمة تفحص رجلاً من رأسه لأخمص قدمه ، ثم تغلق كل معالم عاله الداخلي .

في

في الشارع ، أدرك إيردوسين أن هناك مطر خفيف يتساقط ، لكنه واصل السير ، يسوقه غضب غامض ، يضايقه عدم قدرته على التفكير . فكل شيء أخذ في التعقيد ... و ماذا عن موقفه ، كان واقعاً وسط كل تلك التروس العمياء التي تستهلك حياته أكثر فأكثر ، تدفعه إلى أعماق مستنقع اليأس ! ثم فوق هذا كله ، تأتي هذه الحالة . عدم القدرة على التفكير ، على تأمل الأشياء بوضوح ، مثل الحركة داخل لعبة شطرنج ، نقص في صفاء الذهن يجعله يكره كل شخص .

و قد أزعجه - علاوة على ذلك - التوجه الحيواني لأصحاب المتاجر الذين يقفون على أبواب محلاتهم يبصقون في ذلك المطر الخفيف . و يتخيل أنهم طوال الوقت يستغرقهم التخطيط لمشروعاتهم بينما ترى زوجاتهم البائسات وراء الأبواب الخلفية يضعن مفارشهن فوق موائد متهالكة و يقدمن أطباق الحساء الغثة التي تطلق رائحة نتنة من الفلفل و الدهن ، أو رائحة زنخة تتطاير من قطع (الاسكالوب) المعد تسخينه عندما يرفع عنها غطاء الوعاء .

مضى إيردوسين قدماً في جهامة ، محاولاً فهم الأفكار التي أفرختها تلك العقول الضيقة ، و يحلق مباشرة في وجوه أصحاب المتاجر المتعبة و هي تتلصص - و شرارة الغضب بادية في أعماق أعينهم - على الزبائن الذين يرونهم في المحلات المقابلة ، أحياناً يشعر أنه على وشك أن يسبهم و يهينهم ، و يتمنى أن يناديهم بلقب (الديوثين) و اللصوص و أبناء الزانية ، و أن يقول لهم علانية أنهم لو كانوا سماناً و ممتلئين فذلك لأنهم تورموا من المرض ، و إذا ما كانوا نحافاً فبسبب الحسد الذي يأكلهم من تتبعهم لجيرانهم ، و قد صب لعنات مرعبة - في ذهنه - على رؤسهم ، متخيلاً وقوعهم جميعاً في الدين و أنهم على شفا الإفلاس ، و تمنى في نفس الوقت أن الحزن الذي دفعه إلى هوة اليأس يسقط على رأس زوجاتهم التافهات ، اللواتي بنفس الأصابع التي استخدمنها منذ دقائق قليلة في إزالة مناشف الدورة الشهرية (الحيض) ، يقمن بتقطيع الخبز الذي سوف يأكلونه معاً ، و يقذفن في حق غريمتهن مع كل مضغعة طعام .

و رغم أنه لم يستطع تفسير سبب ذلك إلا أنه شعر بأنه مكروه حتى من أكثر أولئك المحتالين إحتراماً ، فكل أعضاء (القبيلة) مؤذون أشرار مثل عصابة القراصنة البرابرة .

و بينما يمر عابراً تجار الأثاث و الحال العامة و الترزية كان يفكر في أن أولئك الناس يعملون دون هدف

نبيل ، ذلك أنهم يقضون كل وقتهم في التلصص على الحياة الخاصة لجيرانهم بنظرات شريرة مريضة ، و هم جيران تافهون مثلهم تماماً ، يستمتعون بتعبيرات العواطف المزيفة أمام كل حالات سوء الحظ التي تحقق بهم ، ناشرين القيل و القال (الشائعات) حولهم بسبب الملل الحاد الذي يحيط بهم ، و هذا ما جعله فجأة يشعر بالغضب ، و أدرك أن من الأفضل له مغادرة الشارع قبل أن يتورط في معركة مع أحد أولئك المتوحشين الذين تمثل صورتهم المثيرة له رمزاً للروح التي تسود المدينة كلها ، روح وضیعة ، قاسية و متوحشة مثلهم .

لم يكن قد أحكم رأيه رغم أنه يعرف إمتلاءه بالغثيان نحو هذه الحياة ، لكنه فجأة شاهد (تراماً) يتجه إلى بلازا و نسی فجری و قفز على العربة الأخيرة و عند المحطة إشتري تذكرة عودة إلى راموس ميجيا فالمكان الذي سيذهب إليه لا يشكل له إختلافاً كبيراً ، كان منهكاً و ضائعاً ، مقتنعاً أنه قذف بروحه إلى خندق لن يستعيدها منه أبداً ، و مع تلك المعاقبة بإنتظاره في المنزل ، كم يكون الوضع أفضل حينما تكون رباناً لسفينة ، أن تقود سفينة حربية ضخمة ! تنفث مداخنها

سحباً من الدخان ، بينما هو على [البريدج] (*) يتحدث مع الضابط الأول ، و صورة امرأة - ربما لا تكون زوجته - موشومة فوق قلبه ، لماذا بحق الله كانت حياته بما هي عليه ؟ و حيوات الناس الآخرين كذلك . أنهم مثل " هذا " كما لو كانت عبارة " مثل هذا " خاتماً يضمن الحزن الذي نجده صعب التحديد في الآخرين . ماذا حدث لقوة [الحياة] التي تبدو على بعض البشر و يتداولونها عبر شرايينهم كدماء الأسد ؟ و هي قوة تجعل من وجود إنسان ما يبرز فجأة أمامنا دون أي تدريب ، و بتحديد واضح مثل عقدة أو حبكة الفيلم ، أليس هذا ما تظهره صورّ العظماء ؟ من يملك أية تسجيلات أو سجلات للنين و هو يتناقش في حجرة وضعية في لندن ، أو لموسيليني و هو يتجول في شوارع إيطاليا ؟ و رغم ذلك فهم كانوا هناك فجأة ، فوق شرفة يصرخون في الجموع الشعثاء ، أو يمرون بين الأعمدة المتناثرة المدمرة حديثاً ، مرتدين أحذية رياضية و قبعات من القش فشلت في إخفاء ملامح الغزاة الوحشية عليهما ، و بالمقابل إمتلأت حياة إردوسين بصورّ ضئيلة للمُعاقّة و للكابتن ، و زوجته ، و بارسوت ، كلهم أناس ما أن يخرجوا من مدى رؤيته حتى يتضاءلون لأصغر الأبعاد التي يمكن أن تضيفها المسافات على الأشياء المادية .

أراح رأسه على النافذة الزجاجية ، و بدأت العربة تتحرك ، ثم توقفت عند محطة ، و تردد صوت صفارة الحارس للمرة الثانية فإنطلق القطار تفرقع عرباته و هو يعبر الجسور التي تُصلصل و العجلات تدفعها متباعدة ..

أغشت أضواء النفق الحمراء و الخضراء عينيه لبرهة ،
فأغلقهما ثانية ، و وسط الظلام نقل القطار تردداته المرتعشة
إلى قضيبانه و تضاعفت كتلته بسبب السرعة التي يتحرك بها
، كما منح أفكار إردوسين حافراً نشطاً - بالمثل - لا يهدأ .
مضت العجلات تصطك مقرقة حتى نهاية كل مسافة
من القضبان ، و تدريجاً أدت تلك الإيقاعات المتكررة الكئيبة
إلى تهدئة غضبه ، و رفعت من روحه في حين راحت سرعة
القطار تهدد جسده و تنقله إلى حالة من الخدر و
النعاس.أخذ يفكر في جنون إرجويتا و يذكر كلمات الرجل
الآخر حينما كان يخلق بنفسه في مظاهر الدمار البادية على
وجهه و يصرخ فيه : " إذهب للجحيم .. إمض من هنا أيها
المتشرد " .. أسند رأسه على ظهر مقعده و إستعاد ذكرى أيامه
الخوالي ، أغمض عينيه تركيزاً على الصور التي تمر بذاكرته ،
كانت تشبه لغزاً في مبدأ الأمر ، و كانت هذه أول مرة يدرك
فيها أن بعض الوجوه التي تمر بأعين مخيلتنا تبقى بنفس
حجمها في الواقع ، و تجد أناساً آخرين و أشياء أخرى تتضاءل
فتراها عساكر من الدمى أو أشباحاً من السلويت دون عمق
لوجودهم ، لذا رأى بجانب ذلك الرجل

(*) البريدج Bridge كوبري لكنه على السفينة مكان المراقبة و إصدار تعليمات ربانها و موقعه

في وسط السفينة (المترجم) .

الأسود الضخم الذي راحت يده تعبث بمؤخرة صبي صغير ، مائدة صغيرة مثل شيء أخذوه من بيت الدُمى تراخت عليها الرؤوس الدقيقة لعصابة من المجرمين ، رغم أن السقف فوقهم كان على إرتفاعه المعروف ، و كل الصورة تسهم في صنع الحدود الرمادية لذكرياته فتجعلها أكثر يأساً . و تهادت جمهرة غامضة داخل ذهنه ثم غطى ظل طارئ حزنه العميق مثل سحابة من القلق .

و بجوار المائدة حيث رقد المجرمون الكبار إستطاع أن يميّز شكلاً ضخماً منذراً ، يشبه جمجمة ثور ، لمالك البار يغرس أصابعه في عضلات ذراعه المنتفخة ، و أظهرت لقطة أخرى من ذاكرته ، كيف كان إحساسه بالسقوط القادم صادقاً ، حتى

قبل أن يفكر في الإحتيال عليّ شركة السكر لكنه كان يبحث بالفعل في الأركان المظلمة بحثاً عن رؤية ممكنة لشخصيته .

.. تُرى كم من المسارات كامنة في عقله ! تتبع المسار الذي يعيده إلى البار الضخم الذي أغرق جسده الحزين في أعماق راحة لعقله ، و رغم أن تلك الكتلة (من جسده) التي تخترق مجتمته بطولها إنحدرت بزاوية قدرها عشرين درجة ، إلا أن المائلة المتهالكة التي تمدد عليها المجرمون نوماً لم تنزلق - كما هو متوقع منطقياً - و لكن بفضل الطريقة التي إعتاد عليها عقله بأن يقوم بضبط المنظور استقام المشهد أسفلهم ، كما أن جسد إردوسين قد نما معتاداً حركة الكتلة المتصادمة لقطار الأنفاق ، لذا إسترخى خلفاً على مقعده في إغفائة ثلثة و الآن تغلبت ذاكرته على كل طاقة مقاومة لديه ، و إنهمرت عليه حدود دقيقة وواضحة للبار . و بدا أن تلك الحدود تجسد نفسها مباشرة داخل صدره ، لدرجة أنه إستطاع تخيل أنه لو نظر إلى نفسه في مرآه سوف تُظهر مقدمة جسده الجزء الداخلي لحجرة ضيقة تمتد لتصل إلى المرأة ، و هكذا وجد إردوسين نفسه يمشي داخل نفسه على أرضية مغطاة بنشارة الخشب و البصاق ، و تأطرت الصورة جيداً بطريقة تعكس إستمرار تكرار نفس الأحاسيس و فكر أنه لو كانت معه المعاقبة لكان قال تعبيراً عن هذا التذكار - : " ذلك كان قبل أن أصبح لصاً " .

و تخيل المعاقبة تستدير لتنظر إليه بينما هو يواصل رؤاه بطريقة ما هو بعيد عن التناول : " بجوار مبنى كريتيكا القديم في سارميتنو كنت تجد باراً هناك " .

عندئذ و بينما يصطك قطاره عبر وصلة كاباليتو تخيل هيبوليتا ترفع عينيها نحوه في تساؤل . فرأى إيردوسين نفسه كشخصية عاشت خارج القانون فترة لكنها تعيش الآن مستقيمة لذا أضاف لصديقه غير المرئي قوله - : " التعليمات أن هناك خليط من بائعي الجرائد و المجرمين " . - : " هل الأمر هكذا ؟ " ..

... لتجنب كسر زجاج النوافذ أثناء العديد من المشاجرات التي تتورط فيها هذه الشخصيات السافلة ، أبقى صاحب البار النوافذ المعدنية [الشيش] مسدلة دائماً ، و يتسلل الضوء الوحيد للصالون عبر الفتحات الزجاجية للباب ذات الطلاء الأزرق ، لدرجة أن أصبح هذا الوكر - ذو الحوائط الرمادية و يشبه محل جزارة لرجل عربي - غارقاً في الظلمة لا يخففها سوى وهج أبيض لدخان إحدى السجائر .

و داخل ذلك الجب المشاحب الإضاءة ذي السقف المدعم بالكمرات الثقيلة و الممتلئ ببخار الخضروات المسلوقة و الدهن المطهو ، عصابة مكفهرة من مجموعة الأخوة (الخارجة عن القانون) ، و هم رجال يرتدون أغطية رأس (كابات) مسدلة على وجوههم ، و مناديل معقودة أسفل رقبة القميص ، و فيما بين الساعة الحادية عشرة و الثانية بعد الظهر تجمعوا حول المائدة الرخامية الملطخة بالدهن كي يبتلعوا بعض الأصداف المتعفنة أو يلعبوا بالورق و رهانهم زجاجات قليلة من الخمر .

و تؤكد الوجوه التي تتوسط تلك الكأبة ذات الرائحة المجوجة جو حياتهم الوضيعة ، فبعض هذه الوجوه طويل و

متمد كما لو كان أصحابها يخضعون لعملية شنق و أفواههم مفتوحة و شفاههم منتفخة و ملفوفة كالسجق ، و رجال سود بأعين لامعة و أسنان بارقة بيضاء تبدو بين شفاه بارزة يتحسسون صبية صغار ، و هم يضغطون فكوكهم بإستمتاع ، و محتالون تافهون و مخبرون يشبهون النمر بوجه منحدر و نظرات جامدة .

تصاعدت فورة مختلطة من أصوات هؤلاء الرجال المتهاوين فوق المقاعد المستطيلة أو المتجمعين حول الموائد بينما يتهاذى السماسرة في ملابسهم الرقيقة بينها بياقاتهم الناعمة و معاطفهم الرمادية و قبعاتهم البرميلية - و ثمنها سبعة بيزوات - و بعضهم كان قادماً - في التو - من سجن ازكونيلجا ، و يقومون بتسليم رسائل أعطاهم إياها المساجين هناك ، و البعض الآخر كانوا يرتدون نظارات من صدفة الترسه جذاباً للثقة ، و مسح كل واحد منهم المكان بناظره بمجرد دخوله ، و كانوا يتكلمون في همس و يتتعاونون زجاجات البيرة لرفاقهم الغرباء ، و يدخلون و يخرجون لعدة مرات في لحظات قليلة ، و ينادي عليهم الناس لبعض الأعمال الغامضة ، و كان مدير هذا المكان رجلاً ضخماً برأس ثور و عيني خضراوين و أنف بارزة و شفاه مزمومة رقيقة . و عندما يغضب تتولى صرخاته إسكات كل الزبائن ، الذين يخشونه ، و يسيطر عليهم بتهديدهم بعنف . و إذا أصدر أحد المجرمين صخب أكثر مما هو مسموح له به ، يأتي المالك فجأة ، و يعلم الجاني - هنا - ما سوف يحدث ، لكنه يجلس في مكانه منتظراً في صمت حتى يبدأ العملاق في ضربه

على جمجته ضربات قصيرة حادة . و يغرق باقي البار في
سكون و آخرون يستمتعون بمشهد العقاب ، و يتم طرد
الضحية سيئة الحظ إلى الشارع ، ثم يتعالى الصخب من
جديد ، في حين تتصاعد سحب من الدخان نحو زجاج الباب
الأمامي .

أحياناً ما يجد الموسيقيون طريقهم إلى ذلك الوكر ، و معهم
عادةً آلات موسيقية بسيطة ، فإذا ما عزفوا موسيقاهم يسود
صمت مفاجيء على رؤوس سكان هذا العالم الإستوائي ، و
تكتسح موجة من الحزن المبهم جو الحجرة . و بينما تتصاعد
الأنغام الشجية لموسيقى التانجو الشعبية من آلاتهم ، ترافقها
كل مشاعر الرعاع بغضبهم و سوء مآلهم ، و أصبح الصمت
كوحش له مائة يد ترفع قبة من الأصوات فوق رؤوس
المنكين على المائدة الرخامية ، من يعرف ما كانت عليه
أفكارهم ! و قد إخترت تلك القبة الضخمة المربعة كل
قلوبهم و تقوم بتكبير تلك الأصوات الحزينة الصادرة من
الغيتار و آلة الباندونيون (*) حتى أنها تستثير شعوراً سامياً
وسط آلام العاهرة أو داخل الملل القاهر في السجون عندما
يتخيل السجين أن أصدقاءه يستمتعون بحياتهم لآخرها خارج
السجن . و عند لحظة ما تجد حتى أكثر الأرواح وضاعة هناك
، و أكثرها وحشية تفسح مجالاً لرعدة غير مسموعة ، لكنها
تتلاشى بمجرد ظهورها ، و عندما يمرر الموسيقيون قبعاتهم لا
تجد أحداً يمد يداً ليلقي فيها بقطعة نقود .

أخبر إردوسين رفيقه الخفي _ : " هذا هو المكان الذي
اعتدت الذهاب إليه .. لتأكيد عذابي ، و لأعلم على سبيل

الإستيثاق إنني قد ضعت ، و أفكر في زوجتي التي تعاني بمفردها في المنزل لأنها تزوجت رجلاً تافهاً ، و كثيراً ما قبعـت في ركن من هذا البار أتخيلها و هي تهرب مع رجل آخر ، و أنا أغرق في حفرة عميقاً عميقاً ، و لم تكن تلك الحفرة سوى مقدمة لما يحدث لي فيما بعد ، و كم فكرت و أنا أتطلع لأولئك البؤساء المساكين في نفسي أنني ربما يوماً ما أصبح مثلهم تماماً ! و لا أدري كيف ؟ لكنني دائماً كنت أشعر أنني أرى أمامي ما سوف يحدث لي .. لم أكن مخطئاً أبداً .

(*) Bandoneon آلة ألمانية الأصل و إنتشرت في الأرجنتين تصاحب رقصة التانجو و تشبه آلة الأكورديون بمفاتيح مختلفة (المترجم) .

هل تتخيل ذلك ، ثم يوماً ما في ذلك الحب قابلت إرجويتا مستغرقاً في أفكاره .. نعم إرجويتا . كان جالساً على مائدة و يحملق فيه صبيٌّ ممن يبيعون الجرائد في دهشة ، رغم أن الآخرين كان لابد أنهم ظنوه لصاً مهندم الملابس . و تخيل إردوسين أن المعاقبة عند هذه اللحظة قد سألته - : " ماذا .. هل كان زوجي هناك أيضاً ؟ " .

- : " نعم .. يتألم قلقاً و هو ممسك بمقبض عصاه ، و وجهه أشبه بوجه صياد الكلاب ، لكن إرجويتا لم يلحظ شيئاً مما يدور حوله ، و بدأ الأمر كما لو كان تسمر في أرضية البار ، و قد أخبرني أنه كان هناك ينتظر تعاقدًا يمنحه علاوة في السباق التالي ،

لكن الحقيقة بدت كأنه شعر فجأة بالضيق و جاء هنا بحثاً عن معنى للحياة ، و قد يكون الأمر كذلك ، باحثاً عن معنى للحياة في سلوك أولئك الأوغاد ، كان ذلك عندما إكتشفت أنه خطط للزواج من عاهرة ، عندما سألته عن صيدليته ، أخبرني بأنه سيكلف شخصاً من ببيكو بمراعاتها ، لأن نيته كانت الجيء لبوينوس آيريس و يقامر بما معه ، و لا أدري إذا ما كنت تعلم أنه طرد من أحد النوادي بتهمة الغش ، بل قيل أيضاً أنه كان يحاول اللعب بشرائع مزورة ، لكن ذلك لم يثبت بدليل قاطع ، لقد سمعت عنك لأول مرة عندما سألته عن خطيبته ، و هي مليونيرة صغيرة من كاشاري . كانت قد أحبته بجنون ، فأخبرني :

- : " لقد أوقفت ذلك الموضوع لفترة " .

- : " لماذا ؟ " .

- : " لا أدري ... قد بلغ السيل الزبى .. مللت "

ثم أصررت على أسئلتني قائلاً :

- : " لماذا جئت هنا ؟ " .

خفقت إلتماعه مريرة بعينه ، [و طوّح] بيديه ليترد الذباب الذي دار حول كأس البيرة و هو يزجر .

- : " كيف لي أن أعرف ؟ لقد كنت غارقاً في

الملل لأنني عبيط ، و الفتاة المسكينة أحببني حقاً ، و لكن ماذا يمكن أن أقدمه لها ؟ على كل حال .. مياه كثيرة تجري في النهر ... " .

- " هل قال إرجويتا ذلك ؟ " .
- " نعم .. كانت كلماته هي " مياه كبيرة تجري في النهر ، لأنني سأتزوج غداً من إنسانة أخرى " .

خرج القطار من محطة فلوريس ، و إستعاد إردوسين - و هو قابع في مقعده - ذكرى كيف تفحص وجه الصيدلي و تقلص عضلي عصبي يقوسه في نظرة شيطانية .

- " و بمن ستتزوج ؟ " .

تحول وجه إرجويتا إلى اللون الأبيض ، و هو يحني رأسه الضخم تجاه إردوسين ، و قد أطلقت عينه اليسرى غمزة ، بينما أبقت الأخرى نفسها منفصلة عن باقي وجهه ، و هو يستعيد وضعه الأصلي ليلحظ الدهشة التي ستحيل إردوسين أخرساً .

- " سوف أتزوج العاهرة " .
- قال ذلك و هو يرفع وجهه الذي عادت عيناه فيه إلى وضعهما . و قد أخبرني إردوسين فيما بعد :
- " أنا لم أتحرك " .

إنتشر تعبير من النشوة على وجه الصيدلي حتى بدى كواحدٍ من أولئك القديسين مرسوماً داخل أيقونة شعبية راکعاً و يديه معقودتين على صدره في صلاة عميقة ، تذكر إردوسين أنه أثناء حدوث ذلك قام الرجل الأسود الذي كان يتحسس مؤخرة الصبي بوضع يد ذلك الصبي على بعض أعضائه الخاصة .

و سادت المكان هرجة من أصوات باعة الصحف في مباراة يملؤها الصياح ، في حين يخطو صاحب البار العملاق عبر الغرفة في إحدى يديه طبق من الحساء و الأخرى من اللحم الأحمر المسلوق طلبهما نشالان من الجوعى يجلسان في ركن بعيد . ورغم ذلك لم يدهشه القرار ، فارجوتيا يقوم بذلك النوع من الاختيار اليائس لأنه كان واحداً من تلك الحالات الهيستيرية الذين يؤدي بهم عصابهم القهري إلى غضب يحرقهم ببطء و انفجار باطني ينطلق دون إدراكه ، و ممن تُزيد موجات صدماتهم درجة حساسيتهم مئات المرات ، و على أية حال تظاهر إردوسين ببقائه هادئاً تماماً و سأله :

- : " العاهرة .. من هي تلك العاهرة ؟ " .

عاد الدم يتدفق بوجه إرجوتيا خجلاً ، و بدأت عيناه تومضان :

- : " من هي ؟ ... إنها ملاك .. إردوسين .

أمام تلك العينين ، نفس هاتين العينين ، قامت هي بتمزيق شيك قيمته ٢,٠٠٠ بيزوس كان أحد عشاقها قد أهدها لها ، و أعطت خادمتها عقداً من اللؤلؤ يساوي ٥,٠٠٠ بيزوس ، و منحت البواب و زوجته كل أدوات مطبخها الفضية . و أخبرتني قائلة " سوف أدخل منزلك عارية " .

و تخيل إردوسين هيبوليتا و هي تقول له :

- : " لكن هذه كلها أكاذيب " .

- : " أما في الوقت الحاضر فإننا أصدقه " .

ثم واصل كلامه :

- : " لو أنك تعلم - فقط - كم عانت تلك المرأة ، فذات مرة بعد إجهاضها السابع ، تملكها اليأس لدرجة أنها إنطلقت لترمي نفسها من نافذة الطابق الرابع في العيادة ، .. كل ذلك فجأة .. أنه أمر لا يصدق لكن المسيح عيسى ظهر لها على الشرفة و مد ذراعه ليمنعها من القفز " .

مازال إرجويتا يبتسم ، و فجأة وضع يده في جيبه ثم ناول إردوسين صورة .

.. كان المخلوق اللذيذ فيها شديد الجاذبية لم تكن تبتسم واحتوت الخلفية أشجار نخيل متناثرة مع أشجار الصنوبر ، كانت جالسة على مقعد و رأسها مائلة قليلاً و هي تقرأ مجلة على ركبتيها ، و قدميها متقاطعتين ، فأضفى ذلك على ثوبها شكلاً جميلاً علاوة على المرعى المعشوشب خلفها ، كان شعرها معقوصاً للخلف و مكوماً فوق رأسها مما جعل (قمر) جبهتها يبدو أعرض و أكثر إضاءة ، و قد شكل حاجبها قوساً رقيقاً فوق أنفها الدقيق الواقع قريباً من عينيها الخفيفتين الصغيرتين وسط وجهها الرشيق البضاوي .

و بينما كان يخلق في الصورة ، شعر إردوسين بأنه لن تتنابه الرغبة في هيبوليتا أبداً ، و هذا الشعور المؤكد جعله سعيداً ، و أخذ يتخيل كم سيكون رائعاً مداعبة تلك المخلوقة الغريبة أسفل ذقنها أو أن يسمع صوت إنسحاق الرمل تحت (صندلها) ، و أخذ يغمغم :

- : " كم تبدو جميلة !. لا بد و أن لها روح حساسة ، و كم هي مختلفة في الواقع ! " .

و حتى الآن كان القطار يمر عبر فيلا لورو ، و قد أضاءت
الأنوار الكهربائية بين أكوام الفحم بصورة حزينة ، و تختفي
عدادات الغاز وسط الضباب ، و إنفتحت طاقات سوداء
كبيرة في جانب غرفة المحرك الدائرية و جعلت مشاهد
الأضواء الحمراء و الخضراء المعلقة هنا و هناك على البعد من
صوت القطار أكثر شجناً ... كم كانت المعاقاة مختلفة في الواقع
! إلا أن إردوسين تذكر ما قاله لإرجويتا :
- : " كم هي جميلة .. لا بد أنها تملك روحاً حساسة "

- : " نعم هذا صحيح . فكل ما يتعلق بها رائع ،
فأنا أحب المغامرة . تخيل ، وجوه كل أولئك الذين تشككوا
في خطابات التوصية بإنتمائي للشيوعية ! لقد أهملت ثروة
و عذراء كي أتزوج من داعرة ، لكن روح هيبوليتا هي فعلاً
ما تميزها ، و هي تحب كذلك المغامرة و القلوب النبيلة . فمعاً
يمكننا أن نفعل أشياء عظيمة .. لأن الوقت قد حان .. " .
فإلتقط إردوسين عبارة الصيدلي :

- : " هل تعتقد أن الوقت قد حان فعلاً ؟ "
- : " نعم .. أشياء فظيعة لا بد أن تحدث ، ألا
تذكر أنك مرة أخبرتني أنه حتى الرئيس روزفلت قد
أكثر المديح في الكتاب المقدس .. ؟ " .
- : " نعم .. لكن ذلك منذ وقت طويل " .
قال إردوسين ذلك بسبب أنه لم يستطع تذكر أي شيء من
ذلك قاله لإرجويتا . و لكنه أصر قائلاً :

- : " لقد ظلت أقرأ الكتاب المقدس كثيراً
في الريف " .

- : " ذلك الذي لم يوقفك عن العيش بصورة
يائسة كالعادة " .
و بحدة قاطعه إرجويتا :

- : " ليس ذلك هو المقصد " .
نظر إردوسين إليه مندهشاً و منزعجاً ، لكن الصيدل
إبتسم إبتسامة طفولية و بينما وضع البارمان كأساً آخر من
البيرة واصل كلامه :

- : " كنت أنصت لتلك الكلمات الغامضة
التي وجدتتها في الكتاب المقدس ، و لسوف أنقذ
المعاق ، و سوف أقود الخراف الضالة لحظيرتها و
أعلي أسماءها كي تُحمد في كل بلد الفوضى " .
عند هذه اللحظة ، خيم صمت غير عادي على البار ، و
كل ما يمكن رؤيته هو رؤوس محنية أو مجموعات صغيرة تحلق
في حركات الذباب الغريبة فوق طبقة لزجة من القذارة على
أسطح الموائد ، و كان أحد اللصوص يعرض خاتماً من
المجوهرات على زميله ، و قد إنحنت رأساهما معاً لفحص
الحجارة الكريمة .

و أشرق شعاع من أشعة الشمس عبر الباب نصف
المفتوح شاطراً الجو الأزرق الممتلئ دخاناً إلى نصفين مثل
قضيب من الفوسفور ، فقال إرجويتا من جديد :
- : " و سوف أنقذ المعاق ، و أقود الخراف الضالة
لمكانها " .

و يؤكد كلامه بغمزة وقحة و هو ينهي العبارة :

- : " و أن أرفع أسمائهم عالياً كيما تُمجد في كل مناطق القوضى " ..

- : " لكن هيوليتا ليست مُعاقبة " .

- : " لا .. و لكنها من الخراف الضالة ، و أنا

المخادع ، أنا ابن الفناء الأبدي . لقد تنقلت من مأخور إلى مأخور ، و من ألم لآلام ، بحثاً عن الحب - لقد ظننت أنني أبحث عن الحب المادي الجسمي و بعدما قرأت الكتاب المقدس ، وجدت أن ما يرنو إليه قلبي كان الحب الإلهي ، الحب المقدس .. أتفهمني ؟ إن القلب يتبع طريقه السري الخاص ، فأنت تحمل أفكاراً عظيمة و تظن أنك تعرف ما تريد ، إلا أنك لا تستطيع الحصول عليه ... و لا تعلم لماذا ... إنها سر .. ثم يوماً ما تتبدى لك الحقيقة خارجة من الزرقة ، و كما تعلم أنا عشت حياة كحياة " ابن الدينونة " ، هكذا كانت حياتي . و قبل أن يموت أبي و هو يسعل نازفاً الدم في كوسكين ، كتب لي خطاباً مرعباً يمتليء لوماً ، و لم يوقعه بإسمه لكنه كتب (أبوك ... الرجل الملعون) ، ماذا تستنتج من هذا ؟ هنا رفعت الغمزة العصبية لإرجويتا كلا حاجبيه بصورة مزعجة جعلت إردوسين يسأل نفسه : " ماذا لو كان مجنوناً ؟ " .

ثم غادر الإثنان - حينئذ - البار ، و إنزلت السيارات بشوارع كورينتس تلمع تحت الشمس ، و مرت جمهرة من الناس في طريقها للعمل و أضفت واجهات الحلات الصفراء صبغتها على وجوه النساء ، ذهب الناس إلى مقهى آمبوس

موندوس ، و جلست مجموعات الشخصيات الباهتة حول
الموائد يلعبون الورق أو الطاولة ، و آخرون كانوا يلعبون
البلياردو ، تطلع إرجويتا حوله جيداً و بصق ثم قال بصوت
عال :

- : " أنهم مجموعة من القوادين ، يجب أن
يُشنقوا دون حتى الإهتمام بتحديد من يكونوا " .
و لم يأخذ أحدٌ منهم تلك الإهانة لنفسه أو على محمل
شخصي .

و رغمًا عن نفسه ، وجد إردوسين أنه لم يستطع أن ينسى
كلمات إرجويتا المبكرة حيث قال :

- : " أنني أبحث عن حب مقدس "
ففي تلك الأيام كان إرجويتا يعيش حياة حسية مجنونة ،
حيث قضى ليله و نهاره في أوكار القمار و مواخير الدعارة ،
يرقص ، و يشمل ، و ينخرط في مشاجرات مفزعة مع
النصابين و القوادين . و قد دفعه حافز أعمى إلى إرتكاب
أفزع الأعمال الشنيعة .

ذات ليلة كان إرجويتا في ميدان فلوريس مقابل كافتيريا
نيرس ، كان مع ديلافين السكير ، و كان قد تأهل للعمل
كمحام منذ شهر فائت ، و مع مجموعة من المتسكعين من
نادي فلوريس ، كانوا يعاكسون و ينتهكون حرمت المارة ، و
عندما لاحظوا إقتراب أحد الاسبان المهاجرين فك إرجويتا [
سوستة] بنطاله ، و ما أن وصل الغريب مدى قريباً منه حتى
أطلق عليه سيلاً من البول يغرقه ، و رأى الأسباني أن
الأفضل له تجنب الشجار و واصل سيره يسب و يلعن ، ثم

تحدى الصيدلي زميله ديلافين الباسكي الذي كان يتباهى كثيراً باعتدائه .

- : " حسناً ... أراهنك أنك لن تستطيع التبول على أول مار بنا " .
- : " أوافق " .

أطلق كل واحد ضحكة صاخبة ، فهم يعلمون أن ديلافين حيوان متوحش ، و في الحال إستدار أحد الرجال عند الناصية أمامهم و بدأ ديلافين يبول فحاول الغريب أن يتنحى عن طريقه ، لكن ذلك الباسكي ضبط نفسه عليه تماماً و نجح في إغراقه ببوله ، عندئذ حدث أمر فظيع ، فدون كلمة واحدة توقف الرجل الضحية ، و عصبة الرجال تطلق ضحكاتها و صفيها ، ثم أخرج الرجل فجأة مسدساً ، و دوى صوت رصاصة سقط ديلافين على أثرها فوق ركبته ممسكاً بمعدته ، و عانى الباسكي موتاً بطيئاً مؤلماً ، و قبل أن يموت صرح في نبل بأنه المخطيء في هذا و يستحق اللوم ، و فيما بعد عندما يشمل إرجويتنا و يذكر أمامه إسم ديلافين ، كان يركع على ركبته و يرسم صليباً بلسانه فوق الرمال .
سأله إردوسين :

- : " هل تذكر ذلك الباسكي ؟ " .
و بينما يلف الصيدلي سيجارة ألقى عليه نظرة طويلة قاسية و أجاب :
- : " نعم كان له قلب نبيل ... كان واحداً في المليون .. و يوماً ما سأسدد دينه " .

لكنه عند ذاك أدار أفكاره عودة لإهتماماته الحاضرة ، و
واصل كلامه :

- : " لقد بقيت أفكر كثيراً مؤخراً ، متسائلاً
هل من الصحيح لرجل عقيم مريض يائس مثلي أن
يتزوج عذراء .. " .

- : " هل تعلم هيبوليتا ؟ " .
- : " نعم .. تعلم كل شيء . كما أن إذا كانت
المرأة عذراء ، فالرجل يجب أن يكون كذلك . يجب أن
يكون طاهر الجسد و الروح ، و هذا ما ستكون عليه
الأمر يوماً ما ، هل تتخيل رجلاً أنيقاً قوياً و يتصف
بالعذرية مثل ما أقول ؟ " .

فغمغم إردوسين : " هذا ما يجب أن يكون " .
نظر الصيدلي لساعته و سأله :

- : " هل أمالك عمل ما ؟ " .
- : " نعم أحتاج العودة للمنزل لرؤية
هيبوليتا في الحال " .

" هذا ما أدهشني حقاً " - أخبر إردوسين كاتب هذه
القصة فيما بعد ، كانت أسرة إرجويتا تملك منزلاً فخماً ، و
كانت عقلية الناس الذين يزحفون كالبزاقة دخولاً و خروجاً
عقلية محافظة تماماً و تقليدية فسأله إردوسين :

- : " ماذا تقصد بأنك أخذتها للمنزل ؟ " .
- : " لا يمكنك تصور كم الحكايات التي
أضطرت لإختراعها ! و كانت هي لا تريد الذهاب

هناك ، أو أنها قبلت الفكرة لكنها أصرت على ألا
نُبقي شيئاً سراً " .

- : " ألم تفعل ؟ " .

- : " بل فعلت ... لقد نجحت فقط في تغيير
رأيها عند اللحظة الأخيرة ، لقد أخبرت أمي أنني قد
[انتزعتها] من بين أقاربها ساعة صعودهم سطح
السفينة المغادرة إلى أوروبا .. و هذه قصة مطبوخة
جيداً ! " .

- : " و ماذا عن أمك ؟ " . كان إردوسين على
وشك أن يسأله إذا ما كانت أمه قد صدقت كذبة
كهني في حين كان وجه هيبوليتا قد حمل آثار الشقاء
الذي عاشته لتكسب قُوَّتها .

- : " و كيف تقبلت أمك ذلك ؟ " .

- : " أمرتني أن آخذها للمنزل في الحال و
عندما قدمتها هناك ، قبلتها أمي ثم سألتها (هل
احترمك يا ابنتي) فخفضت هيبوليتا نظرتها و
أجابت (نعم يا أمي) ، و ما هو أكثر من ذلك .. كان
كل شيء حقيقياً .. و علي أن أخبرك أن ماما و أختي
سارة كانتا مسرورتين بها " .

عندما قال ذلك ، غمر إردوسين إحساس مفلجيء بأن
هذين الزوجين التعيسين مقبلان على كارثة ، و لم يكن مخطئاً
، و بينما هو جالس في قطار الأنفاق و القطار يزأر ماراً عبر
لاينرز ، تذكر كم كان على حق و قال لنفسه : " غريبة أول

الإنطباعات لا تخطيء أبداً " . و عودة لذاكرته قام بسؤال
إرجويتا عن موعد زواجهما ..

- : " سنرحل إلى مونتيفيديو غداً ، حيث
سنعقد حفل الزواج ، هذا في حالة عدم وجود عائق !
"

و فيما هو يقول ذلك إرتفع حاجبه ثانية و ضحك
بسخرية و هو يضيف :

- : " أنا لست مغفلاً .. و أنت تعلم " .
أثارت ملحوظته الإحتياطية هذي مشاعر إردوسين فلم
يتمالك نفسه و قال معترضاً :

- : " كيف ذلك ؟ لم تتزوج بعد . و ها أنت
مستعد للتفكير في الطلاق ؟ ترى ما نوع ذلك
الفعل في العمل الشيوعي ؟ حقيقة أنت في أعماقك
مقامر محتال " .

سرح الصيدلي بفكره عند هذه النقطة ، كما لو كان يفخر
بنفسه كمن يستجدي قرضاً و هو متأهب لتلقي أية إهانة ممن
سيقدر على الدفع ليقاقي قائلاً :

- : " عليك أن تكون على المحك يا صديقي " .
إنتاب إردوسين الفرع لإنعدام إحساس محدثه ، فكر في تلك
المخلوقة اللذيذة في الصورة و تخيلها تتحمل ذلك الوحش
تحت سماء إجتاحتها سحبات من التراب القاتم و شمس صفراء
مشتعلة و مرعبة . و لسوف تميل مثل شجرة صنوبر نبتت
على كومة من الصخور ، و حلق إردوسين بغضب في رفيقه
و لاحظ المقامر كم كان الآخر غاضباً ، فقال :

- : " يجب أن أفعل شيئاً لهدم ذلك المجتمع ،
هناك أيام عانيت فيها الألم لدرجة غير محتملة ، تبدو
الأمر كلها خارجة عن السيطرة كحيوان متوحش
يغوص " دوماً " ، وهذا يشعل رغبتى للخروج إلى
الشارع و أدعو للقتل الجماعي أو أقيم مدفعاً آلياً
على كل ناصية شارع ، و سوف ترى ذلك ، الأوقات
الصعبة قادمة .

" سوف ينقلب الأب على ابنه و الابن على أبيه ، إن
علينا أن نقوم بشيء للتمرد على ذلك المجتمع الملعون ، و
هذا هو السبب في زواجي من عاهرة ، و كما يقول
الكتاب المقدس (و أنت يا ابن الإنسان ، عليك أن تدين
المدينة المتعطشة للدماء ، و أن تعلن كل مخازيها) ، و ما
رأيت في هذا ، إستمع (و وقعت في غرام اللصوص
الذين يشبه لحمهم لحم الحمير و السوائل التي تفرزها
إجسامهم لها رائحة فضلات الخيول) "

هنا إلتفت و أشار إلى القوادين الذين تحلقوا حول
الموائد يلعبون الورق ، ثم قال :

- : " أنظر إليهم و إذهب إلى رويال كيلر ، أو
إلى مارزوتو ، إلى بيجول أو ماييبو ، و سوف تراهم في
كل مكان أرواحاً ضائعة ، و حتى أمثال هؤلاء التفاهين
تراهم يموتون من الملل ، فلتأت أيها الثورة ، و هم إما
سيُشنقون أو يُرسلون إلى خطوط القتال وقوداً
للمعركة ، و كان يمكن أن أصبح مثلهم ، لكنني
غيرت رأيي . فهناك وقت عصيب آتٍ ، و ذلك تفسير

لما جاء في الكتاب المقدس (سوف أنقذ المُعاق و أعيد
الخراف الضالة إلى حظيرتها ، لأن المدينة سحرها
لصوصها ، و هم الذين حطموا المُعاق و أضلوا
الخراف ، لكن في يوم قريب سينحنون و يقبلون
أقدامهم) .

- : " لكن هل تحب هيوليتا ؟ " .
- : " بالطبع أحياناً .. و أظن أنها لا بد قد
هبطت من القمر على سلم ، و حيثما ستكون
سيصبح الناس سعداء " .
و حقيقة ، إعتقد إردوسين - لوهلة قصيرة - أنها هبطت
من القمر من أجل أن يسعد بني البشر بسبب بساطتها
الهادئة .

و واصل الصيدلي :
- : " يوشك عصرٌ دموي أن يقبل ، عصر الإنتقام ،
فروح البشرية تبكي ، لكن لا أحد يريد الإنصات لدموع
أرواحهم . ، بينما مدننا أشبه بالعاشرات عشقت مجرميها و
لصوصها .. و الأمر لا يمكنه أن يستمر " .
حلق في الطريق للحظة ثم قال في نبرة آسفة ، كما لو كان
ينصت إلى صوت يأتي من داخله في هذا المقهى الحزين .

- : " ما نحتاجه . هو شخص ما .. ملاك ما ..
كيما يظهر ، و لسوف يجثو الناس على ركبهم في
ميدان مايو ، و تتوقف العربات ، و سوف يهرع
مديرو البنوك و الأثرياء إلى شرفاتهم يلوحون بأيديهم
، يصيحون فيه بغضب : " ماذا تريد يا صاحب الوجه

الضفدعي ؟ لا تقض مضاجعنا " . لكنه سوف
يتصاعد و تهبط أيديهم إلى أجنادهم حالما يرون وجهه
الرقيق الممتليء روحاً ، و عيناه تشتعلان وهجاً ، و
سوف يخاطب كل أولئك البشر المحصورين ، سوف
يحادثهم ، و يسألهم لما إرتكبوا الخطيئة ؟ لماذا نسوا
اليتامي و إنتهكوا حقوق رفاقهم ، و لماذا جعلوا الحيلة
جحيماً بينما يمكن أن تكون جميلة ، و لن يجدوا جواباً
، و سوف يتردد صوت ملاك الإنتقام صارخاً حتى أن
شعر رؤوسهم سوف يقف رعباً ، و أن أقسامهم قلباً
سوف يبكي "

إلتوى فم الصيدلي المنتفخ ألماً كما لو كان إبتلع سُماً ناقعاً
و مرأ :

- : " نعم نحن نحتاج المسيح ليأتي من جديد ،
حتى أكثر الناس وضاعة ، و أكثر الناس الغارقين في
المادية [المقرفة] قد أغرقتهم المعاناة و
الآلم ، و إذا لم يأت ، فمن آخر يمكنه إنقاذنا ! " .



أسرة إسبيل



وقف القطار بمحطة راموس ميجيا ، و كانت ساعة المحطة تشير للثامنة مساءً ، و هبط منه إيردوسين .

غطى ضباب كثيف شوارع الضواحي الموحلة ، و تذكر - بعيداً عن محطة سينتيناريو و هو يمضي و من أمامه حائط من الضباب و من خلفه آخر - إنهم في اليوم التالي سيقومون بقتل بارسوت ، كان ذلك حقيقة ، سوف يقتلونه ، و ود إيردوسين لو كان يحمل مرآة حتى يمكنه رؤية جسد قاتله ، و بدا الأمر مستحيلاً أنه هو ذلك الوحيد في هذه الجريمة الذي سيفصل نفسه عن بقية النوع الإنساني .

كانت أعمدة الشوارع ترسل ضوءها في خفوت ، فأشعة ضوءها الزغبى تخرق ظلمة الأرصفة لمسافة ياردين بالكاد ، في حين ظلت بقية الأنحاء غير مرئية ، فمضى و هو ممتليء أسفاً عميقاً كمجزوم يائس .

و شعر كأن روحه قد فصلت أخيراً عن أية مشاعر إنسانية ، و كان عذابه كعذاب رجل يحمل داخله قفصاً مربعاً حيث تتشاب غمور متسللة ملطخة بالدماء بين أكوام من العظام ، و تنهأ أعينها القاسية للقفزة التالية .

و بينما يمضي في طريقه رأى في حياته حياة شخص آخر ، محاولاً أن يدرك القوى التي إنطلقت من أطراف أصابعه لتنبح في أذنيه كرياح ملتعبة متربة .

غارقاً في الضباب الذي إخترت ظلمته الخرساء حتى أبعد ركن في رثيته ، وصل إردوسين إلى جاوناً لاحقاً ، حيث توقف ليمسح العرق من فوق جبهته . ثم دق على بوابة خشبية هي المدخل الوحيد لمظلة ضخمة يضيئها مصباح يتيم يعمل بالكيروسين ، و جذبت يدُ الباب و فتحته ، عندئذ إختفى شبح شاب وراء ناصية المبنى و هو يسب و يلعن عبر ممشى حجري إهتز في قلق تحت قدميه في الوحل ، توقف إردوسين خارج باب زجاجي مضاء ، ثم صفق بيديه ليأتيه صوت أجش :

- : " إدخل " .

فدخل .

أضاء اللهب الممتلئ دخاناً الرؤوس الخمسة لأسرة إسبيلا ، و قاموا بتحيته بإبتسامات مبتهجة متطلعين إليه عبر أطباق عشائهم ، و نهض إميليو إسبيلا - و هو شاب طويل نحيل كث الشعر - ليصافحه .

حياهم إردوسين واحداً واحداً ، بدأ أولاً بالأم التي ترتدي ملابس سوداء وقد أحنّت ظهرها السنون ثم الأختين الصغيرتين لوسيانا و إيلينا ، تلاهما يوستاكيو الأصم و كان رجلاً أشبه بخط طويل رفيع يبدو أنه مصاب بالسل ، و كان منكباً على مجلة كعادته بينما تغرق أنفه في طبقه ، و تروح عيناه جيئة و ذهاباً و هي تفك شفرة الصور بالجملة .

أدت الإبتسامات الدافئة التي منحتها الفتاتان له إلى شعوره بالتحسن .

كانت لوسيانا شقراء بوجه طويل ، و أنف متعال و فم واسع رقيق و شفيتين ورديتين لامعتين شهوانيتين ، بينما تشوب هيئة إيلينا مسحة الراهبة بوجهها البضاوي الشمعي و ردائها الأسفل الطويل (جيبتها) ، و يديها الممتلئتين الشاحبتين :

- : " هل ستأكل معنا ؟ " .

تساءلت الأم ، و حين لاحظ الطعام القليل الموجود بالقدر ، أجابها بأنه قد تناول طعامه بالفعل . فألحت :

- : " هل أنت متأكد ؟ " .

- : " نعم ... سوف أتناول قليلاً من الشاي

فقط " .

أفسحوا له مكان على المائدة فجلس بين يوستاكيو الأصم الذي واصل إستطلاع مجلته و إيلينا التي شاركت بقية الحساء بين إميليو و أمها .

نظر إليهم إيردوسين ممتلاً بالشفقة ، لقد عرفهم سنوات طوياً ، في البداية كانت الأسرة تحيا بصورة حسنة نسبياً ، لكن سلسلة من الكوارث - بعد ذا - تركتهم في بؤس عظيم ، ذات يوم إصطدم إيردوسين بإميليو في الشارع فقام بزيارتهم حيث لم يرههم منذ سبع سنوات ، و أصابته الدهشة حينما وجدهم يعيشون في مأوى شديد البؤس بينما كانوا من قبل يعيشون في منزل به بهو واسع و حجرة معيشة و خادمة ، نامت النسوة الثلاث في ذات الغرفة تفترشان أثاثاً قديماً إعتادوا أن يتناولوا الغداء و العشاء فيه ، في حين نام إميليو و يوستاكيو في ممر المطبخ بسقفه المصنوع من الصاج ، و إمتهنوا

العديد من الوظائف كما تتلاقى جهودهم من أجل الأسرة ،
باعوا إعلانات الدعاية ، و الآيس كريم (صناعة منزلية) و
تفصيل الملابس بيد الأختين ، و ذات شتاء بارد تأزمت بهم
المعيشة حتى سرقوا عموداً للبرقيات و قاموا بنشره قطعاً تحت
جناح الليل ، و في مناسبة أخرى إقتلعوا سوراً كاملاً من
الأعمدة ، هذه الحالات التي وصلوا إليها لكسب نقود ،
أدهشت إردوسين و أصابته بالحزن معاً .

و أول مرة شاهدتهم فيها في منطقتهم الجديدة أُصيب
بصدمة كبرى ، فقد إنتقلت عائلة إسبيللا إلى مبنى متهاالك
ذي طوابق ثلاثة بالقرب من شاكارتينا مقسم بألواح من
الحديد المتموج ، و بدا المسكن من الخارج كسفينة محيطة
ضخمة ، و الأطفال يتكاثرون حوله كما لو كان مجمعاً دينياً .
و ظل إردوسين لعدة أيام تالية يجول على غير هدى يحاول أن
يتخيل ما لابد ستواجهه أسرة إسبيللا و عليها أن تصمد أمامه
كي تعيش .

فيما بعد عندما إخترع الوردة النحاسية ، ظن أن ذلك
الأمل الجديد قد يرفع معنوياتهم ، لذا إشتري بحزم من النقود
التي سرقها من شركة السكر (مراكماً) مستعملاً و عداد
أمبير و عدة أجهزة أخرى لإنشاء ورشة جلفانو - بلاستيك
بسيطة . و قد أقنع أسرة إسبيللا بتكريس وقت فراغهم
لتجاربه مؤكداً لهم أن في حال نجاحهم سوف يصبحون أثرياء
، في حين كان هو ذلك الإنسان المحروم من الأمل و السلوان
قد شعر بالضيق طويلاً ، إلا أنه زرع تلك الآمال الصادقة في
نفوسهم لدرجة أنهم وافقوا على المحاولة . بدأت إيلين

دراسة جلفنة البلاستيك بصورة جادة ، بينم تعلم يوستاكيو كيفية تحضير الأمير على التوازي أو على التوالى بالإضافة لقياس المقاومة ، وحتى أنهم حملت جانباً من تلك التجارب وعندما نجحوا في تغطية (طلاء) لوح من القصدير بالنحاس إقتنعوا جميعاً بأن كل ما عليهم فعله تالياً هو تطبيق نفس العملية على الورود ، من أجل صناعة ثروتهم .

تكلم إيردوسين معهم أيضاً عن صناعة المشغولات النسيجية بالذهب و الستائر الفضية و خِمَارَات نحاسية للقبعات ، و تحدث حتى عن إحتمال عمل أربطة عنق معدنية مما أدهشهم جميعاً أو أن بإمكانهم عمل قمصان بواجهات معدنية و أساور و ياقات للقمصان بغمس القماش في محلول ملحي ثم وضعه في حمام الجلفانو - بلاستيك بالنحاس أو النيكل و لسوف تشتري البيوت التجارية الشهيرة مل هارودز أو جاث تشيفز أو سان جوان هذه الطُرُز.

و ذات يوم بدأ إيردوسين - الذي يؤمن نصف إيمان بما يقول - في الإعتقاد بأنه قد خلق بخياله بعيداً في إستشارة خيالاتهم ، لأنهم حتى الآن و رغم أنهم يتضورون جوعاً ، إلا أنهم يحلمون بشراء الرولز رويس مع بيت كبير يطل على ميدان ألفير و ليس بأي مكان آخر ، و بينما إنحنى إيردوسين على كوب الشاي ، إستجابت لوسيانا لإبتسامة إميليو المتسائلة بهزة من رأسها و خجل خفيف يعلوها ، لكن إميليو واصل حديثه متجاهلاً اللثغة الثقيلة في كلامه لأن فمه بالكاد يحمل سناً واحدة .

- : " نحن ما وثلنا (وصلنا) إليه .. أثبتت (أصبحت) الوردة حقيقة " .

- : " نعم لقد نجحنا في عمل واحدة .. الحمد لله " .
قفزت لوسيانا و فتحت خزنة جانبية ، فتبسم إردوسين مبتهجا .

بين أصابع العذراء الجميلة لمعت الوردة النحاسية ، و قد نشرت الزهرة المعدنية الرائعة بتلاتها القانية الحمرة عبر المسكن البائس ، و إلتقط اللهب المرتعش للمصباح وهج الأحمر الشفاف كما لو كانت الوردة قد حوت حياة نباتية إستهلكتها الأحماض لكنها تشكل روحها .

رفع الأخ الأصم أنفه من طبق السلطة ، و نظر أولاً لصوره بالمرآة ثم إلى الوردة و صاح في صوت صارخ .

- : " ليس هناك شك في ذلك .. أنت عبقرى " .

- : " ثحيح (صحيح) ، بهئا (بهذا) نكنون (سنكون) أثرياء " .

فقال العجوز :

- : " إنشاء الله " .

- : " لا تكوني متشككة هكذا يا أمي " .

- : " هل إستغرق ذلك عملاً كثيراً ؟ " .

فإندفعت إيلينا بإبتسامة جادة نحو الشرح العلمي للمسألة .

- : " أنصت ياريمو ، في أول جولة قام إميليو بإعطاء الوردة عدداً كبيراً من وحدات التيار حتى أصبحت كالمخرقة " .
- : " و لم يُعجل الحمام الكيميائي من العملية ؟ " .
- : " لا .. لذا قمنا بتدفئته قليلاً " .
- : " عندئذ و من أجل هذه المرة ، أضفنا عاملاً مثبتاً .. " .
- : " هنا ثحيح (هذا صحيح) ... حمام من المثبتات .. ثويه .. ثويه .. (شوية .. شوية) " .
- تفحص ريمو الوردة من جديد ، مذهولاً أمام كمالها ، فكل بتلة حمراء تكاد تكون شفافة و تحت الغشاء الرقيق المعدني استطاع أن يميز عروق البتلة الطبيعية ، التي حولها العامل المثبت إلى اللون الأسود الخفيف ، و لم تعط وزناً بالكاد ، فأضاف إردوسين :
- : " كم هي خفيفة ، إنها تزن أقل من ثقل قطعة من ذات الخمسة بنسات " .
- .. و عندما لاحظ بقعة صفراء على متاع الزهرة ينتشر صاعداً نحو البتلات . واصل حديثه :
- : " عندما تُخرجون الزهور من الحمام الكيماوي عليكم أن تغسلوها بعناية . هل ترون تلك الخطوط الصفراء ؟ إنها تنتج عن مادة السيانييد داخل الحمام ، و هي تقضي على مادة النحاس " .

تجمعت حلقة الرؤوس حوله تنصت في إحترام ديني ، و
إستمر قائلاً :

- : " و هي تكوّن مادة سيانيد النحاس ، و
نحن لا نريد ذلك لأنه يهاجم طلاء النيكل ، كم ساعة
إستغرق ذلك ؟ " .

- : " ساعة واحدة " .

و عندما رفع عينيه عن الوردة وجد لوسيانا تُحلق فيه ،
كانت عيناها مخمليتين ممزوجتين بدفء غامض ، و قد كشفت
إبتسامتها العريضة أسنانها اللامعة ، نظر إليها إردوسين
مبهوراً ، و ظل أخوها الأصم يفحص الوردة بينما برزت
باقي الرؤوس عبر كتفه تتطلع في الخطوط الصفراء لمادة
السيانيد ، و مازالت لوسيانا تُحملك فيه ، و فجأة تذكر أن
عليه أن يساعد في قتل بارسوت اليوم التالي ، و دفعه حزن
حاد إلى خفض عينيه ، و قد منحته تلك الحركة سبيلاً للشعور
- الحال - بالغضب من أولئك الناس المخدوعين الذين
ليس لديهم أدنى فكرة عما عاناه من ألم و عذاب طوال
الشهور القليلة الماضية ، فنهض واقفاً ليقول :
- : " حسناً إذن ... إلى اللقاء " .

حتى الأصم نظر إليه في فزع ، و تسمرت العجوز في
مكانها ، و قد إمتدت يدها بطبق كانت توشك على تقديمه له
، و دفعت إيلينا مقعدها للخلف :

- : " ماذا حدث يا ريمو ؟ " .

- : " لكن يا إردوسين ! " .

تطلعت إليه إيلينا صعوداً و هبوطاً .

- : " هل حدث خطأ ما يا ريمو ؟ " .

- : " لا شيء يا إيلينا .. صدقيني " .

فسألته لوسيانا :

- : " هل أنت غاضب ؟ " .

و ظلت عيناها ممتلئتين بالدفء الغامض الحزين .

- : " لا .. مطلقاً .. حقيقة لقد أردت رؤيتكم جميعاً ..

لكن عليّ أن أذهب الآن " .

- : " أنت متأكد أنك لست غاضباً ؟ " .

- : " لا .. يا سيدتي " .

- : " أنا فاهم .. فكل هذه المتاعب التي أمامك ... " .

- : " إخرس أيها الغبي " .

قرر يوستاكيو أن يهجر مجلته و أن يكرر ما قاله من قبل :

- : " أنا أنبهك .. يجب أن تأخذ هذا الأمر

بصورة جادة ، فذلك يعني أنك سوف تصبح ثرياً " .

- : " هل أنت متأكد من عدم حدوث خطأ ما

؟ " .

إلتقط إردوسين قبعته ، و قد شعر بغثيان عميق لإضطرابه

إلى قول كل هذه الأشياء غير المجدية ، وعلى أية حال ، فكل

شيء قد تم ترتيبه . فما الهدف من الكلام إذن ؟ لكنه بذل

جهداً أخيراً بقوله :

- : " صدقوني .. أنا أحبكم جميعاً بشدة . تماماً

مثل ذي قبل .. و لا تقلقوا فأنا لست غاضباً .. و لدي

أفكار كثيرة أخرى .. فنحن نستطيع أن نقيم صالونا

لحلاقة شعر الكلاب و نبيع الحيوانات الأليفة

المصبوغة بالألوان الحمراء والخضراء والزرقاء و
الصفراء و القرمزية .. و كما ترون أنا لا تعوزني
الأفكار ، و يوماً ما سوف أتأكد من ذلك بنفسي .. و
كما ترون لدي أفكاراً أكثر من الكفاية " .
نظرت إليه لوسيانا و الشفقة في عينيها قائلة :
- : " سوف آتي معك " .

خرج الإثنان معاً إلى الشارع ، و قد سد الضباب الطريق
فيما وراء البقع الحزينة من الضوء حول الأعمدة المضائة
بالزيت على الطريق . فجأة جذبت لوسيانا ذراع إردوسين و
همست له :

- : " أنا أهتم بك كثيراً .. حقاً و فعلاً " .
رمقها بنظرة تهكمية ، و تحول ألمه كله إلى حالة من الشر .
- : " أعلم " .

وواصلت حديثها :

- : " أحبك كثيراً لدرجة أنني أريد إسعادك ، لقد
درست كيفية إشعال الفرن و أعمال محول بسمر ، أتريدني أن
أشرح لك فيم تستخدم الدعامات ، أو كيفية تنفيذ عملية
التبريد " .

تأملها إردوسين ببرود ، كان يفكر أن " هناك أمر ما خطأ
في تكوين هذه المرأة ! "
وواصلت حديثها :

- : " أنا دائماً أفكر فيك .. هل تريد مني أن أشرح
لك كيفية تحليل الأنواع المختلفة من الصلب أو كيف

نستخرج النحاس ؟ أو حتى عملية غسل الذهب ؟ أو ما هي البواتق في داخل الفرن ؟ " .

كز إردوسين على أسنانه ، و تعثر على الطريق و هو يفكر أن وجود ذلك الإنسان - فقط - أمرٌ غريب ، و ثار غضبٌ داخله من جديد بلا سبب موجهٌ ضد تلك الفتاة الجميلة التي تتعلق بذراعه و تقول :

- : " هل تذكر حينما أخبرتني أن طموحك أن تكون مسئولاً عن أحد افران الصهر ؟ لقد قادتني فكرتك للجنون ! .. لماذا لا تتكلم ؟ لذا بدأت أدرس علم المعادن . أيمكنني إخبارك الفرق بين التوزيع اللامنتظم للكربون و الكربون الصحيح الجزيئات ؟ لماذا لا تقول شيئاً يا عزيزي ؟ " .

إندفع قطار مسرعاً في طريقه على مبعدة منهما ، و تحولت ندف الضباب (الشبيهة بالقطن و الصوف) إلى بقع من السواد على بُعد أقدام قليلة من أعمدة الإضاءة ، و كاد إردوسين يميل للحديث ليخبر لوسيانا عن كل حالات سوء حظه لكن حقه الغامض الغاضب أبقاه متوتراً و صامتاً بجوارها و هي تواصل الحديث :

- : " ما الأمر ؟ أنت غاضب منا ؟ لكن المسألة إنك أنت من يجب أن نشكره لحظنا " .

نظر إليها من رأسها لأخص قدمها ثم قبض على ذراعها بخشونة و هو يزجر :

- : " أنا لست مهتماً بك " .

هنا إنقلب على عقبه قبل أن تجد وقتاً لتبدي رد فعلها ،
خطا مسرعاً ليختفي في الضباب . عرف أنه قد أهانها دون
سبب ، لكن ذلك منحه إحساساً شريراً بالارتياح لدرجة أنه
غمغم و هو يلهث :
- " أمل أن يَنقُوا جميعاً كالضفادع و يتركوني
في سلام " .

روحان ♣♣♣

عند الثانية من صباح اليوم التالي ، كان إردوسين لا يزال
يشق طريقه عبر جبال من الرياح بشوارع وسط المدينة بلحاً
عن ماخور ، دوى طنين كئيب بأذنيه ، لكن غريزة جنونية
مازالت تسوقه عبر الظلال التي تلقيها واجهات البيوت
المرتفعة على الرصيف ، ملأه حزنٌ قاهر فاستمر يحول بلا
هدف .

واصل سيره كالنائم ، يصبوب عيناً زجاجية تحملق في
الأسهم اللامعة من النيكل لشارات خوذات رجال الشرطة و
هي تبرز تحت أضواء نواصي الشوارع ، و يُحدق في اللفائف
الواضحة لمصابيح النيون ، يدفعه حافز غامض للمضي قدماً ،
لقد قطع كل الطريق من بلازا دي مايو و يتجه الآن إلى
كانجالو ماراً ببلازا ونس ، و قد ملأه حزن فطيع . و قد إلتصق
عقله على نفس النقطة دون توقف و ظل يكرر لنفسه : " لا

فائدة .. أنا قاتل " . و رغم ذلك فبمجرد أن لمح الضوء الأحمر أو الأصفر يعلو واجهة الماخور ، وقف و تردد للحظة متحمماً تحت الضباب الملون ، ثم قال لنفسه " يجب أن أكون شخصاً آخر " و واصل طريقه مرة ثانية مرت سيارة بجواره بهدوء ثم إختفت مسرعة ، فكر إردوسين في السعادة التي لن يذوقها أبداً ، وشبابه الضائع ، و قد تمدد ظله أولاً عبر الرصيف ثم أصبح أقصر فأقصر ثم إختفى عند أقدامه ، و عاد يظهر متراقصاً خلف ظهره أو يتمايل عبر بالوعة مجاري لامعة . لكن عذابه ظل يتزايد بمرور الوقت مثل موجة مدٍ تمتص قواه من أطرافه ، و رغم ذلك تخيل أن يد العناية قد دلته إلى الماخور الذي كان يبحث عنه .

فتحت السيدة الباب المؤدي لغرفة النوم فألقى بنفسه بكامل ملابسه على السرير ، و في أحد الأركان كان الماء يغلي فوق موقد يشتعل بزيت البارافين ... و فجأة دخلت الفتاة نصف العارية ... و بعد توقف قصير وسط دهشة كبيرة تسمح للإثنين أن يفهما الموقف ، صاحت العاهرة :

- : " ياه .. إذن هو أنت .. إنه أنت لقد اتيت أخيراً ! " .

فأجابها إردوسين :

- : " نعم .. أنا .. آه لو تعلمين كم بحثت عنك ! " .

لكن طالما أن ذلك من المحال أن يحدث ، إرتد حزن إردوسين إليه ككرة من الرصاص إصطدمت بجائط من المطاط ، و علم أن بمرور الأيام سوف تصبح أمنيته بالحصول

على داعرة مجهولة تأخذها الشفقة عليه غير ذات جدوى تماماً
مثل أمل تلك الكرة الرصاصية في إحداث ثقب في درع الحياة
. فقال لنفسه ثانية: " ياه .. هذا أنت .. إنه أنت حضرت
أخيراً يا حبي الحزين " .. لكن ذلك كله بلا هدف ، فهو لن
يجد ابداً تلك المرأة ، لذا ملأت عضلاته طاقة متوحشة ولدها
اليأس و إنتشرت عبر السبعين كيلو التي يحملها جسمه ،
واهبة إياه دافعاً جديداً كيما يغوص عبر الظلال ، في حين
مزق حزن هائل دقات قلبه داخل قفصه الصدري إلى مِرْقٍ
متناثرة و لدهشته الشديدة وجد نفسه خارج الباب الأمامي
لمنزله المُشترَك ، فقرر الدخول و قلبه يرق بعنف .

عبر الردهة متجهاً لغرفته على أطراف أصابعه ، و فتح
الباب بجذر ، و تحسس طريقه إلى ركنها حيث توجد الأريكة
ثم قوسّ نفسه عليها ببطء باذلاً جهده ألا يحدث أية ضوضاء ،
و فيما بعد لم يستطع تفسير ما فعله ، عند ذاك تمدد فوق
الأريكة و رقد طاوياً يديه أسفل رأسه ، و كان الظلام أكثر
حلكة داخل روحه عن الظلمة المنتشرة حوله و التي قد
تتحول إلى صندوق مغطى بورق الحائط لو أضاء المصباح .
حاول أن يفكر في شيء خارج ذاته ، لكنه كان مستحيلاً
فإستثار ذلك خوفاً طفولياً داخله ، اضحى سمعه بحثاً عن
صوت ما ، بلا جدوى ، لذا اغلق عينيه ، و قلبه مازال يرق
بصوت عال دافعاً دمائه حول جسده ، ووقف شعر ظهره كما
لو كانت مياه باردة تنصبّ عليه ، و بعينيه المغلقتين و جسده
المتصلب إنتظر حدوث شيئاً ما ، ثم أدرك أنه لو بقى هكذا
سوف يصرخ خوفاً ، لذا جر قدميه ليجلس القرفصاء مثل

بوذا ، و جلس في الظلام ، و شعر بتمزق ذاته إلى شظايا ، لكنه لم يستطع الإستنجاد بأحد أو حتى أن يصرخ ، لكن لا يمكنه أن يستمر متربعا هكذا طوال الليل ، فأشعل سيجارة و هنا جمدته المفاجئة . كانت المُعاقبة تقف عند حافة الستارة تُحلق فيه بنظراتها الباردة السامة ، ينسدل شعرها على أطراف أذنيها في ربطتين ناعميتين ، و شفتاها ممتلئتان ، و بدا عليها القلق لمساعدته ، لكن إردوسين كان مرعوباً ، و غمغم أخيراً :

- : " أنت ! " .

كان عود الكبريت يحرق أصابعه ، عندئذ دفعه حافز أقوى من الخجل الذي إنتابه لكي يقف و ذهب إليها في الظلام قائلاً :

- : " أنت ! لماذا لست نائمة ؟ ؟ " .

و شعر أنها تمد يديها ثم شعر بأصابعها تربت على ذقنه ، و قالت في جدية:

- : " و لماذا لا تستطيع أنت النوم ؟ " .

- : " هل ستضربيني ؟ " .

- : " لماذا لا تستطيع النوم ؟ " .

- : " إنك تلمسيني ؟ كم يدك باردة الآن ! لماذا هي بهذه الدرجة من البرودة ؟ " .

- : " أضيء المصباح " .

إنهمر الضوء من السقف ، فوقف يُحلق فيها و هي تجلس على الأريكة ، و غمغم في خجل :

- : " أيمكنني الجلوس بجوارك ؟ أنا لم أستطع النوم " .

أفسحت له مكاناً و حين جلس بجوارها ، وجد أن من المستحيل أن يبقى يديه ساكنتين فربت على جبهتها بأنامله ، سأها :

- : " لماذا أنت في هذا الحال ؟ " .

نظرت إليه بهدوء ، و حملق فيها للحظة في يأس مطبق ، ثم سعى ليلمس يدها الرقيقة ، و كان على وشك أن يرفعها إلى شفتيه ، عندما منعه قوة غريبة من فعل ذلك . ثم إنهار في حجرها و هو يشهق .

بدأ يبكي بلا سيطرة على نفسه ، و هي جالسة منتصبية الظهر تتابع إرتعاشات جسده دون أن تبدي اية علامة للإفعال ، بكى بغزارة ، وهو يرى حياته ككرة معقدة من الغضب اليائس ، و لم يستطع الصراخ ألماً ، لكن كتم مشاعر غضبه ساهم في زيادة حزنه الفظيع ، و سال ألمه خارجاً من أعماقه في أمواج لانهائية فتغرقه و هو ينساب شهيقاً من حلقه . و ظل منهاراً هكذا لعدة دقائق و هو يعض منديله ليمنعه من الصراخ ، في حين أصبح صمتها وسادة ناعمة لروحه المتعبة . و ببطء إستهلك ذلك الألم الممض نفسه ، و جفت قطرات الدمع الأخيرة في عينيه ، بينما كان تنفسه (يصلصل) في اضطراب داخل صدره ، و وجد راحة في تمدده بهذا الوضع ، مبلل الخدين دمعاً على حجر إمراة ن و شعر بأحزانه تتلاشى تماماً ، و إختفى شبح إمراة المتباعد أخيراً من على سطح عذاباته ، و خلال رقوده هناك أمدّه هدوء الغسق

بقبول أي كارثة يجنئها له القدر مهما كانت . رفع رأسه ،
تشوبه حمرة الدموع و عليه آثار طيات ردائها ، كانت لا تزال
ترمقه بهدوء :

- : " إذن أنت حزين ؟ " .

- : " نعم " .

ثم غرقا في الصمت ، و أضاء ومض بنفسجي خفيف من
البرق أركان الساحة المظلمة خارج المنزل ، و بدأت تمطر

- : " أيمكننا تناول مشروب الماتيه (*) ؟ " .

- : " نعم " .

قام بغلي الماء دون أن ينبس بكلمة ، و بينما يصب أوراق
الماتيه في الغلاية ، حملقت في ذهول في المطر و هو ينقر النافذة
، فقال مبتسماً عبر دموعه :

- : " سوف تعجبك طريقي في عمله " .

- : " لماذا أنت بهذه الدرجة من الحزن ؟ " .

- : " لا أعرف .. انه شعور بالألم ، لم أشعر

بالسلام مع نفسي لمدة طويلة حتى الآن " .

كان يشرب الماتيه في صمت ، و وقفت هيبوليتا مقابل
ركن تملأه أوراق الحائط المتقشرة ، و هي ملتفة في معطفها ذي
الفراء ، و ضفירתها تنسدلان على أطراف أذنيها .

إبتسم إيردوسين إبتسامة طفولية و إعترف لها :

- : " عندما أكون وحدي أشرب كثيراً من

الماتيه " .

إبتسمت له بودٍ ، كانت تنحني للأمام تضع ساقاً فوق الأخرى ، و تقبض على كوعها بيدها و هي ترتشف ببطء الماتيه عبر الماصة المطلية بالنيكل ، فقال ثانية :

- : " نعم لقد بلغ بي السيل الزبى ، ولكن كم يداك باردتان ؟ هل هما هكذا دائماً ؟ " .
- : " نعم " .

- : " هل يمكنني أن آخذ يدك ؟ " .

انتصبت واقفة و قدمت يدها نحوه في هيئة ملكية ، أمسك إردوسين بيدها في لطف ثم رفعها إلى شفثيه ، تأملته طويلاً فذاب كل برود عينيها في دفء مفاجيء جلب لون الحياة لخديها ، و فجأة - أيضاً - تذكر السجين المصفد بالسلاسل ، لكن تلك الذكرى لم تطفئ ذلك الإحساس الباهت بالأمل الذي أضاء داخله ، فقال :

- : " إسمعيني .. لو طلبت مني هنا و الآن أن أقتل نفسي . لفعلت .. فأنا سعيدٌ جداً " .

تلاشى الدفء الذي أضاء أعماق عينيها منذ لحظة و قد حلت محله نظرتها الباردة من جديد ، و نظرت إليه باهتمام .

- : " أنا جاد فيما أقول .. أنا سوف ... لا .. من

الأفضل لك أن تطلبي مني أن أقتل نفسي .. قللي لي ألا تظنين أنه من الأفضل لأناس معينين أن يتوقفوا عن الوجود ؟ " .

- : " لا " .

- : " حتى لو كانوا يفعلون أموراً فظيعة ؟ " .

- : " هذه بيد الله " .
- : " إذن المسألة لا تستحق أن نتكلم عنها " .

(*) mate الماتيه مشروب ساخن يعد من أوراق نباتات تشبه الشاي الآسيوي و لكن في أمريكا الجنوبية و أحياناً يسمونه شاي الباراجواي .. (المترجم) .

و مرة أخرى جلسا يحتسيان الماتيه في صمت ، و منحه ذلك الصمت فرصة الإستمتاع بمشهد تلك المرأة حمراء الشعر و التي ترتدي معطفاً من الفراء ، و قد إشتبكت يداها الشفافتان حول ركبة ردائها الحريري الأخضر .

إنفجر غير قادر على كبح جماح فضوله :

- " أحقيقة كنت خادمة ؟ " .

- " نعم .. ما الغريب في ذلك ؟ " .

- " مسألة غريبة " .

- " لماذا ؟ " .

- " الموضوع أنني أحياناً ما أعتقد أنني سوف

أجد ما أفتقده في حياتي عند شخص ما آخر ، و أشعر

أن بعض الناس قد عثروا على سر السعادة ، و لو

أخبرونا بذلك السر فقط ، يمكننا أن نصبح سعداء

أيضاً " .

- " لكن حياتي ليست سرّاً " .

- " ألم تشعرني أبداً كم هي غريبة هذه الحياة

؟ " .

- " نعم بالطبع " .

- " أخبريني عن ذلك " .

- " كان ذلك عندما كنت صغيرة ، عملت

في بيت جميل يطل على ميدان ألفير ، كان هناك ثلاث

أخوات بنات و أربع خادومات ، و كنت أستيظ في

الصباح و أنا لا أصدق - و مازلت - أنني الآنسة

التي تتحرك ذهاباً و جيئة بين كل تلك القطع من

الأثاث الذي لا أملكه و بين أناس لا يتحدثون إلى إلا لإصدار الأوامر ، و أحياناً أشعر أن كل واحدٍ آخر قد رسا جيداً في ميناء وجوده ، في بيوتهم ، لكنني كنت سائبة ، متصلة بالحياة بحيط رفيع فقط ، كنت أسمع أصوات الناس الآخرين في أذني كما لو كان المرء نصف نائم ، و أنت لا تدري أتخلم أنت أم هو واقعٌ . "

- : " لا بد أن ذلك أمرٌ مخزن " .

- : " من المحزن أن ترى الآخرين سعداء و تراهم لا يدركون أنك غير سعيد و سوف تظل كذلك دوماً ، و أذكر مرة حينما كان موعد قيلولتي و ذهابي إلى حجرتي و بدلاً من إصلاح ملابسني أو عمل شيء آخر ، كنت أجلس و أفكر (هل سأبقى خادمة طوال حياتي ؟) و لم يكن العمل هو ما أراه مُرهقاً لكن تلك الخواطر الدائمة المرور بذهني ، هل لاحظت كيف ترفض الأفكار الحزينة الرحيل ؟ " .

- : " نعم ذلك صحيح .. كم كان عمرك حينئذ ؟ " .

- : " ست عشرة " .

- : " و لم تعاشري رجلاً ؟ " .

- : " لا .. لقد كنت غاضبة .. غاضبة من فكرة بقائي خادمة طوال عمري ، و إلتصقُ أمرٌ واحد في ذهني أكثر من أي شيء آخر ، كان واحداً من أبناء هذه الأسرة ، كان قد إرتبط بالزواج و كان كاثوليكياً

متعصباً ، وقد ضبطته يمارس الجنس عدة مرات لإحدى بنات عمه و التي عرفت الآن أنها كانت خطيئته ، و كانت مثيرة جداً ، و كنت أسأل نفسي دائماً . كيف يوفق بين كاثوليكيته و بين أسلوب حياته المثير للإشمزاز هذا ، و توقفت عن التجسس عليه رغماً عن أنفي ، لأنه كان السيد المهذب الكامل معي ، مخالف تماماً لسلوكه معها ، و فيما بعد أدركت ما كنت أتطلع إليه .. لكن بعد فوات الأوان .. لقد بدأت عملي في منزل آخر بالفعل " .

- : " ثم ... " .

- : " كان هاجسي مازال يملكني ، ماذا أريد من الحياة ؟ لم تكن لدي أدنى فكرة ، فكل إنسان حولي كان يعاملني جيداً ، و منذ ذلك الحين و أنا أسمع أن الناس يحتقرون الأغنياء ، لكنني لم أر منهم شراً أبداً ، ذلك ما كانت عليه الأمور بالضبط ، و هم ليسوا مضطرين لأن يكونوا أشرار .. أليس كذلك ؟ كانوا هن البنات و أنا الخادمة " .

- : " و بعد ذلك " .

- : " أتذكر ذلك اليوم بعينه ، كنت راكبة الترام مع إحدى مخدماتي و جلس قبالتنا إثنان من الشباب يتحدثان ، هل لاحظت ، كيف أنه في بعض الأيام تسمع كلمات معينة تدوي في أذنيك كالقنابل .. كما لو كنت عشت أصماً ثم فجأة تسمع الناس يتحدثون حقيقة لأول مرة ؟ ذلك ما حدث . قال أحد

الشابين : " لو أن امرأة ذكية - و ليس مهماً مدي قبحها - قررت بيع نفسها فسوف تصبح ثرية جداً ، و لو احتذرت من الوقوع في حب أي إنسان لأمكنها أن تحكم المدينة كلها . و لو كانت لي أخت فسوف أخبرها بنفس الأمر " .. جمدتني كلماته في مقعدي و قد أفقدتني كل حيائي لدرجة أننا عندما غادرنا الترام شعرت أن تلك الكلمات المصيرية لم يقلها شخص آخر و إنما هو أنا رغم أنني نسيتهم لحظتها . و لعدة أيام بعد ذلك شغلتنني مسألة كيف يبيع المرء نفسه " .
إبتسم إردوسين :

- : " هذا مذهش " .
- : " لقد أنفقت أجر أول شهر في شراء كتب محاولة إكتشاف ذلك . و كان هذا خطأ مني لأن كل هذه الكتب تقريباً كانت كتباً غبية حول الجنس الصريح ، و لم تكن حول كيف يبيع المرء نفسه ، لكن حول حزن المتعة ذاتها . و صدقني أو لا تصدق لم يستطع أحد من أصدقائي أن يشرح لي ما يعني ذلك بدقة " .

- : " إستمري .. فأنا لا يدهشني حب إرجويتا لك .. أنت امرأة غير عادية " .
تورد وجهها بسعادة ،

- : " لا تُبالغ .. فقط لدي إحساس (بالإدراك العام) هذا كل شيء " .

- : " إخباريني بالمزيد .. أيتها المخلوقة اللذيذة "

- : " يالك من طفل صغير ، حسناً إذن .. " .
جذبت هيبوليتا أربطة معطفها عبر صدرها ، و واصلت
الحديث :

- : " كنت أعمل طوال اليوم كالعادة لكن عملي بدت غرابته تتزايد أمامي .. و أعني أنه خلال قيامي بأعمال التنظيف و الترتيب كانت أفكارى ترحل بعيداً أو تُدفن بداخلي في الأعماق ، لدرجة أنني أشعر بها لو كبرت قليلاً عن ذلك لإنفجرت خارجة من جلدي ، لكنني مازلت لا أستطيع حل مشكلتي ، حتى أنني كتبت لإحدى المكتبات أسألهم لو يستطيعون بيع دليل يبين كيف لإمرأة أن تبيع نفسها ، و لم يأتي ردٌ ، ثم قررت ذات يوم أن أستشير محام في ذلك ، فذهبت إلى حي المحكمة و تتبعت لوحات الأسماء لوحة وراء الأخرى إلى أن اهتديت لجونكال أخيراً ، حيث وقفت أمام بناء جميل ، فتحدثت إلى البواب ، فأوصلني إلى مكتب محام مؤهل ، و يمكنني أن أتذكر ذلك كما لو كان حدث بالأمس ، كان رجلاً نحيلاً جاد المظهر يشبه لصاً شريراً لكن تعلوه إبتسامة طفل صغير ، و عندما فكرت في الموضوع لاحقاً أحسست أنه لابد قد عانى كثيراً في حياته ."
أخذت ترتشف الماتيه ، ثم أعادت إليه الإناء ، قائلة :

- : " الجو حار جداً هنا .. أيمكنك فتح الباب ؟
."

فتح إردوسين نصف الباب ، و مازالت الدنيا تمطر ، و
واصلت هي حديثها :

- : " لم أتردد بل قلت له بصراحة : لقد
حضرت لك لأنني أريد أن أعلم كيف لإمرأة أن
تمارس العهر بنفسها ، و قد جلس يحلق في بدهشة ،
و بعد لحظات سألني (لماذا تريدين معرفة ذلك ؟)
فشرحت له أسبابي بهدوء و أنصت باهتمام مقطباً و
متأملاً ما أقوله ، و قال بعد ذلك : (كي تبيع المرأة
جسمها لا بد و أن تؤدي الأعمال الجنسية دون حب و
فقط من أجل المال) فلجبتة : (أتعني أنك إذا بعث
جسمك تستطيع أن تحرر نفسك من تأثيره ... أنك
تستطيع أن تكون حراً " .

- : " هل هذا ما قلته له ؟ " .

- : " نعم " .

- : " شيء رائع " .

- : " ثم ماذا بعد " .

- : " غادرت مكتبه دون أي كلمة وداع كنت
أكثر سعادة عن ذي قبل ، أن تبيع جسدك يا إردوسين
أي أن تحرر نفسك منه ، فتحصل على ذهنك حراً و
إرادتك حرة لتحقيق كل ما رغبت فيه ، و شعرت
بسعادة بالغة لدرجة أنني عندما يأتيني شاب جميل
الملامح ليطلبني أذهب معه .. " .

- : " ثم ماذا بعد ؟ " .
- : " حدثت مثل هذه المفاجأة .. ذات مرة ذلك الرجل ... الذي أخبرتك تَوّاً أنه شابٌ حسن المظهر .. ذاته وصل لدرجة الارتواء فسقط منهاراً كالشور خائر القوى ، فظننت للوهلة الأولى أن قد أصابه مرضٌ ما فأنا لم أتخيل حدوث شيءٍ مثل هذا ، لكن بمجرد أن شرح لي أن ذلك وضع طبيعي في الرجال ، لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك ، هكذا إذن الرجال الذين يبدوون أقوياء كالثيران .. حسناً !! هل تذكر قصة اللص في الغرفة المملوءة ذهباً ؟ عند هذه اللحظة . أنا الخادمة كنت اللص في تلك الغرفة ، فأدركت أن العالم ملكي فيما بعد ، قبل أن أصبح عاهرة حقيقية ، قررت أن أقوم بدراسة كل شيء عن ذلك ، نعم لا تبدُ مندهشاً إلى هذا الحد ، وقرأت كل ما وصلت إليه يداي و من كل الروايات التي قرأتها وصلت لنتيجة مؤداها أن الرجال يعتقدون أن النساء المتعلمات يمتلكن قوى حب غير عادية .. و لا أدري إذا ما كنت أقول كلاماً معقولاً .. ما أقصده أن الثقافة ببساطة كانت تجميلاً يزيد من قيمة السلعة المعروضة للبيع " .
- : " هل إستمتعت يوماً بأن تكوني مملوكة ؟ " .
- : " لا .. لكن دعني أعود لما كنت أقوله .. لقد قرأت كل شيء " .

شعر إردوسين بموجة من التعاطف بسبب توجهها غير المتوافق ، و قال بنعومة :

- : " هل يمكنك أن تعطيني يدك ؟ " .

فمدت يدها بصورة جادة ، فتناولها برقة و رفعها إلى شفثيه ، حدقت فيه بصمت لكن ريمو تذكر فجأة السجين المصنف بالأغلال ، الذي لا بد و أنه متيقظ الآن في الحظائر ، و لم تستطع تلك الصورة أن تزيل تلك اللذة الرقيقة التي تسري في إحساسه ، و قال :

- : " أنظري .. لو أنك .. لو أنك ستطلبين مني أن أقتل نفسي هنا و الآن ، سوف أنفذه بكل سرور " .

تطلعت فيه عبر رموشها الحمراء . فأكمل :

- : " أنا جاد ... غداً ... اليوم أفضل ، أطلبي مني أن أقتل نفسي .. قللي لي .. ألا تعتقدين أنه من الأفضل لو أن أناساً معينين يجب أن يتوقف وجودهم ؟ " .

- : " لا ... هذا ليس صحيحاً " .

- : " حتى لو أصبحوا مجرمين ؟ " .

- : " من يمكنه أن يدين إنساناً آخر ؟ " .

- : " إذن ليس هناك مجال للمزيد من الكلام " .

أخذ يشرب الماتيه في صمت كما كان قبلاً ، و رأى فجأة كم تبدو أشياء كثيرة جميلة ، فتأملها قائلاً :

- : " يالك من مخلوقة فوق العادية " .

إبتسمت في سعادة ، و إبتهجت روحه :

- : " هل أصنع المزيد منه ؟ " .

- : " نعم " .

و نظرت إليه هيبوليتا بعين فاحصة :

- : " من أين حصلت على روحك هذه ؟ " .

أوشك أن يجيئها بكل ما عاناه ، لكن منعه إحساس ما بالعار ، و بدلاً من ذلك قال :

- : " أنا لا أعرف .. لقد فكرت دائماً في النقاء

.. لقد وددت أن أكون رجلاً نقياً " ..

ثم مضيفاً لتأكيد كلامه :

- : " لقد شعرت كثيراً بالحزن لأنني لم أصبح

كذلك . لماذا ؟ " . ليست لدي أدنى فكرة ،

أتصورين رجلاً روحه بلا خطايا يقع في الحب للمرة

الأولى ؟ و أن يكون كل إنسان آخر كذلك ؟ و هل

تتخيلين مدى عظمة الحب بين رجل طاهر و امرأة

نقية ؟ قبل أن يمنح كل منهما نفسه للآخر ، ربما

يقتلان نفسيهما . أو قد تمنح نفسها له ثم يقوم

الإثنان بالانتحار ، و هما يعرفان ألا جدوى من الحياة

دون أمل " .

- : " لكن ذلك مستحيل " .

- : " و رغم ذلك فهو يحدث ، ألم ترين كم

من أصحاب المتاجر و النسوة الخيَّاطات يقدّمون على

الانتحار معاً ؟ و هم في حب متبادل ، لكنهم لا

يستطيعون الزواج .. فيذهبون إلى فندق ... فتهب
نفسها له ثم يقتلان نفسيهما " .

- : " نعم . لكنهم يفعلون ذلك دون أن
يدركوا ما يفعلون " .

- : " ربما " .

- : " أين أكلت ليلة أمس ؟ " .

أخبرها إردوسين ما حدث مع أسرة إسبيللا ، شارحاً كيف
إنحدرت تلك الأسرة إلى هوة الفقر المدقع :

- : " لماذا لا يعملون ؟ " .

- : " كيف يفترض بهم ذلك ، أنهم كانوا

دائماً في حالة بحث عن عمل ، لكن لا يوجد ، وهذا

أسوأ ما في الموضوع ، يبدو لي أن البؤس قد دمر

إرادتهم للحياة ... فيوستاكيو مثلاً - وهو الأصم -

يمتلك موهبة عظيمة في الرياضيات ويستطيع أداء أدق

العمليات الحسابية لكنها لا تفيد ، وهو يحفظ قصة

دون كيشوته عن ظهر قلب ، رغم وجود شيء غير

طبيعي فيه ، و سأضرب لك مثلاً واحداً ، عندما كان

في السادسة عشر من عمره ، أرسلوه ليشتري بعضاً

من شاي الماتيه ، و بدلاً من أن يذهب لحل البقالة

ذهب إلى الكيمائي ، و بعد جلد كثير قال أن ذلك

بسبب إعتبار الماتيه عشباً طيباً ، و قد درسه في علم

النباتات " .

- : " أتعني أن ليس لديه الإحساس العام " .

- : " نعم حقاً ، و هو مقامر خطير كذلك و لديه قدرة أن يذهب لحل لغز دون تناول عشاءه ، و حالما يمتلك بضعة سنتات يذهب للمحل و يُموّن نفسه ببعض الكعكات " .
- : " إنه يبدو غريباً ! " .
- : " أما إميليو فهو إنسان جيد ، و مقتنع - كما أخبرني بنفسه - أن إفتقارهم الغريب للإرادة يعود لأسباب وراثية و أن ذلك التفكير يهيمن على حياته ، فهو يتحرك ببطء كالسلحفاة ، بل يستغرق ساعتين ليرتدي ثيابه ، كما لو أن كل شيء يفعله يؤدي به إلى حالة من عدم الحسم " .
- : " و ماذا عن الأختين ؟ " .
- : " هاتان المسكيتتان تفعلان ما بوسعهما ، فهما تحيكان الملابس و واحدة منهما ترعى طفل صديقتها المصاب بإستسقاء الرأس ، فرأسه متورمة كالبطيخة " .
- : " ياله من أمر مفزع ! " .
- : " مالم أفهمه هو كيف قبلوا كل تلك الأمور ، و هذا هو سبب إصراري على فتح باب الأمل أمامهم بعدما رأيتهم في مأواهم الحقير ، و حيث أنني متحدث لبّق نجحت في إقناعهم ، و هم الآن متحمسون جميعاً بشأن وردتي النحاسية " .
- : " ما هذه ؟ " .

و شرح مهاراته كمخترع ، فكل شيء حدث بعد زواجه ،
عندما حلم ذات ليلة أنه يكتشف شيئاً سوف يجعله ثرياً ، و
ملأت مخيلته الليل كله بآلات غريبة ، و كتل ضخمة من
الماكينات تدور على تروسها المشحمة " .

- : " إذن أنت مخترع ؟ " .

- : " لا .. ليس بعد الآن . لكن ذلك كان شيئاً هاماً
بالنسبة لي ، و قد إعتدت أن أكون جائعاً ، و جائعاً جداً
للقود .. ربما كنت مجنوناً ، بطريقة لم أعد بها كذلك .. و
عندما ذكرت الوردة النحاسية لآل إسبيلا لم يكن ذلك بسبب
النقود التي كان من المحتمل كسبها ، لكن بسبب أنني إحتجت
أن أمنحهم أملاً ما ، و أردت أن أرى بعيني رأسي هاتين
الفتاتين و كيف تحلمان برداء من الحرير ، و بأصدقاء مهندمين
من الرجال ، و بسيارة عند باب منزل قد لا يملكونه أبداً ، و
الآن أنا إقتنعت بأنهم قد آمنوا بكل كلمة قلتها " .

- : " هل عشت دوماً بتلك الطريقة ؟ " .

- : " لا .. أحياناً فقط ، ألم تشعري أبداً بدافع يحضك
على فعل الخير ؟ ، أنا يمكنني أن أتذكر تلك اللحظة ، و
أخبرك بهذا لأنك سألتني ما نوع الروح التي بين جواني ،
فأنا أتذكر الآن ، كان ذلك منذ عام مضى ، و كانت الساعة
الثانية صباحاً يوم السبت ، كنت أشعر بالحزن و ذهبت إلى
ماخور ، و كان الصالون يمتليء بالناس كل بانتظار دوره ، و
فجأة إنفتح باب غرفة النوم و ظهرت منه فتاة ، .. تخيلها فقط
.. بوجه مستدير في السادسة عشر من عمرها و عيني
زرقاوين لامعتين و إبتسامة فتاة طالبة بالمدرسة ، ترتدي

فستاناً اخضر ، و طويلاً بما فيه الكفاية ، لكن وجهها وجه طالبه ، نظرت حولها لكن بعد فوات الآوان ، إذ نهض زنجي بشع بشفتين فحميتين ، فنظرت إلى باقي الموجودين نظرة تمتليء بالوعد ، عادت حزينه للداخل و مشرفتها تنظر لها شذراً " .

توقف إردوسين للحظة ثم بصوت أكثر وضوحاً و بطئاً قال :

- : " و الإنتظار في ماحور مثل هذا يملؤك بالخلج و العار صديقي ، ليس هناك ما يجعلك حزينه أكثر من أن يكون المرء هناك ، مُحاطاً بوجوه شاحبة تحاول إخفاء شهوتها المفزعة خلف إبتسامات زائفة متسللة ، و هناك أمر أكثر إهانة لكن من الصعب تحديده ، كما أن الوقت يندفع عبر إذنيك ، و أنت لا تستطيع أن تتجنب سماع صوت قرقة السرير داخل الغرفة ثم يُخيم الصمت ، و فيما بعد يأتيك صوت الإستحمام ، و لكن قبل أن يتمكن شخص آخر من الجلوس في مقعد الرجل الأسود ، قمت أنا و جلست عليه ، و إنتظرت و قلبي يدق و عندما ظهرت الفتاة عند ممشى الباب نهضت في الحال " .

- : " هكذا هو الحال .. واحد وراء الآخر " .
- : " نهضت ثم دخلت الغرفة ، و أغلق الباب خلفي و تركت النقود على حامل الغسل ، و لكن عندما بدأت الفتاة تفك رباط فستانها أمسكت يدها قائلاً (لا أنا لم آت هنا لأفعل ذلك) " .

إكتسب صوت إردوسين نيرة دافئة :

- : " حدثت في و كان واضحاً أنها ظنت أنني واحد من الشواذ ، لكنني نظرت إليها و الشفقة في عيني ، صدقيني و قلت لها (لقد جئت هنا لأنني أشعر بالأسف من أجلك) و عند هذه اللحظة أصبحنا جالسين بالقرب من " تسريحة " عليها مرآة مذهبة ، و كانت تتفحص وجهي ، كم أتذكر ! كما لو كان ذلك يحدث الآن ، قلت لها (نعم أشعر بالأسف لك ، و أعلم إنك لابد و أن تكتسبي ألفين أو ثلاثة آلاف بيزوس في الشهر ، و أن هناك العديد من الأسرات التي ستسعد لو عاشت على ما تنفقينه فقط على أحذيتك ، أعلم ذلك ، لكنني شعرت بالشفقة عليك و شديد الأسف ، عندما رأيت كيف تقومين بتدمير كل ما هو خير داخلك) ، تأملتني في صمت لكن لم تكن تصدر مني اية رائحة للخمر أبداً (لذا فكرت بمجرد دخول الرجل الأسود أنني يجب أن أترك لك شيئاً لطيفاً ، و ألطف الأشياء التي يمكنني أن أتركها لك هو أن آتي إليك و لا أملك كما تتذكري ملاحني) ، و بينما كنت اتكلم سقط فستان الفتاة مفتوحاً كاشفاً ثدييها و ما فوق ركبتيها ، و فجأة رأت كل ما حدث في المرأة ، فمدت طرف فستانها بسرعة من عند ركبتيها لتغطي صدرها . و قد أثرت ملاحظها في كثيراً .. كانت تنظر إلي دون كلام ، و الله وحده يعلم ما كانت تفكر فيه .. عندئذ دفعت المشرفة الباب

و نظرت إلي في يأس ثم عادت لتتطلع إلي و حملت في وجهي للحظة و نهضت فأخذت الخمسة بيزوس و حاولت إعادتها إلي جيبي ثانية ثم قالت : (لا تعد هنا مرة أخرى و إلا سوف أجعل البواب يلقيك للشارع) ، كلانا كان واقفاً و كنت أوشك على الخروج من الباب الخلفي ، حينما شعرت بها تضع يديها حول عنقي مشدقة في وجهي و قبلتني في فمي .. كيف يمكنني وصف تلك القبله ؟ و سحبت يدها عبر جبتي ، و بينما أخطو خارج الباب صاحت : (إلى اللقاء أيها الرجل طيب القلب) " .

- : " و لم تعد هناك ثانية ؟ " .

- : " لا .. لكنني متأكد أنها (لوسيين) لن

تساني ، و سوف تنتهي في تلك المواخير الحقيرة ، و تتحول إلى وحش لكنني سأكون سأكو معها تماماً كما كنت أمل ، كذكرى من أثنى الذكريات في حياتها " .

كان المطر يلق على أعمدة الأبواب و على بلاطات الساحة ، و إردوسين يرتشف شايه في بطة .

نهضت هيبوليتا و ذهبت نحو الباب و وقفت تنظر للفناء المظلم ثم عادت إليه و هي تقول :

- : " أنت رجل غريب .. هل تعرف ذلك ؟

" .

تردد هو للحظة ثم :

- : " سأكون أميناً معك .. أنا لا أعرف ما

ستكون عليه حياتي .. و لكن صدقيني ليس في قدرتي

أن أكون رجلاً صالحاً .. فقوى الظلام تشدني بعيداً ،
و تسحبني لأسفل " .

- : " و ماذا الآن ؟ " .

- : " الآن أحاول إجراء تجربة ، لقد قابلت
إنساناً عبقرياً يؤمن بشدة أن الأكاذيب هي أسس
سعادة الإنسان ، و قررت أن ألقى مالى و مابى معه "

- : " و هل سيجعلك ذلك سعيداً ؟ " .

- : " لا .. إذ من مدة طويلة - الآن - شعرت

بأنى لا يمكن أن أكون سعيداً مرة أخرى أبداً " .

- : " و لكن ألا تؤمن بالحب ؟ " .

- : " حتى ذلك لا تذكره ألامى " .

فجأة أدرك ماذا كان الهدف من كل محاولاته في الشرح فقال :

- : " ماذا سوف تظنين في لو علمت غداً أو

يوماً ما أننى قتلت إنساناً ؟ " .

جلست هييبوليتا ثانية و قد أسندت رأسها على الأريكة

للخلف ، و نظرت إليه ببطء ، و إنتشرت نظرتها الباردة

تلك مرة أخرى من خلف رموشها الحمراء و قالت :

- : " أظنك كنت انساناً شديد التعاسة " .

نهض من مقعده و أطفأ الموقد و وضع شاي الماتيه و

الأكواب في درج الخزانة ، هنا قالت هييبوليتا :

- : " تعال هنا .. أرقد عند قدمي " .

فشعر بلذّة هائلة تسري داخله ، و جلس على السجادة مستنداً على رجلها و ترك رأسه يسقط في حجرها ، و أغلقت هيوليتا عينيها .

شعر بالروعة و قد تكوم في حجرها ، و يشعر بدفع جسدها يصل خديه عبر ثوبها ، و بدا كل شيء طبيعي أمامه ، تماماً كما تمنى بالضبط دائماً ، و أصبحت الحياة كالسينما ، و لم يطرأ على ذهنه أبداً أن هيوليتا و هي تجلس جامدة على الأريكة كانت تفكر في كم هو عاطفي و ضعيف ... في فترات سكون حركة الساعة ، تركت دقائقها قطرات صوت تنسال كالماء على صمت الغرفة الجوفاء ، قالت هيوليتا لنفسها : " سوف يقضي حياته كلها يئن و يتألم ، فما نفع مثل ذلك الرجل لي ؟ ربما أحتفظ به ، و أنا أراهن أن وردته النحاسية هي مجرد نفاية ، فمن هي المرأة التي سترغب في وضع حلى معدنية ثقيلة على قبعتها ، خاصة إذا ما تحول لونها للأسود ؟ ذلك هو حال كل الرجال ، الضعاف منهم أذكىء لكن غير مفيدٍ . و الآخرون أشرار ، شيء مُميل ، لم أجد أبداً أمروءاً قادراً عليّ إخراس كل الأفواه الأخرى أو على أن يصبح ديكتاتورا ، أنهم يدفعوني للشعور بالغثيان " .

ظلت تُفكر بذلك الأسلوب بصورة مُتزايدة و الواقع يُمزق أشباح خيالها اللامعة الألوان إلى شظايا .. إستطاعت أن تُحدد بهم بوضوح ، ذلك الرجل الأشبه بالدمية الجامدة الرثة ، و المتعطر ، مُتجهماً و هو ذاهب لعمله ، فخوراً بنفسه لكونه حاداً و صامتاً يُخفي داخله معتوهاً شهوانياً ، و ذلك المُهذب الصغير دائماً هو عطوف و حكيم و حساس لكنه كان عبداً

لُعْظَم الحركات الشاذة المُخْزِية و ذلك الآخر القوي كالشور و العنيف كالشاحنة الثقيلة ، كان مُرتبكاً كالتلميذ ... هكذا كُلْهَم اصطفوا ليمرّوا بخيالها ، كُلْهَم موصولون بنفس الرغبة التي لا ترتوى ، و كُلْهَم يتركون رؤوسهم المتعبة في لحظة أو أخرى تستلقي على ركبته العارية ، و طوال الوقت تتحمل أيديهم المرتبكة و طوفان رغباتهم التي تؤدي بهم إلى تصلب تلك الدُمى الحزينة ، و قد رأت الحياة تُمثل السير عطشاناً وسط صحراء قاحلة .

هكذا كانت الحياة ، فالناس يُحركهم الجوع و الشهوة و النقود ، هكذا هي الحياة .

بل أنها - في يأسها - توصلت لإعتقادها أن الرجل الوحيد الذي أثار إهتمامها كان الصيدلي ، على الأقل كان قادراً في بعض اللحظات القليلة على التسامي فوق رغبات الجسد الملحة ، لكن بريق المقامرة حطم آلياته ، و الآن يرقد مُحطماً تتناثر شظائيه أكثر من أي دمية أخرى .

يالها من حياة تلك التي عاشتها ! ففي شبابها عندما كانت فتاة صغيرة مشردة ، عرفت أنها لن تملك أبداً نقوداً و لا منزلاً يمتليء بالأثاث الجميل ، و لا أطقم أطباق الصيني البارقة ، و ذلك الحال هو ما جعلها حزينة كما هي الآن ، و هي تعلم أن لا أحد من الرجال المحتمل أن تقوم بإغرائهم يحمل طموح أن يكون ديكتاتوراً أو غازٍ لأراضٍ جديدة .

حياة داخلية



ترى ما الأحلام التي راودتها ؟

حلمت ذات يوم بلقاء حميمي و حسي مع رجل ربما يكون حديثه عن الغابات و يحتفظ في بيته بأسد أليف ، و قد يكون مُحِباً لا يتعب ، و ستعبده مثل عبد مع سيده ، و ستجد متعة في حلاقة شعر إبطه ، أو طلاء ثدييها ، متكرة كصبي ، و قد تصحبه إلى الأطلال حيث تكمن المخلوقات متعددة الأقدام ، و إلى أماكن تبنى فيها القبائل السوداء أكواخها بفروع الأشجار ، لكنها لم تجد ابداً أسودها ، إنما قابلت كلاباً تمتلئ بالبراغيث فقط ، و أكثر الرجال مغامرة ممن قابلتهم كانوا أبطالاً على طاولة البار أو زهاداً ينتابهم القلق بشأن وجبتهم التالية ، و قد هجرت حياتهم الرثة و هي تشعر بالغثيان و بمرور الوقت ، ظهر أن قليلاً من الناس ممن قابلت و يمكن أن يمثلوا شخصيات داخل رواية ، ظهر أنهم أقل تشويقاً مما تخيلت ، و تحديداً لأن ما أبرزهم في الرواية هو تلك السمات الثورية التي جعلتهم غير مُحتملين في الحياة الواقعية و مع ذلك أسلمت نفسها لهم ، و ما أن يرتووا يُغادرونها على الفور كما لو كانوا يجفلون أن ترى ضعفهم . و منذ ذلك الحين فصاعداً غرقت في الفضلات العقيمة لحياتها كأنها تجول عبر صحراء مألوفة من الرمال . و كان مستحيلاً أن تُغير أرواح الرجال ، إستحالة تحويل الرصاص إلى ذهب . كم من الوقت تداعت عارية بين ذراعي غريب و همست له (ألا تحب الذهاب لأفريقيا ؟) عندئذ قد يقفز الرجل كما لو

كان ينام بجوار حية ذات أجراس ، فأنهت هيبوليتا احساسها بأن هذه الأجسام بعضلاتها و بُنيته العظمية الرائعة كانت حقيقة أضعف من طفل صغير ، و أكثر رعباً من أطفال تحبو في الغابة .

و قد إحتقرت النساء - في نفس الوقت - إذ رأت أنهم في كل مكان يتمددن أسفل عواطف الرجل ثم يتهادين عارضات بطونهن المنتفخة القبيحة ، و بدا عليهن انهن وُلِدْنَ للألم . أنهن سلالة من الناس المُجهدة ، أشباح تسير نائمة و قد سعدن من بطن الأرض في نعاس حملهن مثل وحوش ضخمة تتحرك ببطء من عصور ما قبل التاريخ ، و أن تراهن يتأقلن في القيود التي سحقت أرواحهن المتألمة ، و دت هيبوليتا لو تعيش في عالم أقل كثافة من عالمنا ، عالم خفيف كالفقاعة يتحدى الجاذبية ، و تخيلت كم ستكون سعيدة إذا إستطاعت أن تتقافز عبر كل منافذ العالم الذي تغير ليلاءم رغبتها ، لو إستطاعت أن تحول كل يوم يمر إلى لعبة تعوضها عن كل تلك الأيام التي لم تلعب فيها عند طفولتها .

عندما كانت صغيرة ، كل ما حولها كان ينكر وجودها ، لقد تذكرت ذلك و هي طفلة ، حين كان واحد من أحب أحلامها فقط أن تحصل على ورق حائط لغرفتها فتكون سعيدة .

كانت ترى في المتاجر لفائف ورق الحائط التي بدت - لحياها الفقير - كضمان للسعادة التي يلمسها كل شخص يحيط نفسه بها ، أن أوراق الحائط أشبه بإستحضار الغابة المسحورة إلى أحد المنازل ، غابة بحلقات ورودها الزرقاء

الخيالية على أرضية ذهبية ، ذلك الحلم ذو السبع سنوات عمراً كان في كل جزء منه متكثفاً كالوهم عندما كانت خادمة . أشبه مجلمها في إمتلاك رولز رويس و السعادة الناجمة عن ذلك و لم يكن فرش مقاعدها الجلدي الوثير بأثن من لفائف أوراق الحائط - المستحيلة - سعرها المساوي لستين سنتاً للفاقة في خيلتها . جال ذهنها في أزمان سابقة ، جالسة و رأس إردوسين في حجرها ، فتذكرت ساعات بعد الظهر من أيام الأحاد عندما إنقلبت السماء فجأة إلى عاصفة و دفعة من الرياح الباردة تلجئ الأسرة للإنتلاق من الحديقة إلى حجرة الإستقبال ، و يضرب المطر (شيش) النوافذ و هي تبحث عن ملجأ في المطبخ النظيف اللامع ، تصل إليها أصوات الزوار من الغرفات البعيدة و النسوة يثرثرن ، أما الفتيات الصغيرات فيقلبن صفحات المجلات متوقفات قليلاً ليلقين نظرة على صور حفلات الزواج بالجمتمع أو يقمن بالعزف على البيانو .

جلست لحظة عند طاولتها تلوى طرف مريلتها بين أصابعها ، و هي تنحنى للأمام لالتقاط بعض الأصوات ، التي دائماً ما تبدو حزينة حتى لو كانوا يتكلمون عن موضوعات سارة ، لقد شعرت بالعزلة كالمصاب بالجدام المحروم من السعادة ، و جلبت لها موسيقى البيانو صوراً و خيالات من عوالم مختلفة ، فنادق جبلية حيث لن تكون هي العروس الجديدة أبداً - تلك التي تهبط و ممسكة بذراع زوجها الأنيق ذاهبين للعشاء ، و المكان بلامح تصميمه الصيني الدافئة و الطيور تغرد خارج نوافذه التي تأخذ بصرك إلى شلال رائع .

جلست و ساقها متقاطعتين ، تلوى طرف مريلتها بين أصابعها و رأسها يطأطأ و هي تنصت .

إنها لن تحصل على زوج مثل مارسيلو في الرواية الشعبية ، و لن تفرد شالها فوق حمالات اليد القرمزية في لوج الأوبرا ، بينما تبرق الماسات في أذني الدوقة ، و آلات الكمان تحتك بها أقواسها في رقة في مقصورة الأوركسترا ، و لن تكون أبداً واحدة من هاتيك السيدات الصغيرات المتزوجات اللاتي إعتادت خدمتهن ، نسوة يُدللهن أزواجهن و الحمل يُضخم معداتهم المتألمة ، و تسلل الحزن داخل هيبوليتا كما يتسلل الظلام عبر الغسق .

- : " أن يكون المرء خادماً .. دائماً خادماً ! " .

عند هذه النقطة تحول ألمها إلى غضب ، و شعرت بحاجبها يثقل ، و إنغلقت رموشها الحمراء في إستسلام .

حلقت بها أصوات البيانو من حجرة الجلوس إلى عالم الحلم عبر سلسلة من البلدان ، تخيلت هيبوليتا أن تعليم الفتيات الصغيرات يجعل عقولهن أكثر جمالاً و ترغيباً لدى خُطابهن ، و أضحى رأسها ثقيلاً و كأن جمجمتها تحول عظامها إلى خوذة من الرصاص .

بدا كل شيء حولها من الأوعية للموقد لأرفف المطبخ النظيف لمرايات الحمام و حتى مظلات المصابيح الحمراء غالية الثمن لدرجة أنها لن تكون قادرة على توفير مثلها ، كل شيء من المفارش إلى السجاد إلى دراجات الأطفال تواجدت كيما تجلب السعادة لأناس جُبلوا من طينة أخرى .

بل أنها فكرت حتى في ملابس الفتيات و المواد اللطيفة التي يزين بها أجسادهن الثمينة مع شرائطهن و أربطتهن التي لا بد و أنها مختلفة تماماً عما يمكنها شراؤه بنفس الثمن !! و أدى بها ذلك الشعور بالحياة لفترة قصيرة مع أناس يسكنون عالماً منفصلاً عن عالمها إلى الضياع إلى حد كان اليأس فيه واضحاً و ممتداً كبقعة كبيرة على وجهها .

ماذا يمكن أن تكون هي عدا خادمة .. دائماً خادمة ... و أخذ رفض مبهم يتشكل في قلبها تدريجاً ، إستجابة للشبح الخفي الذي كان يشعلها غضباً ، و أصبحت حياتها مقاومة طويلة المدى للحياة المنزلية ، و لم تعرف كيف ستهرب من تلك السلسلة من التعاسة ، لكنها لم تفشل أبداً في إعلام نفسها أن هذه المرحلة ستمضي ، حتى و هي لا تملك أدنى فكرة عما ستصل إليه ، فقضت أياماً تلاحظ الأساليب التي تتصرف وفقها الفتيات بالمنزل ، بل و درست طرق حركات رؤوسهن و كيف يقلن إلى اللقاء للإصدقاء عند الباب و فيما بعد و أمام مرآتها تقوم بتقليد ما تتذكره من حركاتهن ، و لساعات قليلة و قصيرة تترك تلك المحاولات في حجرتها الوحيدة الضيقة على شفيتها و عقلها إحساساً بأنها واحدة منهن في إحساسها بكونها ذات قيمة مثلهن، حتى أنها رفضت طريقته الخاصة الفوضوية في الوجود و كأنها خرجت منها و الآن تستأنف شخصيتها الحقيقية كسيدة صغيرة مثقفة .

هكذا و لمدة ساعات قليلة من حياتها التي إعتادت فيها النعومة الرقيقة النفاذة للكريمة المختلطة برائحة الفانيليا ، شعرت أيضاً بالأصوات المنغمة لإجابات " نعم " و " لا "

في حلقتها لدرجة أنها تخيّلت نفسها تحب إحدى رفيقاتها المبهجات و التي ترتدي فراء ثعلب حول عنقها .

إمتلأت حجرتها كخادمة بأشباح وهميين و كانت تستقبل أصدقاء لها و هي جالسة على مقعد مخطط بجلد تمساح ، جئن لإلقاء كلمة الوداع لها قبل رحلة لباريس بفرنسا ، و تتحدث عن أصدقاء من الأولاد بلا نهاية (إن أمهما لن تسمح لها بقضاء أجازتها الصيفية مع [فلان] لأنهما قد يقعا في الـ و تلك الشائعة التي تدور حولها بإلحاح شديد أو ترى نفسها تعبر المحيط الذي كان مستوياً و هادئاً مثل بحيرات باليرمو ، جالسة في مقعدها الخيزراني مثل أولئك الذين شاهدتهم في صور عابرات المحيط الضخمة ، بينما هي في الواقع كانت تعبر الشارع لشراء مواد البقالة من السوق ، و سوف تجلس و آلة تصوير كوداك قابعة في حجرها و شاب سوف يقترب منها ممسكاً بكابه في يده فينحني و يتحدث خجلاً إليها . إمتلأت روحها (الخادمة) بالسعادة ، و ظنت أنه شيء رائع لو كانت ثرية بهذا القدر ، إذن لكانت أعمالها الخيرية بلا حدود ، و تصورت نفسها في مساء شتوى مظلم تهرع بطول الشوارع البائسة ملتفة بمعطفها ذي الفراء السنجابي ، لتقابل فتاة يتيمة ، أو ابنة رجل أعمى فقير ، فتساعد في تربيتها ، و تتبناها كإبنتها حتى تخرج للمجتمع لاحقاً ، شابة جميلة مشرقة ، و كتفاها العاريتان تبرزان من ثوب حريري شفاف مذهل ، في حين ترى عبر جبهتها الصافية خصلة من الشعر الذهبي تطل على الإنحناء الرقيقة القريبة من عينيها اللوزيتين .. هنا فقط صاح بها صوت :

- : " هيوليتا .. قدمي الشاي . ممكن ؟ " .

جرمة



رفع إردوسين رأسه فجأة ، و هيبوليتا تقول له كما لو كانت تفكر فيه :

- : " أنت أيضاً .. كنت تعيشاً أيضاً .. أليس كذلك ؟ " .

فأخذ يديها الباردتين و حكمهما في شفتيه و واصلت حديثها ببطء :

- : " أحياناً ما تبدو الحياة مثل حلم سيء ، و الآن أشعر بأنني ملكك ، و يأتي إنكسار القلب منذ الأوقات البعيدة كالطوفان العائد ، ففي كل مكان توجد معاناة دائماً " .
ثم قالت :

- : " ماذا يجب علينا كي لا نعاني ؟ " .
- : " المشكلة أننا نحمل ذلك داخلنا حيثما حللنا ، و لقد اعتدت التفكير فيه على أنه بالخارج يسبح في الفضاء .. لكن ذلك كان أمراً سخيلاً ، و الحقيقة هي أن الشقاء موجود بداخلنا " .

غرقا في الصمت ، و هيبوليتا تربت على شعره ، و فجأة أخذت يدها من فوق رأسه ، ثم شعر بأنها ضغطت يدها على شفتيه ، فنهض ثم جلس بجوارها مغمغماً :

- : " قل لي ، ماذا فعلت لك حتى تجعليني سعيداً إلى هذا الحد ؟ ألا ترين أنك جلبت الجنة إلى

متناول يدي ؟ لقد كنت أشعر بأنني في غاية السوء
من قبل .. " .

- : " ألم يحبك أحد من قبل أبداً ؟ " .

- : " لا أعلم . لكنني لم أر أبداً العاطفة

الحياشة للحب ، كان عمري عشرين سنة عندما

تزوجت ، و آمنت به كروحانية نقية " .

ثم تردد للحظة ، لكنه نهض و أطفأ المصباح و جلس
على الأريكة بجوار هيبوليتا قائلاً :

- : " ربما كنت أحمقاً قبل أن نتزوج ، أني حتى

لم أقبل زوجتي ، و لم أجد دافعاً لأفعل هذا لأنني

أخطأت فهم برود مشاعرهما تجاه النقاء بسبب إعتقادي

أن المرء يجب ألا يُقبل شابة رقيقة صغيرة " .

إبتسمت هيبوليتا في الظلام ، لكنه الآن يجلس فوق حافة

الأريكة ، ينغرس كوعاه في ركبتيه ، ممسكاً ذقنه بيديه ، و لمع

ضوء بنفسجي أضواء الغرفة ساجماً .

فواصل كلامه :

- : " بالنسبة لي تكون المرأة الشابة حسنة

التربية هي التعبير الحقيقي للنقاء ، و كذلك .. لا

تضحكي ... كنت خجولاً .. فليلة زواجنا عندما

خلعت ملابسها بشكلٍ طبيعي تماماً و النور مضاء ،

حوّلت وجهي بعيداً يغمرنني الإحراج و صعدت

السريّر مرتدياً بنطالي .

إرتعش صوت هيبوليتا مستنكراً :

- : " هل فعلت ذلك ؟ " .

فبدأ إردوسين يضحك مهتاجاً :
- : " ولما لا ؟ " .

و أخذ يحك يديه و يرمقها من زاوية عينه ..
- : " لقد فعلت ذلك و ما هو أسوأ أكثر ، و لا داعي لذكر ما سوف أفعله ، و زوجك إعتاد أن يقول (إن الوقت قد حان) و أظنه كان على حق ، و بالطبع إن الأمور التي ذكرتها كانت من فترة بعيدة من حياتي عندما كنت أتصرف كالأبله ، و أقول لك ذلك حتى تتأكدي أنني لو نمت معك فلن أحتفظ ببنطالي عالقاً " .

أصبحت هيبوليتا قلقة ، و ظل إردوسين يرمقها من ركن إحدى عينيه حاكاً يديه طوال الوقت ، فقالت بحذر :

- : " لا بد إنك كنت مريضاً ، مثلي عندما كنت خادمة ، أنت لم تكن في مكانك الصحيح " .

- : " هذا صحيح .. ليس في مكاني الصحيح ، بالضبط ، حتى أنني أذكر عندما كان الناس ينادوني بإسم (الأبله) " .

- : " أنت أيضاً ؟ " .

- : " نعم .. في وجهي .. كنت أقف هناك مُحملقاً فيمن يُهينني ، و بينما تأخذ عضلاتي في الإسترخاء و تشملني البلادة ، سألت نفسي ما الذي فعلته - في أي وقت طوال حياتي - كي أسمح لنفسي بتحمل هذا المدى من الإذلال و الجبن ، لقد عانيت كثيراً جداً لدرجة فكرت معها أن أقدم نفسي لبيوت الأثرياء لأعمل خادماً ... كيف يمكنني أن أتحمل المزيد

من اللذ ؟ لذا شعرت بالرعب .. رعب مخيف من
أنني لا أحمل هدفاً نبيلاً لحياتي ، و لا حلمًا كبيراً ،
لكن ها أنا ذا أجد واحداً في النهاية ... لقد أصدرت
حكماً بالإعدام على أحد الرجال ... لا .. لا تقومي ...
فغداً - ولأنني لا أفعل شيئاً لإيقاف الأمر - سوف
يُقتل رجلاً ما .. " .

- : " لكن هذا ليس ممكناً ! " .

- : " نعم .. الأمر كذلك ، فالرجل الذي يؤمن
بالأكاذيب ، ذلك الذي ذكرته لك سابقاً ، إحتاج
للنقود لتمويل خطته ، و سوف يحدث ذلك لأنني أنا
أحتاجها كذلك ، و غداً سوف يعطيني شيكاً لأقوم
بصرفه ، و عندما أفعل ذلك سيموت الرجل الذي
حكمننا عليه " .

- : " غير ممكن ! " .

- : " بل .. ممكن و الأكثر أنني إذا لم أعد لهم
فلن يقتلوه فبدون النقود تصبح الجريمة بلا هدف ..
أنها ١٥,٠٠٠ بيزوس ، كما يمكنني أن أهرب بالنقود
فتصبح جمعيته السرية بلا وجود ... و ينجو الرجل
الآخر .. هل تتابعين ما أقول ؟ كل شيء يعتمد على
شرف اللص في " .

- : " يا إلهي ! " .

- : " أريد أن أواصل التجربة .. أليس غريباً
أن تغير الملابس و الظروف وجهتك إلى الله ؟ إذ
لفترة طويلة كنت قد قررت أن أقتل نفسي ، و لو

أنك قلت (نعم) عندما طلبت منك ذلك سابقاً ،
لفعلتها ، و الآن لو أنك تعلمين ما أشعر به من نبل
و طيبة ! لا تقولي شيئاً عن ذلك الموضوع الآخر ..
لقد أقررنا كل شيء ، و حتى أنا مسرور بالتفكير في
ذلك الموقف الذي سألقيّ بنفسي فيه ، هل يمكنك أن
تفهمي ذلك ؟ ثم يوماً ما عاجلاً ... لا لن يكون
نهاراً .. بل ليلة ما عندما أخذ كفايتي من تلك المهزلة
و الفوضى ، سوف أحتفي " .

ظهر خط متغضن على جبهة هيبوليتا ، لا يوجد شك في
ذلك ، الرجل مجنون ، مثل الأنثى المغامرة التي كانت عليها ، و
بدأت الآن تتنبأ بمشكلات قادمة ، ثم قالت في نفسها (عليك
أن تكوني حذرة بشأن الأمور التي تهتم ذلك المعتوه !)
فسألته و هي تعقد ذراعيها عبر معطفها :

- : " و لكن هل تملك الشجاعة لقتل نفسك
؟ " .

- : " ليس هذا هو المقصد ، ليس الموضوع
شجاعة أو جبن ، فأنا أعلم ما هو أبعد من ذلك ،
أعرف أن قتل المرء لنفسه لا يعدو خلع ضرس ، و
بمجرد أن أدرك ذلك أشعر بهدوء كامل ، لقد فكرت
- حقيقة - في رحلات أخرى ، و أراض أخرى ، و
حياة أخرى ... ربما ، هناك رغبة بداخلي تريد لكل
شيء أن يكون جميلاً و بخير ، و غالباً ما فكرت أن لو
... قولي بذلك المبلغ الـ ١٥,٠٠٠ بيزوس التي
سأحصل عليها غداً ... أستطيع أن أذهب للفلبين أو

للإكوادور لأبدأ حياة جديدة ، و أتزوج مليونيرة شابة
و نستطيع أن ننام في سرير خلوي وقت القيلولة تحت
أشجار جوز الهند ، بينما يجلب لنا النادلون السود
شرائح البرتقال .. وقد أنظر للبحر في حزن .. هل
تعرفين شيئاً ؟ اليقين الوحيد الذي أحمله حيثما
ذهبت أنني سوف أحلق بعيداً في البحر يملؤني الحزن
، و هذه قناعة بأنني لن أكون سعيداً مرة أخرى ، في
البداية دفعني ذلك للجنون ، لكنني الآن قد اعتدت
على ذلك " .

- : " إذن لماذا تواصل التجربة ؟ " .
- : " لماذا ؟ أشعر أنني لم أصل للقاع بعد
بنفسي ، و تلك الجريمة أملّي الأخير ... و العراف
يعلم ذلك ، لأنني حين سألته أَلَا يَخْشَى أن أهرب
بالنقود ، أجابني (لا .. ليس في هذه اللحظة ، فأنت
دوناً عن أي شخص آخر بحاجة شديدة لفعل ذلك
حتى تهرب من قلقك الدائم) ، و هكذا ترين إلى
أي مدى واقع أنا في حبائل الموقف " .
- : " لم أحلم أبداً بذلك ، اسوف يقتلونه في
تمبرلي ؟ " .

- : " نعم ، و بعد من يعلم ؟ الألم ! هل
لديك أي فكرة عما تعنيه تلك الكلمة ؟ كيما يشعر
المرء بذلك يرى الألم و هو يدفعك للتعفن حتى
الأعماق مثل مرض السفلس ؟ إستمعي سوف
أخبرك بشيء حدث منذ أربعة شهور ، كنت أنتظر

القطار بإحدى محطات الريف ، و كان سيصل خلال خمس و أربعين دقيقة ، لذا تمشيت حتى ميدان المدينة و بعد دقائق قليلة جاءت فتاة صغيرة عمرها حوالي ست سنوات لتجلس بجواري على مقعد طويل ، و بدأنا نتحدث ، كانت ترتدي مريلة المدرسة البيضاء ، و تعيش في أحد المنازل المواجهة لنا ، و ببطء مع عدم قدرتي على السيطرة على نفسي حولت محور الحديث إلى موضوع داعر ، لكن بحذر أتخسس من خلاله طريقي ، تملكني إحساس فظيع من الفضول ، و كالنائمة تحت تأثير غريزة ما أنصت الفتاة لي و هي ترتعد ، بينما ينتحل وجهي ببطء سمات المجرم لدرجة أن عاملين من عمال إشارة السكة الحديد بدأ في مراقبتي بدقة ، لكنني واصلت كشف أسرار الجنس لها و شجعتها على إفساد أصدقائها " .

ضغطت هيبوليتا صدغيها بين أصابعها قائلة :

- : " أنت لست سوى وحش ! " .

- : " الآن وصلت النهاية ، حياتي كارثة و على أن أشكل أسوأ خلطة فوضوية لنفسي .. أن ارتكب الخطيئة .. لا تنظري إلى ، ربما .. أنصتي لقد نسي الناس معنى كلمة خطيئة .. فالخطيئة ليست ببساطة هي الخطأ . و قد أدركت أن الخطيئة عمل يقطع به الإنسان الخيط الرفيع الذي مازال يربطه بالله ، و يعني أن الله سينكره للأبد ، حتى لو ظلت حياة الإنسان بعد إرتكابه الخطيئة أكثر نقاءاً من حياة

قديس طاهر ، فهو لن يستطيع الوصول لله ثانية ، و
أنا سوف أقطع ذلك الخيط الرفيع الذي يربطني بالخير
الإلهي ، أنا أعرف ذلك . و من الغد سوف أكون
وحشاً على وجه هذه الأرض تصوري هذا فقط ،
مخلوق صغير .. جنين . جنين كان يعيش - بطريقة أو
أخرى - خارج رحم أمه .. غير قادر على النمو ..
مغطى بالشعر .. نحيل ... بلا أظافر يمشي بين الناس
دون أن يكون هو نفسه واحداً منهم ، تفرع هشاشته
كل من حوله .. و رغم هذا لا توجد قوة على الأرض
قادرة على إعادته للرحم المفقود ، ذلك ما سوف يحدث
لي غداً ، سوف أفصل نفسي عن الله للأبد ، سوف
أكون وحيداً على هذه الأرض ، أنا و روحي فقط نحن
الإثنان و أمامنا الأبدية ، وحدنا للأبد ، ليلاً و نهاراً ..
تحت شمس صفراء ، هل تتخيلين ذلك ؟ أبدية تمتد
طوال الوقت و شمس صفراء تعلونا ، و تتجول الروح
التي فصلت نفسها عن الخير الإلهي وحيدة و عمياء
تحت وهج تلك الشمس " .

إهتزت الأرضية في إرتطام مكتوم ، و فجأة حدث شيء
غير عادي ، و غرق إردوسين في الصمت مرعوباً ، و هيبوليتا
راكعة عند قدميه ، تناولت يديه و أغرقتهما في القبل و
صرخت وسط الظلمة :

- : " دعني .. دعني أقبل يدك البائستين فانت
أتعس إنسان في الوجود " .

- : "إنهضي يا هيوليتا، أنك أنت من عانيت كثيراً، إنهضي من فضلك، أتوسل إليك".
- : "لا أود تقبيل قدميك".
- و شعر بيديها تتعلقان برجليه - مكملة - :
- : "أنك أكثر الناس بؤساً على الأرض، كم عانيت يا عزيزي، يا الله! كم أنت نبيل.. و كم روحك نبيلة كذلك" (*).
- رفعها إيردوسين برقة لا متناهية، مدفوعاً بإحساس عميق من الشفقة، و سحبها بالقرب منه، و ربت على شعرها عند جبهتها ثم قال :
- : "لو أنك تعرفين كم هو سهل علي أن أموت، أنها كلعبة أوديتها".
- : "يالها من روح نبيلة في داخلك!".
- : "أتعانين من الحمى؟".
- : "أيها الصبي المسكين".
- : "لماذا؟ نحن كالألهة، تعالي و اجلسي بجاني، هل هكذا أفضل؟ أنظري يا أختي الصغيرة، إن كل آلامي قد محتها كلماتك، و نستطيع أن نحيا فترة قليلة أخرى".
- : "مثل زوج متحاب و مرتبط من البشر".
- : "و عندما يصل اليوم العظيم، سوف تكونين عروسي".
- : "إنني أحبك كثيراً، يالها من روح نبيلة".

- : " عندئذ سوف نترك كل ذلك خلفنا " .
لم يقولوا شيئاً بعد ذلك ، كان الوقت تقريباً لحظة الفجر و
رأسها ملقى على صدره ، فمد إردوسين جسدها المتعب
بطول الأريكة ، فمنحته إبتسامة مُرهقة ، ثم جلس فوق
السجادة وقد أحنى رأسه على طرف الأريكة و تكوم
ليستغرق في النوم .

(*) ملحوظة المعلق : فيما بعد كان على هيبوليتا أن تخطر العراف بقولها : " ركعت أمام إيردوسين عندما خطر لي أن أقوم بـبـتـرـازك بعدما أخبرني بخطة القتل " .

حضور اللاوعي



في نفس الليلة ، كان العراف يتأمل المشكلة التي تواجهه ، و هو ممدد على الأريكة في حجرة مكتبه المظلمة و يدها مطويتان و قبعته تهبط إلى ما فوق عينيه ، كان يستطيع سماع قطرات المطر تضرب (شيش) النافذة في خفوت ، لكن عقله كان مركزاً على خططه العديدة ، و على أن شيئاً غريباً كان يحدث له .

و بينما تقترب لحظة وقوع الجريمة ، شعر بإحساس ذاتي ثان لزمن ينمو داخل فضاء الزمن الطبيعي و هكذا أحس بوجوده في هذين الزمنين ، أحدهما خاص بكل الحالات

العادية للحياة ، و الآخر ينطلق ثقيلًا ، كجزء من نبضات قلبه متسرباً من بين أصابعه مثل الماء الذي يسيل من سلة خوص بعدما كان معلقاً لحظة التأمل ، هكذا إستطاع العراف - و هو محاصر بزمن أرضي - أن يشعر بذلك الزمن المتسارع الذي إنطلق بلا نهاية عبر عقله مثل فيلم سينمائي إنزلق ليعرض صورّه بإسلوب مشوه و مُرهق أثار سخطة ، لأنه قبل أن يقبض على فكرة واضحة يجدها قد تلاشت و حل محلها أخرى بسرعة لدرجة أنه عندما أشعل عود ثقاب لينظر في ساعته ، وجد أن دقائق قليلة فقط هي التي مرت ، في حين ظن أن تلك الدقائق الآلية التي تسبب قلقه في تسارعها كانت طويلة جداً بل أنها لا تقاس لطولها ، أبقاه هذا الإحساس منتبهاً في الظلام و أدرك أن أي خطأ يمس حالته القائمة سيكون ذا تأثير خطير عليه لاحقاً .

لم يكن شديد الإهتمام بإغتيال بارسوت ، قدر إهتمامه بالإحتياجات المطلوبة لمنعه من إدعاء أهمية أعلى و أكثر ، بل أن من المفترض قيامه بتدبير (إثبات تغيب عن مكان الجريمة) فوجد ذلك صعباً ، وشعر أن ذلك الشخص الجالس هناك في الظلام ليس هو ، و لكن توأمه ، أو شخص ما زيفته العاطفة في نفس شكله ، و بنفس ملامحه البضاوية ، و يديه المطويتين و قبعته المنسدلة على عينيه ، و وجد نفسه غير قادر على تخيل أفكار ذلك المزدوج بصورة قريبة في إرتباطه بنفسه رغم أن ذلك بعيد عن متناول فهمه ، و شعر في هذه اللحظات أن ذلك الإحساس بالوجود مستمد من وجوده الجسدي المجرد ، و عندما حان موعد شرحه لذلك الإحساس

فيما بعد قال أنه الوعي بمقياس زمني مختلف تتحرك داخله
الإنفعالات ، و هو يجلس داخل ذلك المقياس الزمني الآخر
مثل أناس يقولون (تلك الدقيقة بدت كدهر) ، ذلك
العجز عن التفكير كان هاماً لأنه كان بصدد إنهاء حياة إنسان
آخر و لإيقاف الدورة الدموية خمسة لترات تدور فيه ، و
يحيل كل خلاياه الحية إلى برودة ساكنة ، فيمحوه من الحياة مثل
بقعة ازالها من الورق ، دون أن يترك أثراً خلفه ، و حيث أن
العراف لم يستطع أن يُخلص نفسه من تلك المشكلة الثقيلة
، شعر أن وجوده المادي كان جزءاً من مجال زمن آلي ميكانيكي
في حين يقبع شخصه المزدوج في منطقة السرعة المستبطة من
ذلك الزمن الآخر الذي لا تستطيع أي ساعة أخرى قياسه ، و
كان ذلك المزدوج غارقاً في أفكاره بشكل ليس مبهماً لكنه
غامض حقاً ، كان مشغولاً بمن عرف ما هي (أدلة الغياب
عن مكان الجريمة) التي ستفاجيء - فيما بعد - ذلك الرجل
الغارق في افكاره .

يقينية وقوع الجريمة حولته إلى آلية مزدوجة لهما إيقاعات و
وقفات مختلفة فتركته مكتئباً بلا حراك وسط الظلام ، إنتشر
تعب هائل في عضلاته و أطرافه و مفاصل عظامه و سيطر
عليها ..

دفع المطر الضفادع لبدء نقيقها الميكانيكي القصير في
الترع لكنه و هو رجل الفعل سحقه القلق لدرجة أنه شعر
أن كل عظامه قد طحنت فلا يستطيع حتى أن يقف ، فقال في
نفسه (أنا رجل الفعل ، غير قادر على الحركة ، و أنا ملتصق
بذلك الزمن الميكانيكي بينما أقع فريسة لزمن آخر لا سيطرة

لي عليه ، زمن يجعلني أسقط حذري ، لأن بينما ليس هناك شك أن قتل إنسان ما يعد أمراً بسيطاً مثل حز رأس حمل صغير ، إلا أن ذلك ليس ما يبدو للآخرين ، ورغم أنهم بعيدون و سلوكي يُعد غامضاً بالنسبة لهم ، فذلك الزمن غير العادي يقربهم أكثر لدرجة أنني لا أستطيع الحركة كما لو كانوا جميعاً موجودين في الظلال يتجسسون علي ، لابد أن ذلك الزمن الخارج عن الوعي هو الذي يشلني ، و العراف اللاواعي الذي يحتفظ بأفكاره لنفسه ، يتركني عاجزاً كالبرتقالة المعصورة عندما يحين الوقت لفحص الأفكار التي احتاجها ، و مع ذلك فحالما يموت بارسوت ، سوف تستمر الحياة كأن شيئاً لم يحدث . و الحقيقة أن لا شيء سوف يحدث لو تمر تلك الحالة العقلية فقط .

أشعل عود ثقاب آخر ، فراقصت رؤوس أسهم من الظلال المتحركة حول الغرفة ، و مرت دقيقة بالكاد ، كانت أفكاره متزامنة و تنجرف معاً وسط غياب حقائق هذا الزمن التي - لو حدثت في الزمن الواقعي - لإحتلجت شهوراً ما لم تكن سنوات لتتحقق .. و هكذا فهو وُلد منذ ثلاث و أربعين سنة وسبعة أيام سابقة لكن ذلك الماضي يقوم الحاضر بإبتلاعه بشكل متصل و هو ينطلق مسرعاً ، و كان دائماً (عراف اللحظة التالية) هو الذي يُستهلك في اللحظة القائمة . و الآن تم توجيه حياته نحو فعل ما لم يوجد بعد لكنه في خلال ساعات قلائل سوف يصبح حقيقة ، كان كقوس تم شده للخلف خلال زمن آلي ، قوس حمل عنفه المشحون إحساساً قائماً بتوتره غير العادي إلى الزمن العادي .

رغم حقيقة أنه قال دائماً لو أُتيحت له فرصة قتل إنسان ما فسوف لن يفلتها . مازال يشعر بنفسه قلقه بشأن ذلك الزمن الغامض الآخر ، ثم بدأ يتخيل ديكتاتورية تحفظ بقاءها في السلطة عبر الرعب الذي تفرضه بواسطة سلسلة من أحكام الإعدام ، و ساعده تخيله لكل الناس المقتولين رمياً بالرصاص كجثث ملقاة أرضاً في صورة أفقية على الهروب من مخاوف لحظته . و شكل صورة لرجل نحيف يتمدد وسط السهل الضخم ، و بمقارنة طول ذلك الجسم الميت بآلاف الكيلومترات التي شملها حكمه ، أقنع نفسه أن حياة إنسان واحد كانت تافهة . و هكذا قد يتعفن الرجل تحت الأرض بينما - إذا ما تخلص من تلك العقبة الإنسانية التي تساوي أقل من جزء طفيف من الأراضي التي حكمها - كان يمكنه تحقيق غزوات مجيدة أكثر .

عندئذ فكر في لينين و هو يحك يديه و يُخبر رؤساء السوفيتات (هذا جنون ، كيف يمكننا عمل ثورة إذا لم نطلق الرصاص على أحد ؟) قفز قلب العراف من الفرحة ، و سوف يتأكد أن جمعيته ستتبنى نفس المبدأ ، و أن مؤسسي السلالات المستقبلية سوف يعتنقون ذلك النظام السياسي الصارم ، منحتهم تلك الفكرة حافزاً جديداً . م خطر له أن أي مُجدد عليه أن يناضل ضد الأفكار البالية و ذلك يشكل جزءاً من تكوينه ، و رأى أن كل تردده الحالي يعود إلى الصراع بين المبادئ التي تحاول فرض نفسها بعد و تلك القائمة فعلاً ..

تسلل الزمن عبر أصابعه ، و تشابك في فكره ، أن إغتيال اليوم سيكون غزو الغد ، لكن في نفس الوقت عليه أن

يتحمل المقاومة غير الشريفة لحاضر مختلط بكل ما يحتويه من الماضي ، وقف شاعراً بالغضب ، و كانت لاتزال تمطر ، فذهب إلى السلام الأمامية ، و توقف هناك يمعن النظر في الحديقة المظلمة ، حيث يجعل المطر البطيء الثقيل الأشجار و النباتات تقشعر و ترتعش و بدت الظلال القائمة وحشاً يلهث بشدة وسط الليل الحالك . و تحولت الأرض الغارقة بللاً إلى اللون الطيني الغامق . و هناك كان ، رجلاً قوياً في الليل ، مع القوة الدافعة للأحداث العظيمة ، غير أنه لم يخرج من الظلام شيحاً يؤكد وجوده ، و تساءل إذا ما كان الرجال في الأزمنة القديمة كانوا غير حاسمين لهذا الحد ، أو أنهم ساروا نحو مصائرهم سعداء و هم يعرفون أن الموت درع كافٍ لنضالهم ، هل كان الموت بهذه الأهمية رغم ذلك ؟ و أخطر نفسه أنه بإعتباره كائناً فلسفياً فكل ما قد يهمه هي الأنواع لا الأفراد ، لكن في نفس الوقت كانت مشاعره تهجمه بالشكوك شاطرة الوقت الذي يحتاجه إلى نصفين ضد إرادته .

باعدت لمعة برق المسافات الزرقاء بين حواف السحب الضخمة ..

وقف مبلاً و رث الثياب بجوار درجات السلم ذلك (الرجل الذي رأى القابلة) (*) .
شهق العراف قائلاً :

- : " هذا أنت " .
- : " نعم ، أردت أن أطلب منك تفسير آية من الكتاب المقدس ، و تقول (سماء الله) و هذا يعني

— بالتأكيد — أن هناك سموات ليست من صنع الله "

— : " لمن تكون تلك السموات إذن ؟ " .

— : " أقصد أنه قد توجد سموات لا يوجد بها
الله . لأن الآية تستمر في نصها أن ((و سوف تسقط
أورشليم الجديدة)) .. أورشليم الجديدة ؟ هل يعني
ذلك الكنيسة الجديدة ؟ " .

فكر العراف للحظة ، لم يكن مهتماً بالموضوع ، لكنه
يعرف أنه لكي يحتفظ بمكانته في اعين الرجال الآخرين فعليه
أن يقول شيئاً لسائله ، لذا أجاب :

— : " نحن — المستنيرون — نعرف سراً أن
أورشليم الجديدة هي الكنيسة الجديدة و ذلك سبب
قول سويدينبورج (حيث أن إلهنا لا يمكن أن يظهر
نفسه بشخصه ، و نحن نعلم أنه أعلن أنه سيأتي و
يقيم الكنيسة الجديدة ، يستتبع ذلك أنه سيفعل ذلك
بواسطة إنسان ، و هو الذي ليس فقط سيتلقى
تعاليم تلك الكنيسة و إنما سوف ينشرها بين الناس ،
و لكن لماذا من هذه الإشارة فقط تفترض أن لا بد و
يكون هناك عدة سموات ؟ " .

صعد برومبرج و إحتفى بمظلة الشرفة و حلق في الظلام
المبلل الجاثم ثم قال :

— : " لأن السموات شيء تشعر به ، مثل
الحب " .

نظر إليه العراف بدهشة ، لكن اليهودي واصل حديثه :

- : " أنها مثل الحب ، كيف يمكنك إنكار وجود الحب لو كان بداخلك ، وأنت تشعر أن الملائكة يقوون هذا الشعور طوال الوقت ؟ أنه نفس الأمر مع السماوات الأربع ، فكل شيء في الكتاب المقدس سر غامض بالطبع ، و إلا سيصبح الكتاب غير معقول تماماً ، ليلة أمس كنت أقرأ في سفر الرؤيا ، و كنت حزينةً عند فكرة أننا مضطرون لقتل بارسوت و تساءلت إذا ما كان مسموحاً لنا إهدار دم الإنسان " .

- : " ليس هناك إهراق دم عندما تشنق رجلاً " .

هذه كانت ملاحظة العراف قائلها بإشمئزاز .

- : " و عندما أصل للجزء الذي يتحدث عن (سماء الله) أفهم لماذا البشرية حزينة بهذه الدرجة ، لأن سماء الله أنكرتها بسبب كنيسة الظلام ، و ذلك هو سبب وقوع البشر في الخطايا كثيراً " .
بدا صوت برومبرج الطفلي نائحاً كما لو كان يرثى كائناً طُرد من الملكوت الحق .
فقال العراف :

- : " أن الملاك الذي يكلمني في أحلامي أخبرني أن نهاية كنيسة الظلام قريبة و حالة " .

(*) القابلة : المرأة التي تساعد في إستيلاد الأطفال الجدد لحظة الولادة و تُسمى أحياناً (الداية) ..

- : " لا بد أن ذلك حق . لأن الجحيم ينمو يوماً بعد يوم ، و هكذا يتم إنقاذ قلة من الناس

مقارنة بالداخلين في الجحيم ، فالجنة مقدارها حبة رمل
بجوار المحيط ، و الجحيم يكبر سنة بعد سنة ، و كنيسة
الظلام التي كان عليها أن تنقذ بني البشر فقط تمتلئ
بأعدادها ، لذا يكبر الجحيم أكثر فأكثر دون أي أمل
في إنكماشه و تنظر الملائكة في خوف لكنيسة الظلام
و جحيم اللهب المتورم كبطن ضحية متعفنة " .

أجابه العراف في نغمة متعالية :

- : " ذلك سبب ما قاله لي الرجل المجنح)

إذهب أيها الرجل المقدس لتنوير البشرية ، و بشرهم
بالأنباء السارة ، أطرده أعداء المسيح و اكشف أسرار
أورشليم الجديدة لبرومبرج) " .

و هنا أمسك رفيقه من ذراعه ليقول :

- : " ألا تذكر عندما تكلمت روحك للملائكة و

قدمت لهم خبزاً أبيض على جانب الطريق ثم أجلستهم على
عتبة بابك و غسلت أقدامهم ؟ " .

- : " لا .. لا أتذكر " .

- : " حسناً .. يجب أن تتذكر ، ماذا سيقول الرب

عندما يسمع ذلك ؟ كيف أركى روحك لدى ملاك الكنيسة
الجديدة ؟ سوف يقول لي (ماذا حدث لابني الحبيب ألفون
التقي ؟) و ماذا سوف أقول له ؟ أنك خنزير شره ، أنك
نسيت وقتاً عشته وجوداً ملائكياً و أنك الآن تقضي اليوم
كله في ركن بعيد تضرب فيه ضراطاً منكراً مثل البغل " .

إعترض عليه برومبرج و هو يشعر بإهانة مميتة .

- : " أنا لا أضرب " .

- : " بلى .. تفعل ، و بصوت عال أيضاً ،
لكن ذلك لا يهم . فملاك الكنيسة الجديدة يعرف
جيداً أن روحك تحترق بالإخلاص الحقيقي و أنك
العدو الموعود للملك بابل ، بابا الظلام ، و ذلك هو
السبب في إختيارك لتكون صديقاً (له) ذلك الذي
سوف - بإتباعه أوامر الله - يقيم الكنيسة الجديدة
على الأرض " .

سقط المطر بنعومة على أوراق أشجار التين ، أطلقت
الظلمة الناعمة الخائقة رائحة رطبة من النباتات نحو الظلال
المتركمة ، هنا تنبأ برومبرج بجدية .

- : " و البابا ، البابا نفسه سوف يعدو في
الطريق عاري القدمين يملأه الرعب ، و سوف يهرب
كل إنسان من أمامه ، بينما تتزين الطرقات على
طولها بأكاليل الزهور لتكريم (الحمل المقدس) و
هو يمر خلالها " .

وافقه العراف :

- : " هذا ما سوف يتم ، و سوف تنشق
السماء لتبين كل الخطاة التائبين و البوابة الذهبية
لأورشليم الجديدة ، إن خيرات الله لا حدود لها ، يا
عزيزي ألفون ، لدرجة أن أي إنسان يقترب منها في
إتصال مباشر دون أن يسجد أرضاً ، تصبح عظامه
هشيماً " .

- : " هذا سبب رغبتى فى أن أشرك البشرىة
رؤيتى يوم القيامة ، ثم التوجه إلى الجبال لإبداء التوبة
و الصلاة من أجلهم جميعاً " .

- : " هذا صحيح ، يا ألفون ، لكن إذهب
للنوم الآن لأن على أن أتدبر الأمور ، و حان وقت
مجيء الإنسان المجنح ليهمس فى أذنى ، و أنت تحتاج
للنوم أيضاً ، و إلا فلن تقوى بدرجة كافية على شنق
المجرم صلباً " .

- : " ... و ملك بابل " .

- : " هذا صحيح " .

تحرك [الرجل الذى رأى القابلة] مبتعداً عن السلم ، و
عاد العراف إلى منزله ، متسلقاً درجات السلم الداخلى الذى
ينتصب من جانب الصالة ، و وجد نفسه فى غرفة طويلة
ضيقة ذات دعائم عارية أسفل بلاطات السقف المائل ، و لا
توجد صور من أى نوع على حوائطها المتهالكة ، كانت
صناديق بارسوت فى أحد الأركان ، بينما أسفل نافذة مستديرة
كعين الثور تجد سريراً خشبياً أحمر اللون و تتناقض ملاءة
سوداء مع فرش السرير الأبيض . جلس العراف على طرف
السرير غارقاً فى أفكاره ، و قد إنفتح معطفه كاشفاً صدره
العاري الممتلئ شعراً ، و خلل شاربه المدلى بأصابعه المنفرجة ،
و هو يخلق فى واحدٍ من الصناديق مقطب الجبين أراد أن
يسقط أفكاره على شيء جديد خارج ذاته قد يكسر إيقاع
مشاعره و يساعده على إعادة إكتشاف وجود عقل كان قد

تباهى به قبل أن تؤدي خطة إغتيال بارسوت إلى تعقيد الأمور

فكر بقوله : " عشرون ألف بيزوس .. عشرون ألف بيزوس لإقامة المواقير و معسكرنا التدريبي ... معسكرنا " .
لكنه لم يزل غير قادر على التفكير بوضوح ، إذ تنزلق الأفكار بعيداً عنه كالظلال ، في حالته المنقسمة دائماً ، راحت أفكاره تدور بعيداً فتجعل تركيزه مستحيلاً ، فجأة ضرب جبهته ثم إنطلق مبتهجاً إلى العلية (الصندرة) الملحقة بالغرفة و سحب صندوقاً قديماً مربوطاً بإحكام فأثار سحابة من الغبار أثناء جذبه .

و بدون إهتمام بالغبار الذي طال أكمام معطفه ، فتح الصندوق ، و في داخله تبدو عساكر من مادة الرصاص و دمي خشبية ، و كوم من المهرجين ، و جنرالات من اللعّب و اميرات و وحوش ضخمة بشفاه مشقوقة و أفواه الضفادع .
أخرج قطعة من الحبال و ربطها بمسمارين عبر ركن من أركان الغرفة ، ثم إستخرج علة دمي من الصندوق و قذف بها فوق السرير ، و ربط خيطاً حول رقبة كل منها ، و قد إستغرقه هذا العمل للدرجة أنه لم يلحظ أنه بينما يسقط المطر أكثر غزارة كانت الرياح تدفعه عبر النافذة نصف المغلقة .

كان يُمتّع نفسه ، و أنهى رباط الخيط حول رقاب الدمى ، ثم قطع ذلك إلى أطوال مختلفة و ذهب إلى ركن الغرفة و علق الدمى لتتدلى من الحبل هناك ، و حينما إنتهى ، تراجع ليتأمل فيما أبدع ، و قد ألقت الدمى الخمس المشنوقة ظلالاً

مرتعشة على الجدار الوردي ، أعلاها كان المهرج الذي ضاع منه بنطاله لكن مازال لديه الجاكت الأسود المختلط بالأبيض ، و التالي له كان دمية ذات بشرة داكنة بلون الشيكولاتة و شفاه قرمزية الذي كانت رأسه التي تشبه الشمامة عند مستوى قدمي المهرج ، أما الثالث فكان مضحك يعمل كالساعة بإسطوانة برونزية على معدته و له وجه قرد ، و الرابع كان بحاراً من الورق المقوى الأزرق ، و خامساً و أخيراً تأتي دمية تمثل شخصاً أسود فقد أنفه و يبدو على رقبته المتصلبة جرح يغطيه البلاستر في المسافة البيضاء عند ربطته العنق .

تراجع العراف لیتمعن في عمله ، و ظهره للمصباح بينما يتصاعد ظله الضخم المظلم نحو السقف ، و صاح بصوت عال :

- : " أنت أيها المهرج ... أنت إيردوسين و أنت أيها الفلاح الضخم تكون الباحث عن الذهب ، و أنت أيها المضحك البلطجي أما أنت أيها الأسود فألفون .. هل كل واحد متفق ؟ " .

إنتهى خطابه فسحب صندوق بارسوت بعيداً عن الحائط و وضعه أمام الدمى و جلس ينظر إليهم ، عند ذاك بدأ حوار صامت بالعراف يُلقى الأسئلة ثم يتلقى الإجابة من داخله عندما ينظر مباشرة لواحد من تلك الدمى . أدى ذلك إلى صفاء ذهنه كقطعة بللور ، و إحتاج للتعبير عن أفكاره بذلك الشكل التلغرافي الموجز ، دون مقاطعة كما لو كان كل ما

حوله يجب أن يتجاوب مع حالته الإنفعالية الشائرة التي تمور داخله .

تلك كانت أفكاره : (المهم ، إقامة مصانع الغاز السام ، حصلوا على المواد الكيماوية ، من أجل الخلايا ، ليس السيارات ، لكن شاحنات إطارات قوية ، معسكر تدريب في الجبال ، هراء ، أو لا نعم ، أيضاً ، مصنع على ضفاف نهر بارانا ، سيارات ذات دروع من الصلب و النيكل ، غازات سامة هامة ، تندلع ثورة في تشاكو ثم في الجبال ، اقتلوا ملاك المواخير ، عصابة من القتل في طائرة ، كل شيء ممكن ، جهاز راديو تلغراف لكل خلية ، شفرة و أطوال موجبة متغيرة ، تيار كهربى من تدفق المياه ، توربينات (*) سويدية . إيردوسين على حق ، الحياة لها حدود ، من أنا ؟ معمل لجراثيم الطاعون البابوني و التيفوس البوائي ، إقامة أكاديمية الدراسات المقارنة للثورتين الفرنسية و الروسية ، و كذلك مدرسة الدعوة الثورية ، السينما كعنصر هام ، ملحوظة - لقاء مع صانع سينمائي ، إيت إيردوسين لدراسة الموضوع ، صانع أفلام مكرس للدعاية الثورية ، هذا هو) .

تباطأ إيقاع أفكاره فقال لنفسه (كيف تُرسخُ في عقول كل الأشخاص هذه الحمية الثورية التي أشعر بها ؟ نعم . نعم . ما هي الكذبة أو الحقيقة التي تستخدمها لذلك ؟ كم يمر الوقت سريعاً ؟ و يا للحزن ! لأن ذلك حقيقة ، هناك حزن كثير جداً يقبع داخلي ، سوف يُذهلون إذا ما علموا بذلك ، و ها هو أنا الذي يجب عليه أن يُبقي كل شيء ماضياً في طريقه .)

كوم نفسه فوق الأريكة ، كان بارداً ، و خفقت أوردته عند صدغيه نابضة بقوة .

- : " إن الوقت يتسرب بعيداً ، نعم .. نعم و كلهم ثقال كأجولة البطاطس ، لا أحد يريد أن يطير ، كيف أقنع هؤلاء الحمير أن عليهم أن يطيروا ؟ الحياة الحقيقية مختلفة ، مختلفة عن أي شيء حلموا به في حياتهم ، فالروح مثل محيط يتلاطم داخل سبعين كيلو جراماً من اللحم ، و هو نفس اللحم الذي يرغب في الطيران ، كل جزء داخلنا يتحرق شوقاً لبلوغ السماء ، و أن تبني قلاعاً في السماء .. هذه حقيقة ... لكن كيف تفعلها ؟ فهناك دائماً تلك (الكيف) ، و أنا .. أنا هنا ، أتألم من أجلهم ، و أحبهم كما لو كنت أنا الذي ولدتهم لأنني فعلاً أحب أولئك الناس ، أحبهم جميعاً ، و هم هنا فوق هذه الأرض لغير سبب محدد ، لكن يمكنهم أن يصبحوا مختلفين ، و مع ذلك فأنا أحبهم ، و أنا متأكد من ذلك الآن ، أنا أحب كل البشر ، أحبهم كما لو كانوا ربطوا بأوتار قلبي خيوط رقيقة و إنهم يمتصون دمي ، و حياتي و رغم كل ذلك تبقى حياة كبيرة و كثيرة داخلي لدرجة أنني وددت لو يكون هنا الملايين منهم حتى أحبهم أكثر و أهبهم حياتي ، نعم أقدمها لهم مثل سيجارة ، و الآن أنا أفهم المسيح ، و كم أحب البشر ! و رغم ذلك فأنا قبيح ، وجهي الضخم السمين قبيح ، يجب أن أكون جميلاً كإله ، لكن لي أذن كالقنبيطه ، و أنف عظمي لملاكم

، لكن ما أهمية ذلك ؟ أنا رجل و هذا يكفي ، و أنا
بحاجة للقيام بالغزو . و هذا كل ما هنالك . و لن
أهجر أية فكرة من أفكارى مقابل حب أجهل نساء
العالم " .

(*) Turbines التوربين مجموعة من الريش المروحية تستخدم في مولدات الكهرباء من حركة
الماء ..

و فجأة زحفت كلمات قديمة من كلماته نحو عقله فقال
لنفسه :

- : " و لما .. نحن نستطيع صناعة المدافع .. تماماً كما
قال إيردوسين أنها عملية سهلة تماماً ، بالإضافة إلى أنها تُطلق
آلاف المرات ، فأي ثورة تستغرق وقتاً طويلاً هي ثورة فاشلة
"

لم يعد لديه كلام ، و وسط الظلام تمتلئ جمجمته بصورة
ممر كئيب تحيطه كمرات تحمل أجناب مظلة حديدية متموجة و
عند المنتصف و بين سحابات غبار الفحم ترتفع أفران
الصهر و أنظمة تبريدها كالدرع الضخم ، و تتقاذف السنة

من أفواه الفرن المقوى ، و خارج ذلك كله تمتد غابة كثيفة متشابكة إلى البعيد .

يشعر العراف بأنه يستعيد نفسه من ذلك الزمن المزدوج الذي سرقها منه .

أخذ يفكر أنه قد يكون ممكناً صناعة الصلب المطلى بالكروم و المدافع المرتلة ، لما لا ؟ و تنزلق أفكاره بحوية الآن عبر المشكلات المحتملة ، و من الأموال التي سيكسبونها من بيوت الدعارة يمكنهم شراء مساحات من الأرض في كل مناطق الأرجنتين تقريباً ، و هناك يمكن لأعضاء الجماعة بناء تحصينات أسمنتية للسلاح و يخفونها كأنها أجران حبوب .

إستشارته فكرة تكوين جيش ثوري عبر البلاد ليثور عند صدور إشارة إذاعية منه ، و لما لا ؟ صلب - كروم - نيكل ، تردد صدى تلك الكلمات في عقله كالسحر .. صلب - كروم - نيكل ، كل قائد خلية سوف يكون مسئولاً عن بطارية مدفعية . ما هو الشيء الأساسي هنا ؟ من أجل إطلاق مدفعهم إربعمائه أو خمسمائه قنبلة ، و الرشاشات الآلية فوق الشاحنات . لما لا ؟ لكل عشرة رجال سلاح آلي واحد ، و شاحنة و مدفع ، لماذا لا نبدأ المحاولة ؟ .

وسط ظلام الليل و ببطء ترتفع بوتقة كالبيضة من الصلب الساخن لدرجة البياض محمولة على دعامتين و تصل بفوهتها حتى السقف، هذا هو محول بيسمر و يتم تشغيله بواسطة مكبس هيدروليكي ، و تنصب شلالات من ألسنة اللهب و الشرر من طرف البيضة ، و هذا هو الحديد الذي يتم تحويله إلى صلب بفضل تيار من الهواء الساخن

تحت ضغط مئات الأرتال ، أنه الصلب و الكروم و النيكل ،
لماذا لا نبدأ المحاولة ؟ و تركزت أفكاره على مئات التفاصيل ،
كان صوته الداخلي قد تساءل منذ قليل .

- : " لماذا توجد مساحة قليلة إلى هذا الحد
لسعادة الإنسان ؟ " .

جعلته هذه الحقيقة حزينا ، فالعالم يجب أن يكون من أجل
القلة ، و هذه القلة عليها أن تخطو مثل العمالقة .

أولاً : عليك أن تخلق وضعاً معقداً ، ثم تقوم بحله بذهن
صافٍ ، أولاً أقتل بارسوت ثم أقم الماخور و معسكر التدريب
في الجبال ، لكن كيف يتخلصون من الجثة ؟ أليس ذلك غباء
من شخص مثله ، إذ يرى صناعة المدفع و صناعة الصلب
مسألة بسيطة بينما يجد التخلص من جثة ميتة واحدة مسألة
صعبة ؟ يجب ألا يضيع وقتاً كثيراً في التفكير بشأن ذلك ،
يمكنهم إحراقها .. خمس مائة درجة حرارية تكفي لتدمير الجثة
داخل حاوية .. أنها خمس مائة درجة فقط . بدأ الإجهاد و الزمن
يستهلِك عقله تدريجاً . وود لو يتوقف عن التفكير ، لولا
أن صوتاً داخياً - ذلك الذي يفصل عن صوته و إرادته -
همس له بعلة إحياءات . " سوف تشتعل الحركة الثورية
متزامنة بكل مدينة في الأرجنتين ، و سوف نهاجم كل
المعسكرات ، و سوف نبدأ بإطلاق النار على كل مثيري
الإضطرابات ، و قبل أيام من ذلك ، سوف نطلق جراثيم
التيفوس و وباء الطاعون في العاصمة من الطائرات ليلاً " ،
و كل خلية في الضواحي سوف تقطع خطوط القطارات ، و
لن نسمح بدخول أو خروج أية قطارات ، و بالسيطرة على

المركز الرئيسي للبلد و قطع الإتصالات ، و قتل القادة تكون السلطة في أيدينا ، و كل ذلك قد يبدو جنوناً ، لكنه ممكن ، فعندما توشك على تنفيذ شيء كهذا ، تكون في حالة شبيهة بالحلم دائماً ، مثل التصوير بالحركة البطيئة التي تجعل كل شيء يبدو مذهشاً حالماً تجد نفسك وسطها ، و كل ما تحتاجه قوة و مال .

و بعيداً عن خلايانا الثورية ، نستطيع تنظيم عصابة من اللصوص و القتلة ، و أساءل كم من الطائرات يملكها الجيش ؟ ، لكن ما أن تُقطع الإتصالات و تتم السيطرة على معسكرات الجنود ، و إعدام كل القادة ، من هو القادر على إستدعائهم ؟ هذه بلد من الحيوانات الخرساء ، و علينا تشكيل فرقاً للإعدام ، فهذه لا يمكن الإستغناء عنها ، لأننا سنحظى بالإحترام إذا نشرنا الرعب ، و الرجال ليسوا سوى جناء ... و معنا الأسلحة الآلية .. كيف سينظمون قواتاً لمحاربتنا ؟ و بقطع خطوط الإتصالات التليفونية و التلغرافية و خطوط السكك الحديدية ، يستطيع عشرة رجال إبقاء مدينة من ١٠,٠٠٠ إنسان في حالة رعب ، و كل ما يحتاجونه سلاح آلي ، أحد عشر مليوناً من البشر في الأرجنتين ، مزارع الشاي في الشمال سوف تكون معنا ، مناطق قصب السكر في توكومان و سانتياجو ديليسترو ... سان جوان ، فهم أنصاف شيوعيين بالفعل هناك ، المقاومة الوحيدة قد تكون في الجيش و يمكننا السيطرة على المعسكرات ليلاً ، و بمجرد أن نستولى على أسلحتهم ، نطلق النار على الضباط و نشنق كل صف ضابط ، و نحن نحتاج لعشرة رجال فقط للسيطرة على معسكر

قوامه ألف جندي ، طالما معنا رشاش آلي ، فالمسألة سهلة ، ثم ماذا بشأن القنابل اليدوية ؟ و أين سيصلون إليها ؟ .. و لو تمكنا من أخذهم على غرة في نفس الوقت عبر كل البلد بواسطة عشرة رجال لكل مدينة سوف تصبح الأرجنتين لنا ، و الجنود صغار و سوف يتبعوننا على أية حال ، و سوف نرقى ضباطاً من غير القائمين ، و نشكل أكثر جيوش أمريكا غير المتوقعة حدوثاً في تاريخها . و لما لا ؟ و بواسطة ثلاث من بائعي الجرائد ذوى العزيمة يمكننا السيطرة على مدينة كاملة "

ألهب غضب غير محدد دماؤه و جعلها تنتفض في شرايينه ، فاندفع الدم عبر جسده المتين البنيان و تجمعت جزيئاته كلها و كأنها مندفعة إلى هجوم ، و شعر بأنه اقوى من قبل ، قوة من يملك إطلاق النار على الآخرين .

أطلقت كل صاعقة من العاصفة ضوءاً كهربياً يتأرجح ، لكن العراف إستمر جالساً على الصندوق و ظهره نحو السرير ، و قدميه متقاطعتين ، ممسكاً بذقنه ، محملاً في الدمى الخمس بثبات و ظلّاهم الرثة تتقاذف على الحائط الوردي .

... و تنساب من خلفه بركة الماء التي كونتها الأمطار المنهمرة من النافذة و هي آخذة في التزايد ، و ظلت الأسئلة و الأجوبة تطير في الهواء ، و أحيانا تسود وجهه تقطبية تؤدي لقتامته ، ثم أظهرت حركة بطيئة من عينيه الساكنتين بوجهه العريض أنه وجد إجابة ترضيه ، فجلس هناك حتى الفجر ، عندئذ نهض و أدار ظهره للدمى الخمس ، تاركا إياها في

عزلة الغرفة ، تتأرجح على مشنقتها مثل رجال خمسة تم شنقهم .

تردد العراف للحظة ثم إندفع هابطاً السلم خارجاً من الباب الأمامي و خطاً قدماً مع أول ضوء إلى جراج العربات حيث كانوا يحتجزون بارسوت ، توقف المطر ، و إنزاحت السحب بعيداً تاركة منظر شقٍ من القمر الأصفر وسط سماء صافية زرقاء .

الرؤيا



أثناء حدوث كل ذلك ، و في مصح لاس مرسيدس ، كان إرجويتا يمارس طقوسه التي كان يسميها (لقاء مع الله) و هذا ما حدث .

إستيقظ عند الفجر في جناح المصح وهبط شعاع متوازي الأضلاع من ضوء القمر ليرسم مستطيلاً أزرق اللون على الحائط النظيف مقابل سريره ، و إنتصبت السماء بالخارج مؤطرة بقضبان النافذة المفتوحة ، مع زرقاة بودرية جافة مثل

الجص غارقة في الميثيلين ، ولملت من بين القضبان الأشعة السائلة لنجمة بعيدة . حك إرجويتا أنفه بجوية ، و لم يكن قلقاً بصورة خاصة ، و كان يعرف أنه في بيت للمجانين ، لكن ذلك شيء (لا يهمه) أخذه القلق من أن يكونوا قد حبسوا روحه ، لكن ما حبسوه فعلاً داخل المصح هو جسده ، جسده الذي يزن تسعين كيلو جراماً ، و يُذكره بمشاعر العار حين كان يحرقه عبر بيوت الرذيلة العديدة التي إرتادها ، و رأى مرة أخرى - و هو غير قادر على إيقاف مخيلته - مسيرة الفوضى التي كانت عليها حياته الفاسقة .

ماذا كان يجب على روحه أن تفعل مع كل طاقة غضب جسده ؟ .

رأى ذلك بوضوح لدرجة أنه إمتلأ بالدهشة عندما رأى أن الأطباء مازالوا لا يدركون ذلك .

إبتهج إرجويتا لإكتشافه ، فلم يعد إنساناً بعد الآن ، بل روحاً ، (إحساس نقي للروح) ، و حدوده تتمايز داخل إطار جسده مثل السحب وسط الزرقة اللامتناهية .

شعر بالسعادة و خفة الوزن ، و في الليالي السابقة إقتنع أن بإمكانه أن يغادر جسده ، يلقيه عن نفسه بعيداً مثل قطع من الملابس ، و أدى به ذلك الإقتناع المفاجئ إلى الخوف ، و كان يشعر في لحظات معينة أنه في حالة تواصل مع أطراف روحه لدرجة أن التوازن بين أبعاد جسمه الذي كان على وشك التداعي ، وبين سطح بشرته تركه في حالة غثيان كما لو كان يرحل هابطاً نحو الأسفل في مصعد سريع .

كان - كذلك - يخشى مغادرة جسمه كلية و يتركه خلفه ، لأنه لو تحطم كيف سيعود إليه مطلقاً ؟ بدا الممرض نوعاً متوحشاً ، و رغم أن إرجويتا أحب التأكد أنه لن يخرج بجسده قبل أن يعود بنفسه ، إلا أنه لم يستطيع الوثوق به ، لكنه حالما تجاوز ذلك الإنطباع ، رأى في الممرض طفلاً ضعيفاً ، رغم أن هذه الرؤية لم توقف الممرض عن الضحك عند رؤيته لإرجويتا و هو يحاول السيطرة على التسعين كيلو جراماً من وزنه غير مدرك لحقيقة أن إرجويتا يمكنه الذهاب حيثما شاء ، لكن لا .. إنه لا يريد أن يمارس ألعاباً ، فطيته لن تسمح بذلك و كم يكون جميلاً أن يشعر بنفسه يمتلئ خيراً ! و رحمته تنتشر فوق العالم مثل سحابة تمر فوق أسطح منازل المدينة . رقد جسده بعيداً بعيداً هناك في الأسفل . و الآن يمكنه أن يراه كما لو كان يقبع في قاع صندوق ، و كان المصح مكعباً أبيض بين صف طويل من تلك المكعبات فقط ، و الشوارع تومض باللون الأزرق بين ضفاف الظلال ، و لمعت الأضواء الخضراء للسكة الحديد في شحوب ، ثم دخله فضاء كالخيط حين يدخل قطعة الأسفنج ، و توقف الزمن عن الوجود .

تداعت المرتفعات خلفه وسط سعادته المتزايدة . كان إرجويتا في حالة سلام مع نفسه ، و نبغ من الطيبة أرائته قوى خارجية ، فإبتهج مثل بحيرة جافة عندما ترسل إليها السماء أمطارها . و بينما يستدير ليلقي نظرة على الأرض بكرمه ، رأى حوافها المستديرة الخضراء بغطائها الرقيق من الأثير الأزرق ، و حيث تركه المشهد أبكماً لم يجد أمامه من

الكلمات سوى أن يقول : " شكراً لك .. شكراً لك يا إلهي ."

و لم يشعر بأي تحرك لفضوله ، و أدى به شعوره بالإستسلام إلى تدعيم تواضعه .

ووسط (الحقل) السماوية شاهد تلاً صخرياً رغم أن الوقت كان ليلاً ، إلا أن هذه الصخور قد تحممت بوهج ذهبي ، و تهبط الزرقة من البعيد من تلك المرتفعات الذهبية إلى الأغوار العميقة ، و عاد جسده إليه ، و مضى إرجوينا قدماً بحذر لا ترمش عينه الوحشية في وجهه الأشبه بالصقر .

بالطبع شعر ببعض من القلق لأن جسده قد سقط في الخطيئة مرات عديدة ، و لأنه عرف أنه بالرغم من ملامحه الجادة الحالية ، إلا أن وجهه حمل الملامح العنيفة لسفاح بلطجي ، مثل أولئك الذين قاموا بتقليدهم و هو صغير تماماً من عصابات جيرته البائسة .

و ها هي روحه كانت تسعى طلباً للمغفرة ، و قد يكون ذلك كافياً ، ومع ذلك لم يملك إلا أن يصرخ : " ماذا سيقول الله بشأن (إجرامي) ؟ كيف أجرؤ أن أمثل أمامه ؟ و عندما نظر إلى فردتي حذائه و رأى إلى أى مدى يحتاجان الطلاء ، أصبح أكثر خوفاً .

: " ماذا سوف يقول الله فيما أبدو عليه ؟ عندما يرى في المقامر و القواد ؟ و سيسألني عن خطاياي ، و سيذكر كل المجازفات التي إرتكبتها . و كيف سأجيبه ؟ .. أنني لم أعلم .. كيف سأقول ذلك مع أنه ترك براهين عديدة لوجوده مع كل الأنبياء ؟ " .

حلق في حذائه القذر الذي إعتراه البلى ، مرة أخرى : " سوف يقول لي (لقد تحولت حتى إلى عاجز لا نفع منه ، متشرد تافه ، أنت الذي إلتحقت بالجامعة ، لقد قامرت على الجياد و أحرقت الروح الخالدة التي وهبتك إياها في الحرمات ، لقد سحبت وراءك ملاكك الحارس إلى المواقير و هو يبكي خلفك ، و أنت تملأ فمك الذي يسيل منه اللعاب بالشناعات ، و أسوأ ما في الأمر أنني لن أستطيع إنكار أي شئ . كيف لي ان أنكر خطيئتي ؟ يالها من فوضى .. يا إلهي الحبيب " .

كانت السماء فوق رأسه قبة زرقاء ناعمة و دارت النجوم البعيدة حول محورها مثل حبات البرتقال ، و تطلع إرجويتا بتواضع إلى الصخور الذهبية . و فجأة إنتابه إضطراب كبير و عندما رفع رأسه رأى - على بُعد لا يزيد عن عشر خطوات على يساره - ابن الله ، يسوع المسيح ، أدار النازاري (*) الملفت بعباءة سماوية اللون هيكله النحيل نحوه و سطعت عينه اللوزية الشكل الهادئة بالضوء .

وقع إرجويتا في فوضى عظيمة ، إذ لم يستطع الركوع لأن (السيد المحترم لا يحني ظهره أبداً) و لن يركع كذلك أمام نجار يهودي ، و مع ذلك شعر برجفة هائلة تنتزع روحه ، و مد يديه متشابكة في توسل نحو الإله الصامت .

شعر بإطاره الدنيئ يمتلأ بالإخلاص له ، و نظر إلى يسوع صامتا و هو يرقد على الصخور ، و إغرورقت عيناه بالدموع و ملأه الأسى إذ لا يوجد أحد آخر معه يعاونه في التهليل فقط لإظهار حبه العظيم للإله ، و في النهاية إزداد الصمت

لدرجة غير محتملة حتى أنه تغلب على حيرته و قال متواضعاً : " أو لو كنت مختلفاً ، لكني لا أستطيع " .

تطلع إليه المسيح ..

فواصل : " صدقي ... من الصعب أن أقول لك أنني أحبك "

أدار إرجوينا ظهره و سار ثلاث خطوات مبتعداً ، ثم إستدار و توقف ثانية : " لقد إرتكبت كل خطية و كثيراً من الجر ... هراء . و أودّ أن أتوب ، لكن لا يمكنني ، و أودّ لو أمكنني الركوع و أن أقبل إقدامك ، أنت يا من مت من أجلنا على الصليب .. ياه .. لو كنت تعرف كل ما أريد قوله لك ، لكن كل ما أريده نسيته ، و مع ذلك أحبك فعلاً

النازاري أو الناصري لقب أطلقه اليهود على السيد المسيح كي لا يعترفون بنبوته ونسبه لمدينة الناصرة.

، هل يمكنني قولها لأننا نحن فقط الإثنين هنا ؟ " .
حلق فيه يسوع ، وعلت إبتسامة وجهه . صمتت إرجويتا
للحظة ثم تورد وجهه و قال بخجل ، : " يله .. كم أنت طيب
.. طيب ! لقد تكرمت عليّ بإبتسامة أنا المخطئ البائس هل
ترى ؟ إنك إبتسمت ، و أنا بجوارك أشعر - صدقني - بأنني
طفل ، مجرد طفل صغير ، و أود لو عبدتك طوال حياتي و أن
أكون حارسك ، و من الآن فصاعداً فلن أقع في الخطيئة أبداً ،
و سوف أفكر فيك طوال عمري ، و ليملاً الأسف أي إنسان
يملاًه الشك بك ، و لسوف أحطم وجهه .. "
ظل المسيح يحلق فيه .

و هنا قال إرجويتا و هو يريد تقديم أفضل ما عنده : "
إني أركع أمامك " ، و تقدم خطوات قليلة و عندما ساوى
المسيح أحنى رأسه واضعاً إحدى ركبتيه على الصخور
الذهبية ، و لكن حالما كان على وشك التمدد راکعاً مد يسوع
يده (التي إخرقتها مسمار الصلب) و ربت على كتفه قائلاً :
- : " تعال و إتبعني دوماً ، و لا تخطئ بعد ،
لأن روحك جميلة كروح الملائكة الذين يشنون على الله
." .

أراد إرجويتا أن يقول شيئاً لكنه وجد نفسه محاطاً
بسكون و فراغ متدافع ، و أدرك أنه قد قابل الله ، كان
ذلك واضحاً لأنه عندما إلتفت ليستمع للإصوات التي
تنادي في المدى المظلم ، صرخ رجل مجنون ولد أكمه
صائحاً في دهشة :

- : " أنت تبدو كمن هبط من السماء لتوه "

إندهش إرجويتا

- : " و لديك هالة نور حول رأسك

كالقديسين " .

غلب الخوف مشاعر إرجويتا فأسند رأسه للخلف على
الحائط .

و صاح رفيق ذو عين واحدة كان هادئاً حتى تلك اللحظة .

- : " معجزات ... إنك تصنع معجزات لقد

أعدت للأكمه صوته " .

أيقظت محادثاتهم مجنوناً ثالثاً كان قد قضى اليوم كله (يقصع) (*) القمل بين أصابعه الصلبة فأدار وجهه الملتحي نحو إرجويتا قائلاً :

- : " أنت أتيت لتُحيى الموتى " .

فأضاف الذي كان أبكماً .

- : " و لترد البصر للأعمى " .

فقال الأعور مصرأً :

- : " و لنصف الأعمى كذلك ، فأنا أستطيع

أن أرى بعيني تلك الآن " .

نهض الأكمة منتصباً من سريره و واصل كلامه :

- : " لكن لست أنت الذي تفعل ذلك ، إنه

الرب الذي حل بجسدك " .

فأجاب إرجويتا حائراً :

(*) يقصع : يسحق حشرة القمل بين أظفاره .

- : " هذا صحيح أيها الأخوة ، هذا ليس أنا

... لكنه الرب في داخلي .. و كيف لي أن أفعل ، أنا

ذلك البائس الزاني أصنع معجزات ؟ " .

عندئذ اقترح صائد القمل الذي كان يجلس على حافة

سريره يؤرجح قدميه العاريتين قائلاً :

- : " لماذا لا تصنع معجزة أخرى ؟ " .

- : " هذا ليس سبب وجودي هنا ، وإنما

لأعظكم بكلمة الله الحي " .

أرجح صائد القمل إحدى قدميه أعلى من ركبته و قال
بطريقة فاضحة :

- : " يجب أن تصنع معجزة " .

وضع الأكمه وسادته على الأرضية و جلس عليها و صرّح
:

- : " أنا لن أنفوه بكلمة أخرى " .

وضع إرجويتا رأسه بين يديه مصدوماً بما رأى ، فأضاف
الأعور عبرة بود :

- : " نعم عليك أن تعيد ميتاً للحياة " .

- : " لا يوجد إنسان ميت هنا " .

مشى الأعور نحو إرجويتا و هو يَزُكُ بقدمه ، و أخذه من
يده ، و سحبه - تقريباً - حتى السرير المقابل له حيث يرقد
رجل نحيف ذو رأس مستديرة و أنف ضخمة دون حراك ، ثم
جاء الأكمه ضاماً شفتيه :

- : " ألا ترى ذلك . إنه ميت ؟ " .

- : " لقد مات مساء اليوم " .

هذا ما أضافه الأعور . صاح إرجويتا بغضب :

- : " أقول لكم ذلك الرجل ليس ميتاً " .

و هو مقتنع أنهم يهزءون به ، لكن صائد القمل قفز من
سريره و ذهب إلى الآخر و إنحنى فوق الرجل النحيف ذي
الرأس المستديرة و دفع جسمه حتى وقع على الأرض محدثاً
صوت إرتطام مكتوم فحوصر بين السريرين و رجلاه في
الهواء مثل أفرع شجرة مشذبة حديثاً .

- : " ألا ترى أنه ميت الآن ؟ " .

تموجت قمصان نومهم في الهواء ، و وقف الرجال المجانين
الأربعة حول الجسم المقلوب ، يلقون ظلالهم عبر ضوء القمر
في مستطيله الأزرق .

كرر ذو اللحية قوله :

- : " انظر إنه ميت " .

فتوسل الأعور إرجويتا :

- : " إصنع معجزة من أجلنا " .

- : " كيف نؤمن (به) إذا لم تصنع معجزة ؟

. ماذا يكون ذلك بالنسبة لك ؟

طأطأ الأكمه رأسه بسرعة حاثاً إرجويتا قدماً ، فإلخنى
الأخير فوق الجسد متجهماً ، و أوشك أن يلفظ كلمات منح
الحياة ، عندما فجأة بدأت حوائط الغرفة تدور أمام عينيه و
تزار ريح سوداء في أذنيه ، و بالكاد وجد وقتاً لرؤية الرجال
الثلاث المجانين كأشباح بالأبيض و الأسود وسط مستطيل
ضوء القمر الأزرق ، و قمصانهم الليلية تنتفخ في الريح ،
قبل أن يسقط منزلقاً عبر دوامة الظلمة نحو اللاوعي .

الانتحار



ظل إيردوسين قابعاً عند أقدام هيبوليتا حوالي الساعة ، و
غامت مشاعره السابقة وسط حالة النعاس عن كل ما حدث
خلال اليوم ، و قد تصلب الألم و الحقد في قلبه مثل قطعة
طين تحت الشمس ، رغم أنه رقد هناك دون حراك غلبته
الرغبة في النوم لأن التعب قد أنهكه من الداخل ، كان
يقطب جبينه بعمق ، و خوفه الرهيب الآخر ، خوفه أن يجد

نفسه واقفاً كشبح ضائع بجوار سدٍ من الجرانيت و قد إخترق الضباب و الظلام ، و كوَّنت المياه الرمادية طبقاتٍ تدور في مختلف الاتجاهات ، و تقوم قوارب صيد الحيتان المصفدة بالحديد بنقل جماهير غير واضحة من الناس إلى شواطئ بعيدة ، و برزت بينهم امرأة كالطاووس ، ترتدي صدرية من الماس و تجلس واحة رأسها بين يديها الميزنتين بالجواهر على طاولة بحجرة البار ، بينما تتحدث ، حك إيردوسين طرف أنفه ، و عندما بحث عن سبب ذلك ، تذكر أن أربع فتيات كن قد ظهرن يرتدين فساتين بطول رُكْبهن ، و شعورهن بلون القش شعثناء تلف وجوههن الأشبه بوجوه الخيل . و أثناء مرورهن به كن يحملن (كوزاً) من الصفيح مما أدى به للتساؤل :

- : " هل يكسبن ما يكفي من التسول بهذه الطريقة ؟ " .

فأجابت النجمة " الطاووس " و الماسات تبرق تحت ذقنها أن نعم ، أن هاته الفتيات الأربع يُقمن أودهن من الشحاذة ، ثم بصوتها المثير لأقصى حد ، بدأت قصة تدور حول أمير روسي لا تلاءم طريقة حياته حياة الفتيات الأربع ، ربما في محاولة لإصلاح الأمور ، كانت هذه اللحظة التي أدرك عندها سبب حكه لأنفه أثناء حديث هذه المخلوقة (المندشة) ، زاد حزنه عندما رأى جماهير الناس الصامتة تنظر وراءها و هم يصعدون مركبات قطار لا نهاية له و قد غلقت كل نوافذه ، و لا أحد يسأل عن محطة الوصول أو حتى محطات الطريق ، و على بُعد عشرين ياردة من الممر تمتد صحراء

ترابية سوداء ، و لم يستطع إردوسين رؤية القاطرة ، لكنه سمع صلصلة السلاسل و الفرامل يُفك إسارها ، و إستطاع أن يجري ، و قد أخذ يلحق به و يرتقي الدرج و يقف على أرضية العربة الأخيرة للحظة لي شاهد القطار و هو يستجمع سرعته ، مازال هناك وقت أمامه ليهرب من تلك العزلة الرمادية المحرومة حتى من المدن القاتمة ، لكنه وقف - و هو محصور بين مخالب يأس عظيم - يشاهد العربة الأخيرة تنسحب بعيداً ، مصحوبة بتنهيده تملأ حلقه ، و كل نوافذ القطار كانت مغلقة بإحكام .

عندما رأى القطار يدور عند المنحني و يتوجه نحو حائط من الضباب ، أدرك أنه تُرك وحيداً لشأنه وسط تلك الصحراء المملوءة رماداً للأبد ، لأنه لن يعود مطلقاً لكنه سيواصل الدوران في جدٍ و نوافذ عرباته مغلقة بشدة . رفع رأسه ببطء من حجر هيوليتا ، و قد توقف المطر ، و كانت قدماه تتجمدان و مفاصله تؤلمه ، فنظر إلى وجه المرأة النائمة الملحوظة بالكاد وسط الضوء الأزرق الباهت لقدموم النهار الذي يتسلل عبر قوائم الباب ، فنهض بحذر بقدر ما يستطيع ، في حين كانت الفتيات الأربع الصغيرات بوجوههن الأشبه بوجوه الجياد و خصلات شعورهن بلون القش مازلن باقيات معه .. ففكر قائلاً : " يجب أن أقتل نفسي " .. لكنه عند ذاك و بملاحظة الإلتماعه الحمراء الصادرة من شعر المرأة النائمة ، إتخذت أفكاره منحني أكثر تشاؤماً . : " لا بد أنها قاسية بلا رحمة ، و يمكنني أن أقتلها .. " فتحسس جراب مسدسه في جيبه : " سوف يكلف الأمر طلقة واحدة في الرأس ، و

الطلقة مصنوعة من الصلب ، و سوف تصنع ثقباً صغيراً ،
بالطبع سوف تطير عيناها خارج ما فيها و من المحتمل أن
تتسبب بعض الدماء من أنفها ، أيتها الروح المسكينة ! لا بد
أنها قد عانت كثيراً لكنني متأكد أنها شريرة " .

دفعته نية خبيثة كي ينحني عليها ، و كلما أمعن النظر و
هي نائمة كلما اصبح تعبير وجهه أكثر وحشية و جنوناً ، و
تلمست يده المسدس في جيبه ثم صوت قعقة صاعقة تهدر
على البعد ، و الجنون الغريب الذي لف عقله إنزاح بعيداً ،
تحسس إيردوسين معطفه بهدوء كبير ، و أغلق جانبي الباب
بحذر ليتجنب إحتكاكهما ، و خرج من الغرفة . عندما وصل
أسفل السلم ، أدرك في رضى أنه جائع ، فتوجه إلى ممر يعج
بالفوضى بحثاً عن واحدة من الشوايات العديدة التي تحيط
بسوق سبينيتو .

كان القمر بمتطى صهوة سحابة قرمزية ، و بدت كل
إمتدادات الرصيف تحت ضوء القمر كما لو تغطت بألواح
من الزنك ، و لمعت برك الماء الموحلة و كأن قطعاً من النقود
الفضية أخفيت في أعماقها ، غرغرت مياه الأمطار و دارت في
دوامة نحو بالبالوعات و هي تعلق حجارة الرصيف الجرانيتية
، و كان الرصيف مبللاً لدرجة بدا معها و كأنه رصاصٌ
مصهورٌ صُب حديثاً .

مضى إيردوسين يظهر و يختفي في الظلال الزرقاء التي
تتساقط بين صفوف الأبنية و أضفت رائحة الرطوبة نوعاً
من الوحشة البرية على عزلة الصباح .

لم يكن هناك شك في ذلك ، لم يكن إردوسين في حالة عقلية سليمة ، إذ مازال قلقاً بشأن الفتيات الصغيرات ذوات الوجوه الأشبه بوجوه الخيل و البحر الخطر بأمواجه الحديدية ، ملأه الغثيان عندما شم رائحة زيت طيبخ زنج تندفع من باب مقهى ذى طلاء أصفر ، لذا - وقد غير رأيه - قرر أن ييمم شطر أحد المواخير تذكره في باسو ، وعندما وصل وجد الباب مغلقاً ، وهكذا لشعوره بالخسارة ذهب و هو يرتعد برداً و فمه يمتلئ بمرارة كبريتات النحاس إلى مقهى قريب فتح شيش نوافذه المعدنية في التو ، و بعد إنتظار طويل قدموا له الشاي الذي طلب .

فكر في المرأة النائمة ، و أحتى رأسه للخلف مقابل الحائط و عينيه نصف مغلقتين و إستسلم ليأسه المطبق .

لم يتألم لنفسه و إنما للشخص المسجل بشهادة ميلاده ، لكن وعيه تطلع إليه - منفصلاً عن جسده - مثل الغريب و هو يهمس لنفسه : " من سيشفق على البشرية ؟ " و أقلقته تلك الكلمات التي لخصت كل معالم تفكيره بصورة متزايدة ، و قد ملأته برقة مؤلمة نحو رفاقه غير المرئيين : " السقوط ... السقوط نحو الأسفل طوال الوقت ، و رغم ذلك فهناك آخرون سعداء ، فهم يجدون الحب .. لكنهم جميعاً يتألمون ، و المسألة هي أن بعضهم يدرك ذلك ، و البعض الآخر لا ، و البعض يلومونه لعدم حصولهم على ما يريدون ، و ياله من حلم سخيف ذلك الذي رأيت ! رغم أن وجهها كان بديعاً ، و ما جعل الأمر أكثر إثارة ما قالتها عن الأمير العابث اللاهى . ياه لو أستطيع النوم في قاع البحر ، فقط

أو في غرفة من الرصاص ذات فتحات سمكة للضوء ، و أنام أعواماً و أعواماً ، و تتراكم الرمال أعلى فأعلى ، و أستمروا في النوم ، ذلك هو السبب في أن العراف على حق ، فاليوم سيأتي عندما يصنع الشعب ثورته ، و لأنهم لا يملكون إلهاً ، فال بشرية ستعلن إضرابها حتى يظهر الإله " .

تسللت الرائحة المريرة للسيانيد إلى منخريه ، و إستطاع أن يميز عبر جفونه نصف المغلقة الضوء الأبيض الخافت لنور الصباح لكنه شعر بأنه بعيد كأنه على قاع البحر و الرمال تتراكم بلا نهاية على قمة كوخه المصنوع من الرصاص . و ربت شخصاً ما على كتفه ، ففتح عينيه ليجد النادل يقول له :

- : " لا تستطيع النوم هنا " .

أوشك أن يجاوبه ، لكن النادل تحرك ليقبض زبونا آخر ، كان رجلاً ممتلئاً إستغرق في النوم و رأسه بين يديه اللتين إنعقدتا فوق المائدة .

لم يستجب النائم لتنبيهات النادل و كذلك لمالك المقهى ، فجاء رجل ذو شارب كعصا القيادة و هزه بعنف و كاد جسد النائم يتكوم مثلياً لولا حافة المائدة التي منعتة من السقوط . وقف إردوسين على قدميه يملؤه الفضول ، بينما ألقى الإثنان الآخران نظرات متسائلة لبعضهما ثم نحو زبونهما الغريب .

لم يتحرك النائم من وضعه الشاذ ، و قد تأرجح رأسه خلفه على كتفه ، مبدياً لهم ملامح وجه مسطح تماؤه الثغرات و نظارة قائمة اللون . إنهمرت قطرات من البصاق الأحمر من

بين ثنايا شفتيه الزرقاويين نحو ربطة عنقه الخضراء ، و هناك لوحة ورقية عليها بعض الكتابات قد حُشرت تحت كوعه على المائدة ، و فجأة إدركوا أن الرجل قد مات ، فخرجوا لإستدعاء البوليس ، لكن إردوسين بقى ملتصقاً بالمكان مشدوه بمنظر الغريب المنتحر بنظارته القائمة والبقع الزرقاء آخذة في الانتشار على بشرته ببطء ولا تزال رائحة اللوز المر معلقة في الهواء وواضح أنها آتية من فمه المفتوح ووصل أحد رجال الشرطة (العاملين ببعض الوقت) ثم وراءه رقيبٌ متبوع باثنين آخرين من الشرطة ومحقق. وقاموا كلهم بتقليب وتحريك الميت كما لو كان عجباً وفجأة قال الشرطي (العامل بعض الوقت) للمحقق : " ألا تعرف من هو؟ "

أخذ الرقيب من جيب الميت فاتورة فندق وبعض القطع النقدية ومسدساً وثلاثة أغلفة مختومة ومغلقة .
: " إذن ذلك هو الرجل الذى قتل تلك الفتاة في تالكهوانو . "

أخذوا نظارة الميت عن عينيه ، فأصبحت عيناه واضحتين كانا ينظران جانباً وبياضهما منقلب لأعلى ، وجفناه أغرقهما اللون الاحمر ، كما لو كان قد بكى دموعاً من الدم .
قال الشرطي الاول : " ألم أقل لكم ؟ - وواصل - هاكم بطاقة تحقيق شخصيته " .

: " كان في طريقه الى يوشوايا يمضي فيها بقية حياته . "
عندما تناهى ذلك الى سمعه . تذكر إردوسين القصة كما لو كان سمعها منذ زمن بعيد (والواقع انه رآها في الجريدة

صباح اليوم السابق فقط) كان الميت وغداً ، هجر زوجته وخمسة أبناء ليعيش مع امرأة أخرى أنجب منها ثلاثة أطفال ، ثم منذ ليلتين ظهر في فندق في تالكهوانو مع حبيبته الجديدة ، وهي فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، وعند الساعة الثالثة صباحاً قام بتغطية وجهها بالوسادة في هدوء ، وأطلق عليها النار من جانب الرأس ولم يسمع نزلاء الفندق أية أصوات حينها مطلقاً ، وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ارتدى القاتل ملابسه وغادر تاركاً باب الغرفة نصف مفتوح ثم نادى العاملة ليطلب منها عدم إيقاظ زوجته حتى الساعة العاشرة لأنها مجهدة جداً ، ثم خرج ، وتم اكتشاف الفتاة الميتة عند الظهر . لكن أكثر ما أثر على مشاعر إردوسين هو أن القاتل قضى خمس ساعات مع جثة الفتاة الميتة وحده ، خمس ساعات مع جثتها وسط وحشة الليل ، لا بد أنه أحبها كثيراً . ومع ذلك ألم يشعر هو بنفس الاحاسيس تماماً منذ ساعات قليلة مضت تجاه المرأة ذات الشعر الأحمر ؟ أكانت هذه ذكرى غير واعية ؟ أم أنها أتته من ذلك المنتحر المكوم أمامه الآن ؟.... اقتربت عربة إسعاف المستشفى وابتلعت الجثة ورحلت .

وجهت الشرطة اليه علة أسئلة فأخبرهم إردوسين بالمعلومات القليلة التي عرفها ، ثم خرج الى قارعة الطريق ومازال الفضول يقتله ، قبع سؤال مشوش ومؤلم في أطراف ذهنه وتذكر أن ثنيات بنطال الميت عند قدميه كانت ملطخة بالطين و وقميصه كان قدراً ومهلهلاً ، كيف برغم كل ذلك نجح في كسب حب فتاة صغيرة قتلها بعد ذلك ؟ كيف وجد

الحب رغم وجود زوجتيه وأطفاله المتناثرين ، وبرغم حياته السافلة كلص ومحتال عرف القاتل الحب ، وتحيله إردوسين في تلك الليلة الشريرة ، وفي ذلك الفندق الذي ترتاده العاهرات مع أناس بلا وظائف حقيقة ، في حجرة تساقطت أوراق حائطها وهو يحملق في الوجه الشمعي البارد للفتاة الصغيرة المطخة بالدماء ، خمس ساعات حزينة يحرق في الفتاة التي منذ لحظات قليلة كانت تحتضنه بين زراعيها العاريتين ، ووصل إردوسين الى ميدان بلازا ونس في ألم وذ هول .

كانت الساعة الخامسة صباحاً، فذهب الى محطة القطار وتطلع حوله ،مازال يشعر بالنعاس لذا ذهب وتكوم على مقعد طويل في ركن من حجرة الانتظار .

عند الثامنة أيقظته من نومه العميق ضجة أحد المسافرين التي أحدثها بحر حقائب سفره ، فدعك عينيه المتألمتين ، كانت الشمس تشع في سماء بلاسحب .

خرج ولحق بأحد الاتوبيسات الى محطة كونستيتيوشن حيث كان العراف بانتظاره على الرصيف في تمبرلي ، تعرف عليه إردوسين في الحال من شكله الممتليء داخل معطفه ، وقبعته تتدلى فوق عينيهمع شاربه الفرنسي المترخي.

قال العراف : "إنك شديد الشحوب "

: " أنا شاحب "

: "اصفر "

: " لم أتم جيداً....وما زاد الطين بلة أنني رأيت حادثة انتحار

هذا الصباح "

: " حسنا ها هو الشيك "

فحصه إردوسين ، كان مخصصاً لصرف مبلغ ١٥٣٧٣
بيزوس نقداً لكن التاريخ يشير ليومين سابقين .

" لماذا دون ذلك التاريخ ؟ "

" سيبدو الامر أفضل ، سوف يطمئن ذلك موظف البنك
فلو أن هذا الشيك كان مفقوداً ومع مرور الزمن تأتي أنت
لتقدمه ، لكان صاحبه سيقوم بإيقافه "

" هل جادلك كثيراً "

" لا ... لقد ابتسم . إذ يعتقد أنه أنه سوف يبعث بنا جميعاً
للسجن .. آه ... وقبل أن تذهب للبنك و اذهب لتحلق
شعرك . "

" هل يعلم برومبيرج ؟ "

" لا .. سوف نوقظه عند حلول الموعد "

كان باقياً على موعد وصول القطار دقائق قليلة ، فابتسم
إردوسين للعراف قائلاً

" ماذا ستفعل لو هربت ؟ "

شذب العراف شاربه وأجاب : " هذا مستحيل ، كاستحالة
أن القطار لن يتوقف هنا "

" لكن دعنا نقر بوجود الاحتمال للحظة "

" لا أستطيع ، فلو فكرت في ذلك ثانية واحدة لما أرسلتك
لصرف الشيك .. آه .. من ذلك الذي انتحر هذا الصباح ؟ "
- " قاتل .. شيخ كبير ، قتل فتاة رفضت أن تذهب لتعيش
معه . "

" جهدٌ ضائع ! "

" هل أنت نفسك قادرٌ على القتل . "

" لا ... عليك أن تعرف أنني مُكرسٌ للأعمال العظيمة " :
هنا سأله إردوسين سؤالاً غريباً .

" قل لي ، أظن أن حمراوات الشعر نسوة عديمات
الرحمة؟

" ما كنت لأقول ذلك... المسألة أكبر ، أنهن شهوانيات ،
وهذا هو سبب النظرة الباردة التي يوجهنها للأشياء فترك
انطباعاً حاداً ، أخبرني مرة اليلطجي أنه لم يتعامل طوال عمره
كقواد مع حمراوات الشعر إلا بالكاد .. على كل لاتنس أن
تحلق شعرك ، واذهب للبنك عند الساعة الحادية عشرة وليس
قبل ذلك ..وسنلتقي على الغداء ، اتفقنا؟"
" نعم .. أراك عندئذ "

صعد إردوسين القطار متبوعاً عن قرب بواسطة العقيد
الذي أعطى إشارة للعراف علامة على استتباب الأمر
..دون أن يراه إردوسين الذي ارتقى في مقعده متفكراً.

" ياله من رجل غريب ..كيف علم أنني لن اهرب منه ؟
ولو أنه على صواب في كل شيء آخر لابد أن يكون مصيره
النجاح "

ثم وبتأثير هدهدة القطار انتابه النعاس ليدخل في النوم
من جديد.

كان العقيد جالساً خلفه وعندما وصل إردوسين للبنك
كان قلبه يلقى بعنف ، ناداه موظف البنك فذهب قدماً الى
النافذة.

" أوراق نقدية كبيرة أم صغيرة ؟"

" كبيرة ... "

: " وقع هنا .."

قام بالتوقيع على ظهر الشيك ، وظن أنهم سيسألون عن بطاقة تحقيق شخصيته لكن الموظف وقد غطت زراعيه أكمام بلاستيكية لحماية قميصه قام بعد عشر ورقات مالية فئة الالف بيزوس ، ثم خمس من فئة الخمسمائة الباقي من العملات الصغيرة ، غير أن إردوسين كان متوتراً لدرجة أنه أراد الهروب بإسرع ما يمكنه ، لكنه بدلاً من ذلك أخذ يعد النقود ببطء ويضعها في محفظته ثم يضع الأخيرة هذي في جيب بنطاله خارجاً من البنك ممسكاً بها بأحكام .

لمعت دوامة ريح سماوية كالمعدن المصبوب حديثاً بين ضفاف سحابة بيضاء ، ف شعر بالسعادة وفكر أنه لو كان في جو مختلف ، تحت سماوات دائمة الزرقة مثل السماء التي يلمحها الآن ، لكانت هناك نسوة باهرات ، ولا بد أن لهن شعوراً لامعة ناعمة وعيوناً لوزية واسعة ، تظللها رموش طويلة ، وسوف ينساب الهواء المعطر من كهوف الصبح نحو كل نواصي الشوارع في مدن تنتصب بطول المراعي العشبية الخضراء ، وترتفع أبراجها المستديرة فوق كل أعملة الخضرة المتماوجة في المتنزهات والشرفات .

جعلته فكرة وجود العراف - بوجهه العريض وشاربه المدلى ليغطي أركان فمه - يبدو أكثر سعادة ، ولو نجحت الجماعة ، يمكنه أن يواصل تجاربه الاليكترو مغناطيسية ، تقدمت خطاه عبر الشارع كامبراطور يهبط الى حظه ولم يلحظ أن مشيته التأرجحة المتمهلة قد لفتت أنظار النسوة

الغسّالات اللواتي يمرن بجواره ، والطاهيات العائدات من حمامات البخار يحملن ربطات ملاسهن .

قد يخترع أشعة الموت ، أشعة بنفسجية خطيرة طاقتها ملايين الفولتات يمكنها أن تصهر صلب المدرعات البحرية مثل فرن يصهر كتلة من الشمع ، وقد تنتشر المدن الاسمنتية الى شظايا و كما لو كانت براكين من الديناميت قد انفجرت أسفلها ، رأى نفسه سيد هذا العالم ، فاستدعى سفراء القوى العظمى بأمر مقتضب ، ووجد نفسه في غرفة ضخمة ذات حوائط زجاجية ومائدة مستديرة وسطها ، وكلهم يلتفون حولها ، جلس الدبلوماسيون القدامى متهاكين في مقاعدهم ، بوجوه رمادية وقحة ، وعيون قاسية مهتزة ، دق بعضهم بأقلامهم قمة المائدة الزجاجية ، والبعض الآخر أخذ يدخن في صمت ، بينما وقف زنجي عملاق يرتدي زياً أخضر بلا حراك بجوار الستائر القطيفة القرمزية المسدلة عبر الممشى .

وهو!! إردوسين ، أوجيستو ريمو إردوسين ، اللص السابق ، وجامع الديون السابق كذلك ، كان واقفاً ، وقد عكس زجاج المائدة نصف جسده رشيقاً في جاكيت (بليزر) أسود وأربعة أصابع من يده اليمنى تدخل جيبه ، وحزمة أوراق في جيبه الآخر ، وقف ينظر ببرود لتعبيرات وجوه السفراء ، سرت قشعريرة لذينة بجسده فسحبت الدم من وجهه ،

فعاد أبطال التاريخ العظماء للحياة داخله ، أوليسيوس وديميتريوس وهانيبال ولويولا ونابليون ولينين وموسوليني ، كلهم مروا أمام عينيه كدوائر ملتهبة هائلة وعندئذ تغرق تحت الارض المستوحدة في غسق عالم آخر مختلف .

انصبت كلماته في جرعات قصيرة حادة وجامدة كالصلب ،
وقد أسره المشهد لاحظ نفسه في مرآة خيالية وصوته يجلجل
متباهياً ، كان يفرض شروطه .

فالأمم عليها أن تُسلم أساطيلها وآلافاً من المدافع
والرصيد الضخم من البنادق ، ثم عندذاك يتم اختيار مئات
قليلة من أعضاء كل جنس وسلالة ، فيؤخذون الى إحدى
الجزر ، أما باقي البشر فيُدْمَرُونَ ، وقد يستخدم تلك الاشعة
في تدمير المدن واجتياح الحقول ، ويحيل الغابات ومخزون الحياة
الى رماد ، وكل تراث المعرفة والفن والجمال سوف يضيع
للأبد ، وسوف تقبض على السلطة معه طبقة من اللصوص
والمنتفعين - على درجة من التحضر والشك أيضاً - وهو
على رأسهم ، وطالما أنه لكي يكون المرء سعيداً يحتاج كل
البشر الى بناء أملهم على كذبة ميتافيزيقية لذا سوف
يقومون بتقوية رجال الدين وتشكيل محكمة تفتيش لاجتثاث
أية هرطقات عقدية أو ارتدادات قد تهدد أسس العقيدة أو
وحدة الايمان التي ستكون قاعدة لسعادة الانسان ، وبهذا
الأسلوب يمكن للبشر أن يعودوا للمجتمع البدائي ومثل
عصور الفراعنة يكرسون قواهم للزراعة ، وتلك الكذبة
المتافيزيقية ستعيد الى الانسان السعادة التي قتلها التفكير
العقلي .

دوت كلماته في خبطات سريعة حادة مثل ضربات عمود
من الصلب ، وواصل كلامه للسفراء .

:" مدينتنا مدينة الملوك ستكون من الرخام الابيض ، تقام
بجوار البحر ، وسوف يكون طولها سبعة فراسخ محيطاً ،

وسيكُون بها بحيرات وغابات وقباب من النحاس الوردى ،
ومقرّاً لاقامة كل رجال الدين المصنوعين والانبياء المدعين ،
والسحرة الدجالن والإلاهات غير المعترف بهن ، وكل فروع
العلم ستصبح سحراص ، وسوف يرتحل الاطباء متتكرين في
زى ملائكة ، وعندما يتضاعف عدد البشر أكثر من اللازم
سوف يعاقبون بواسطة التنانين الطائرة البارقة عبر فتلقى
عليهم جرائم الكوليرا الآسيوية

" وسوف تغرق البشرية في المعجزات ، وستمتلأ فوق كل
شئ بالايان ، وعند سدول الليل سوف نستخدم كشافات
ضوء قوية نسلطها على (مدخل العدالة للسماء) فوق أعنة
السحاب . أيمكنكم تخيل ذلك

أيمكنكم تخيل ذلك ؟ .. فجأة ترتفع أشعة قرمزية وخضراء
من خلف الجبال ، وتصبح السحب حدائق ينزلق عليها الهواء
المدهش مثل ندف الجليد ، وسوف يعبر ملاك بأجنحة وردية
المسافة الفاصلة ، ويتوقف عند بوابات الجنة ويرحب بذراعين
ممدوتين برجل العدل ، رجل الناس بقبعته المهشمة ولحيته
الطويلة وعصاه .. هل ترونه ؟ أيها الاوغاد المحترفون ، أيها
المنتفعون المهمون ؟ أستمطيعون ذلك ؟ فالملك ذو الجناحين
الورديين يرحب بالانسان الذي يعرق ويتألم على الارض ،
أتدركون مدى ألمعية فكرتي ، وكم هي رائعة معجزتي
البسيطة ؟ وسوف تعبد الجماهير الاله راكعين ، ونحن فقط
للصوص الحزانى الذين نملك السلطة والمعرفة والحقيقة
المطلقة ، وسوف نعرف أن الجنة غير موجودة ."

ارتعد وهو يتكلم .. وواصل

: " سوف نصبح كالآلهة ، وسوف نمنح البشرية معجزات هائلة ، وجمالاً لذيذاً ، ومستقبلاً مجيداً لدرجة أن كل وعود القساوسة والرهبان سوف تتضاءل أمام واقع عجائبنا الخرافية ، وفي النهاية سيكونون سعداء ، أترون ذلك أيها المعتوهون ؟ "

اصطدم به أحد المارة اللامبالين فدفعه ليصطدم بالحائط و استرد إردوسين أنفاسه اللاهثة مرتعباً ، متشبثاً بالنقود في جيبه ، كان في حالة استثارة ، كشبل النمر الذي تُرك وحيداً في الغابة ، وترك تحديه كله عند نافذة محل للآزياء ،
: " سوف تكونين لنا أيتها المدينة " ..
وتبعه العقيد خلفه تماماً .

الغمزة



كان العراف ينتظره عند محطة تمبرلي ، وابتسم لاردوسين بحرارة ، كاد معها أن يهرول للقاءه لولا أن الرجل الآخر جذبته من ذراعه ووقف ينظر في عينيه ، ثم قال ،

:" إذن هل رضيت تماماً؟ "

تضرج وجه إردوسين خجلاً ، وعند هذه اللحظة انكشف أمران غامضان أمام عينيه ، الأول أن العراف لم يكن يكذب ، والثاني شعوره بالثقة فيه وأنه يستطيع التحدث إليه بلا نهاية ، وأن يخبره بأكثر تفاصيل حياته البائسة خصوصية ، وكان كل ما نجح في قوله هو

:" نعم .. أنا سعيد جداً "

توقف العراف للحظة على الرصيف وفجأة قال جاداً

مرة أخرى

:" اتعرف ما سأقوله ؟ إن كثيرين منا يحملون رجلاً

خارقاً (سوبرماناً) داخلهم ، وهذا الرجل الخارق هو إرادتنا عندما يتم تحقيقها بالكامل ، وعندما تهزم كل

المبادئ الاخلاقية ، وتقوم بتنفيذ أكثر الاعمال رعباً بمتعة
ساذجة تقريباً ، وهو ما قد تسميه اللعبة البريئة للشر "
: " نعم .. ثم لاتعود تشعر بألم أو خوف ، ويصبح
الامر كأنك تمشي فوق السحاب "

: " صحيح ويكون النموذج المثال أن نستثير تلك
اللامبالاة وذلك العنف الساذج في نفوس أكثر عدد من
الناس بقدر الامكان ، إنها مهمتنا أن ندشن عصر (
الوحش البرئ) ، وسوف يحدث - لاشك في هذا - إنها
ببساطة مسألة وقت ، وأن تواتينا الجرأة الكافية ، ولكن
عندما يدرك الناس أن أرواحهم تُلقى وسط نفايات هذه
الحضارة عليهم - عندئذ - أن يغيروا اتجاههم قبل أن
يغرقوا ، والمشكلة تكمن في أن الجبن والمسيحية قد منعنا
الناس من إدراك الى أي مدى هم مرضى ...فقط "
: " ولكن ألا تريد أن تجلب الايمان لكل واحد منهم ؟
"

: " لا .. الجموع العادية فقط .. لكن إذا ما فشل ذلك
نستطيع تجريب الطريق العكسي دائماً ،
ونحن لم نقوم باختيار أي مبدأ بصورة نهائية ، فالاكثر
حكمة أن يكون لدينا مبادئ متعارضة جاهزة في حالة
الحاجة اليها ، تماماً مثلما يحدث في الصيدلية ، لذا سوف
يكون لدينا مجموعة متنوعة وشاملة من الاكاذيب
المتكاملة ، كل واحدة منها مخصصة لمرض مختلف من
أمراض العقل أو الروح . "

" هل تعلم أنني أعدك أكثرنا جنوناً . كما قال
بارسوت أمس "

" ما هو معروف لدينا بالجنون هو ببساطة ما لم يعتاده
الناس من تفكير ، أنظر لو أن ذلك البواب هناك أخبرك
بكل الافكار التي تدور برأسه فسوف تحبسه في مصح
عقلي بالطبع ، لا يمكن أن يكون هناك الكثيرون من
أشباهنا و والامر الاساسي هو أن أعمالنا سوف تجلب لنا
قوة و طاقة جديديتين ، وهنا مكن خلاصنا . "

" وماذا بشأن بارسوت ؟ "

" إنه لا يدري أدنى دراية بما هو مُخبأ له . "

" وكيف ستفعلها ؟ "

" برومبرج .. سوف يشنقه .. وأنا لأعرف ماذا بعد ..

فالموضوع لا يهمني . "

خطا الاثنان حول أحجار الرصيف تحت ضوء الشمس
اللامع ، فقال إردوسين لنفسه (مدينتنا ، مدينة الملوك ،
سوف تقام من الرخام الابيض ، وتنتصب بجوار البحر ،
وسوف نصبح كالآلهة) هنا استدار نحو رفيقه وعينه
تلمعان صائحان

" هل تعلم أننا يوماً ما سنكون كالآلهة ؟ "

" هذا ما لا يفهمه قطيع العامة ، لانهم قدذبجوا آلهتهم
، لكن اليوم سيأتي عندما يهرعون الى الشوارع
يتصايحون (نحن نحب الرب ... ونحن نحتاجه) يالهم من
معتوهين لا يمكنني أن أفهم كيف قتلوا الرب ، لكننا

سوف نعيده للحياة .. سوف نبتكر آلهة عظيمة خلاصة للحضارة وستتغير الحياة للأبد ."

": وماذا لو فشل كل ذلك ؟ "

": لا يهم .. ف شخصاً ما سوف يأتي ، سيأتي ليحل محلي ، هذا ما يجب أن يحدث ، وكل ما علينا أن نتمناه أن تثمر الفكرة وتزدهر في مخيلو الناس ، فالיום الذي تتواجد فيه في العديد من الارواح ستحدث أشياء رائعة "

انتابت الدهشة إردوسين للهدوء الذي يستشعره ففقد كل مخاوفه ، وعادت الغرفة الممتلئة بالسفراء تحتل عقله مرة أخرى ، وعادت نظرتة الشاحبة للديبلوماسيين القدامى وهم يحدقون فيه بذعر . برؤسهم الصلعاء ، ووجوههم الترابية ، وأعينهم المتلصصة الحادة ، ولما لم يتمالك نفسه صاح فيهم ،

": ياله من لغط كثير حول - مجرد - لي ربة انسان مقتول !"

نظر العراف إليه بدهشة

": هل أنت متوتر ؟ أم تم إجهادك في العمل لغير ما

هدف محدد مثل الفيل ؟ "

": لا .. المسألة أنني سئمت جداً من هذه المبادئ

الاخلاقية البائسة التي أشعر بها ."

": هذا ما أنتم عليه أيها الاطفال .. مثل قطعة لاتعلم

إذا ما كانت ستخرج أم ستدخل " كانت هذه إجابة العراف .

" هل يمكنني مشاهدة تنفيذ الاعدام ؟ "

" هل يشرك هذا ؟ "

" كثيراً "

ولكن عندما دخلا بيت العراف حرك شعورٌ بالغثيان
معدة إردوسين ، وصعد طعم القئ المهضوم الى زوره ، لم
يستطع الوقوف إلا بصعوبة إذ رأى كل شئ عبر دخان
أبيض كاللبن ، يدها تتدليان لاسفل ، ثقيلتان كالبرونز ،
فمشى دون شعور بالمسافات ، وخيل إليه أن الهواء تحول
الى زجاج كما لو كانت الارضية تنجذب تحت أقدامه ،
وبين لحظة وأخرى يبدو صف الاشجار العمودى ملتوياً
أمام عينيه ، أخذ يلهث في قلق ، وفمه أصبح جافاً تماماً
ولم يستطع ترطيب شفثيه الملتهبتين أو زوره المحتقن ،
وكل ما أبقاها واقفاً على قدميه كان إحساسه بالعار فقط .

عندما نظر - بعد ذلك - بأعين نصف مفتوحة ، كان
في طريقه لدخول حظيرة العربات مع برومبرج ، وكان
الرجل (الذي رأى القابلة) يمشي وكأنه في حالة ذهول ،
وشعره كثيف أشعث ، وبنطاله معلق بحزامه فقط ، وتبرز
قطعة من قميص أبيض خارجة من فتحة بنطاله غير
المغلقة جيداً وكأنها منديل ، كان يحاول منع تثاؤبه بضرب
قبضاته في الهواء ، لم تتلاءم نظرتة الناعسة الذاهلة مع
نواياه الاجرامية ، كان ذا عينين جميلتين بلمحة جادة
وصافية مثل عيني وحش ضخم أبكم ، تحملقان عبر
رموش كثيفة تلقي ظلالاً على خديه الانثوين المستديرين
، فحلق فيه إردوسين ، لكن الرجل الآخر لم يبد عليه أنه

حتى قد لاحظته ، لأنه كان محاصراً بين أفكاره اللامعقولة العظيمة ، ثم عندئذ وبنفس النظرة الخالية من التعبير تطلع الى العراف الذي أوماً إليه برأسه ، ففتح القفل ودخل الرجال الثلاثة الى الاسطبل ، قفز بارسوت واقفاً وأراد أن يتكلم ، فطار برومبرج في الهواء ثم تصاعد صوت جملجم تتهشم على الخشب ، ورسمت الشمس مستطيلاً أصفر على التراب ، فتأتي أنات مكتومة من الكومة المتهالكة على الارض ، راقب إردوسين الصراع مشدوداً بإحساس شرير ، وفجأة وبينما برومبرج يخنق الرجل الآخر بيديه القويتين ، سقط بنطاله على الارض كاشفاً عن إليتيه البضاوين تحت ذيل قميص مجعد ، توقفت الأتات ، وحلت لحظة صمت بينما واصل القاتل نصف العاري ضغط يديه على زور الضحية ، ووقف إردوسين ينظر بلا حراك ، تابع العراف ذلك ناظراً لساعة يله ، وبقي الجميع في سكون طوال دقيقتين بدتا لاردوسين دهرأ .

: "حسناً هذا يكفي"

وقف برومبرج مضطرباً وشعره ملتصق بجبهته ، رفع بنطاله دون أن ينظر لاحد حوله بنظرته الخالية من المعنى ، وربط أطرافه بأسرع ما يمكنه ، ثم غادر الاسطبل وتبعه إردوسين بينما ألقى العراف نظرة أخيرة على المقتول .

كان بارسوت ملقى على الارضية محققاً فب السقف ، وفكاه مرتحيان بينما يتدلى لسانه خارج فمه الملتوي ، عندذاك حدث أمرٌ غريبٌ ، دون أن يلحظه إردوسين ،

تمهل العراف عند باب الاسطبل واستدار خلفه لينظر الى جثة الميت ، لحظتها رفع بارسوت رأسه فجأة وغمز(*) له فلمس العراف حافة قبعته بأحد أصابعه ثم خرج ليلحق بإردوسين الذي سألته مندفعاً ،
: " هل هذا كل ما في الامر ؟ "

ألقى عليه العراف نظرة إشفاق ،
: " هل ظننت فعلاً أنه سيكون أشبه بما يحدث في المسرح ؟ "

: " كيف ستتخلص من الجثة ؟ "
: " سوف نحللها في حمض النيتريك ، لدى منه ثلاث عبوات كاملة لكن ومن أجل تغيير الموضوع ماذا حدث للوردة النحاسية ؟ "

: " لقد خرجت صحيحة وكاملة ، وعائلة اسبيلاسعداء فعلاً لقد شاهدت عينة منها ليلة أمس "
: " حسناً .. دعنا نتناول الغذاء ، فنحن نستحقه "

وبينما هم ذاهبون الى حجرة الطعام ، طرأت فكرة للعراف فقال : " ألن نغسل أيدينا ؟ "

فالتفت إليه إردوسين متطلعاً مأخوذاً ثم رفع يديه لينظر اليهما ، وأسرع الثلاثة الى ليصطفوا في طريقهم للحمام . خلعوا ستراتهم وفتحوا صنابير المياه ، طوي إردوسين أكمام قميصه لأعلى واغتسل بعناية مستخدماً قطعة صابون ، ثم شطف يديه وجففهما بسرعة بالمنشفة ، وقبل ان يعودوا ثانية قام العراف بعمل غريب

أخذ المنشفة وقذف بها الى حوض الغسيل ثم تناول زجاجة من الكحول وصبها فوق المنشفة وأشعل ثقاباً ، وخلال دقيقة أضاءت وجههما ألسنة اللهب الازرق الصادر ن الوقود الذي يحرق المنشفة في ظلام الغرفة .حالاً...كان كل ما تبقى كومة سوداء من الرماد ففتح العراف الصنبور ، واندفع الماء يزيح البقايا من الحوض ، وعادا معاً الى حجرة الطعام .

مرت ابتسامة ساخرة بوجه إردوسين .
:" هكذا ... أنت إذن بونتيوس بيلاطي . أليس كذلك ؟ "

:" أنت على حقوبلا وعي تماماً ."
ومن خلال شيش النوافذ نصف المفتوحة بحجرة الطعام المعتمة استطاعا أن يشاهدا الحديقة ، وقد التوت براعم رقيقة من النبات المتسلق نحو سلك النافذة ، وطفئت حشرات شفافة بأزيرها حول شجرة الليمون ، وانعكست صورة حوائط البيت البضاء على سطح أرضيته الشمعية الصافية ، بينما انسدت حافة مفرش المائدة فوق قوائمها المربعة ، أطلقت زهور القرنفل عبقها من الفازة الاتروسكانية الاصيلية ، بينما يبرق طقم الفضيات مقابل قماش المفارش المزخرف وطقم (الصيني) ، وأخذت بعض الظلال تتلوى صاعدة الحدود اللامعة لنظاراتهم ، او زحفت في مثلثات عبر أسطح أطباقهم ، حيث تتمدد سلطة الجمبرى مقدمة في طبق بيضاوي ، صب العراف خمراً ، وبدأ يأكلان في صمت ،

ثم أحضر العراف حساء البيض ، وطبقاً من الهليون السابح في الزيت وسلطة الخرشوف وأخيراً السمك ، وطلب كحلوى جبن الريكوتا المرشوش بالقرفة ثم بعضاً من الفاكهة .

طلب قهوة بعد ذلك هنا ناوله إردوسين النقود ، وأخذ العراف يعدها .. ثم

" : هاك ٣٥٠٠ بيزوس ، اذهب واشتر بعضاً من البذلات الجاهزة ، فأنت رفيق حسن المظهر وعليك أن تلبس جيداً "

(*) ملحوظة للمعلق : تم إتخاذ قرار تمثيل واقعة القتل في اللحظة الاخيرة بيد العراف ونوقش تفصيلاً مع بارسوت .

" : شكراً .. ولكن أنصت لي قليلاً .. أنا أكاد أهلك تعباً ، وأود لو نمت بعض الوقت . أيمكنك إيقاظي عند الخامسة ؟ "

بالطبع .. اتبعني "

ثم قاده الى غرفة النوم ، وقد خارت قواه تماماً ، فخلع إردوسين حذائه ذا الرقبة الطويلة ، وغامت عينه بالتعب ، وغرق صدره عرقاً ، ثم لم يعد يفكر في شئ .

استيقظ في الظلام على صوت العراف وهو يفتح شيش النافذة ، فنهض متأهباً ، في حين قال الآخر

" : أخيراً .. لقد ظللت نائماً لثمان وعشرين ساعة "
وعندما أبدأ إردوسين عدم تصديقه ، أبرز له صحيفة
اليوم ، وكان كلامه حقيقياً ، يومان مضيا!! منذ شاهدها
آخر مرة . تذكر هيبوليتا فجأة ، فقفز من السرير صائحاً
": يجب أن أذهب "

" : لقد كنت بعيداً جداً كالرجل الميت ، وأنا لم أر
انساناً ينام مثل ذلك ، كنت في غاية الاجهاد حتى أنك
نسيت أن تذهب للحمام .. وبالمناسبة أين حصلت على
قصة الانتحار هذي؟ في المقهى..؟ لقد تصفحت جرائد
مساء أمس وصباح اليوم ولا توجد إشارة لتلك الحادثة !
لا بد أنك حلمت بها . "

" : ربما .. ذلك لايهم .. أليس كذلك ؟ "

" : لقد وضعنا في حساباتنا كل شيء "

" : كل شيء ؟؟ "

" : ماذا عن الحمض ؟ "

" : سوف نصبه عبر البالوعة "

" : إذن فهو....؟ "

" : وكأنه لم يوجد من قبل أبداً .. "

وبينما يودعان بعضهما ، أخبره العراف بأمر .

" : تعال يوم الارعاء الساعة الخامسة ، سنعقد
اجتماعاً مساء ذلك اليوم ، ولاتنس أن تشتري بذلة
جاهزة ، بينما يقومون بتفصيل البذلات الأخرى لك
فيما بعد، يجب أن تأتي فسوف يكون هناك الباحث
عن الذهب والبلطجي والآخرين ، وسوف نبحث

أفكارنا ، ولاتنس أنني مهتمٌ حقيقةً بمشروع الغازات السامة ، ارسـم خطة لمصنع صغير لإنتاج غازات الكلور والفوسفوجين ، وابحث فيما لو تستطيع اكتشاف غاز الخردل هذا .. وماذا يكون ؟ فهو يمر كل شئ ليس محكماً ضد الماء أو مغطىً بالزيت "

" الفوسفوجين مبني على وجود أول أكسيد الكربون ... "

" : لاتضيع الوقت . . يا إردوسين ، نريدُ مصنعاً صغيراً يكون مدرسة تدريبية للكيميائيين الثوريين ، وتذكر أن أنشطتنا مقسمة الى ثلاثة مجالات ، الباحث عن الذهب سيكون مسؤولاً عن معسكر التدريب ، أما أنت قائدنا نحو الصناعة ، وبالنسبة لهافنر فسيرعى مواخير الدعارة .والآن لدينا المال ولايجب أن نضيع الوقت ، وعليك أن تبدأ العمل ، ما رأيك لو أقمنا مصنعاً يجعل من الارجتين مكافئاً لمصانع كروب في ألمانيا ؟علينا أن نؤمن بأنفسنا ، ويمكن لجماعتنا أن تطلق الكثير من المدهشات ، فنحن مستكشفون نملك فكرة غامضة عن الاتجاه الذي نسعى اليه (*) لو كان .. "

حلّق إردوسين برهة في الوجه العريض لزميله ثم كثر عن أنيابه ليقول

" : أتدري أنك تشبه لينين ؟ "

وقبل أن يتمكن العراف من الاجابة ، كان قد اختفى .

(*) إن قصة شخصيات هذه الرواية سوف تتواصل في الجزء الثاني (قاذفو الذهب)

كلمة ختامية

ولد روبيرتو جودو فريديو كريستوفر سن آرلت في بوينس آيرس يوم ٢٦ أبريل من عام ١٩٠٠ ، واكتسب اسم العائلة من والده الذي كان ولد في بوزنان التي كانت عندذاك جزءاً من الامبراطورية المجرية - النمساوية ، والاسماء الاولى اكتسبها من أمه التي اختارت اسم جودو فريديو بعد قرائتها - بشكل واضح - لكتاب تاسو (القدس محررة) ، وكانت وزوجها من بين مئات الآلاف من المهاجرين الاوربيين الذين وصلوا الارجنتين مع نهاية القرن ، عمل والد آرلت بمهن مختلفة دون تحقيق نجاح يذكر ، أنجبت أمه ثلاثة أطفال ، لكنها شهدت وفاة اثنين منهم وسط بيئة العشوائيات لمدينة تتسع وتمتلئ بالفوضى .

ويبدو أن مشاعر والد روبيرتو كانت تمتلئ بالخوف والكراهية ، وكونه يذكر عبارة (العمل

الذى يمور بالإذلال) في كتابه (سبعة رجال مجانين)
على لسان إردوسين ، هو على الأرجح نابع من
ذكرى أليمة تعود لطفولته ، وكان روييرتو تغيسا
لدرجة أنه هجر عائلته في سن السادسة عشرة ،
وعاش باقي سنوات مراهقته في المدينة غير الساحلية
قرطبه - وهى أصغر مساحة - ليظهر بعد أربع
سنوات فقط في العاصمة متزوجاً ومعه طفلة
صغيرة .

في سنوات بداية هذا القرن كانت الارجنطين
في أقصى قوتها الاقتصادية والتفأولية ووضعتها
صادراتها من اللحوم والحبوب على قمة أغنى عشر
دول في العالم . كانت بوينس آيريس التي عرفها
آرلت تتحول بسرعة من ميناء صغير في أقصى
الجنوب من قارة لاتزال غير معروفة الى مدينة عالمية ،
ومنذ سنوات ما بعد ١٨٧٠ قامت الحكومات بتشجيع
الهجرة الاوربية من اسبانيا وكذلك من ايطاليا ومن
الامبراطورية النمساوية المجرية (ومن بينهم "
صانعو الاحذية البولنديون " الذين سحرتهم
الاجواء الروحية التي وصفتها الرواية) بالإضافة الى
أناس من ألمانيا وفرنسا (بمن فيهم المطلوبون بشدة
مثل العاهرات - المذكورات أيضاً - في سبعة رجال
مجانين) مع سيل منهم من اليهود المطرودين من
روسيا والهاربين من مذابحها كما كان هناك مجتمع من
الانجليز ، مثل زوجة آرلت الثانية ، وكانوا عادة من

الاييرلنديين او الاسكوتلنديين ، وكانوا يديرون شركات الغاز والبنوك والترام والقطارات كما أقاموا أحياء خاصة بهم في ضواحي بوينس آيرس مثل المحطة الفرعية للسكة الحديد بتمبرلي حيث وقعت معظم أحداث رواية سبعة رجال مجانين .

جاء العديد من أولئك المهاجرين الاوربيين من قرى زراعية أو من خلفيات مدن صغرى ، وقد جذبتهم الارجنتين بوعد زراعة أراضيها ، تلك المساحات الشاسعة من السافانا وسهول بتاجونيا التي أتاحتها حديثاً فقط عمليات سحق الجماعات الهندية صاحبة الأرض ، لكن تلك الأراضي كانت تحت سيطرة قلة من الملاك لدرجة أن القادمين الجدد كلهم تقريباً وجدوا أنفسهم مجبرين على العودة إلى ميناء بوينس آيرس القابعة على حافة الاطلنطي ، وهناك تزاخوا في مساكن مؤجرة أو مجمعات نشأ وتربى فيها آرلت ، تلك المجمعات التي بدت ضخمة وضبابية في سبعة رجال مجانين ، والدعارة والعنف وجرائم الشوارع شاعت وسط ذلك الخليط غير المستقر من الخلفيات الثقافية واللغوية ، بينما يناضل القادمون الجدد لتثبيت أسس استقرارهم ليس فقط في نصف الكرة الشمالي وإنما في وسط بيئة مدنية عدائية ، إلا أن ذلك الخليط من المهاجرين الاجانب جلب - كذلك - عناصر جديدة ذات قيمة لا تُقدر للمجتمع الارجنتيني ، مثل الكتب (بما فيها

مؤلفات ديستوفسكي كالأخوة كارامازوف
والمهووس .. وكلاهما وغيرهما كانوا مصدر إلهام
واضح للكتاب الذي بين أيدينا الآن) وأفكاراً
جديدة وحركات دينية وسياسية متجددة تشمل كل
شئ من الفوضوية الاسبانية وحتى الاشتراكية
السوفيتية ، ، وهذا المزيج البشري بعث نهضة
حيوية في الحياة الثقافية انعكست في النموذج
الأساسي لموسيقى بوينس آيرس ، موسيقى التانجو ،
وفي الصحف والتيارات الأدبية وصناعة النشر
الصاعدة وغير ذلك .

هذا هو المجتمع البازغ الذي أخذ روبريتو آرلت
في تجسيده ، وبعد عودته الى بوينس آيرس عام ١٩٢٠
بدأ يعمل كصحفي ، أولاً في صفحات الجرائم ، ثم
في عموده الصحفي الخاص (ملامح ارتجالية
لبوينس آيرس) ثم صدرت له أولى رواياته (اللعبة
الغاضبة) عام ١٩٢٦ ، لكنها مرت دون ذكر ، ثم
روايته - التي بين أيدينا - سبعة رجال مجانين ، التي
يعتبرها أهم أعماله ونشرت في أكتوبر عام ١٩٢٩
لكنها جذبت اهتماماً نقدياً قليلاً مرة أخرى .

رجال آرلت المجانين رجالٌ مقدسون وأغبياء ، تظل
أحلامهم يخلق جنة للإنسان على الأرض مقموعة
بلا نهاية على يد المجتمع الذي ينكر حاجتهم للنقاء ،
ويقدم لهم بدلاً من ذلك سوء الفهم والإذلال
المستمر ، وتبدأ تلك العملية من الطفولة وفقاً لما

يعترف به إردوسين لزوجته عندما كانت على وشك أن تتركه ، ولم يقتصر الأمر على عقاب الوالد لابنه بصورة متوحشة ، بل كان يصل إلى أن يؤخر الأب عقابه عمداً لليوم التالي (الغد) ، وبذا يكون قد نجح في تسميم المستقبل ، ، تاركاً الطفل البائس للخوف وللرغبة المستمرة في الهروب من الواقع إلى الخيال أو إلى الجنون .

وعند رحلة حياة إردوسين " البالغ " تماماً كما في باقي شخصيات تلك الرواية ، أو مع شخصية سيلفيو آستير في رواية " اللعبة الغاضبة " نجد أن ذلك الازدلال أدى الى تفريخ الالم والرغبة في الانتقام " أ، تفعل شيئاً ، أن نهدم ذلك المجتمع " لكونه محكوماً - بما عليه الآن - " بأكاذيب غبية ... شحيحة " وخيالهم تقوده وتوجهه أساليب تنفيذ الانتقام ، والكيل للمجتمع رداً على كل ما فعله وأوقعه بهم جبراً ، ولكن فيما وراء تلك الرغبة المرة ، يرى آرلت احتمالاً واقعياً ضئيلاً في التمهيد لقيام خمدينة فاضلة ، فالثورة طبقاً لرؤى العراف سوف تكون خليطاً من الفوضى في كل شئ ، من أول أقصى صورالتعصب العرقي في فكر جماعات الكوكلو كس كلان وحتى مذهب لينين في الاشتراكية المادية ، وذلك حتى لو لم يبد عليه أنه يؤمن بأي من تلك الافكار الوحشية التي قدمتها له (عبقریات خرافية ميتافيزيقية) له. بل أن آرلت

نفسه لا يؤمن بذلك على سبيل التأكيد ، سواءً
بجمع المتناقضات أو التهكم أو بالفوضى (وتلك
هي في النهاية حالة العقيد الذي قد يكون ضابطاً
بالجيش أو لا يكون !) . وهو يظهر شخصياته
كجزء لا ينفصم عن المجتمع ، ذلك المجتمع الذي
لا يملك " معتقدات أساسية ، ولا إحساس بالاتجاه " ،
والرواية المتواصلة مع الرواية التي بين أيدينا -
رواية (قاذفو اللهب) - ظهرت عام ١٩٣١ ، ثم تظهر
رواية (الحب ذلك الساحر) عام ١٩٣٢ ، وعندما لم
تنجح هذه شأنها شأن سابقاتها أفنعه أصدقاؤه
المسرحيون أن يحاول الكتابة للمسرح ، وخلال
السنوات القلائل التالية وبجانب استمراره بالعمل
الصحفي ، كتب آرلت عدة مسرحيات كانت ناجحة
عند إخراجها ذلك الوقت ، لكنها لم تعد للحياة منذ
ذلك الحين ، ومثل إردوسين في (سبعة رجال مجانيين
(اعتبر آرلت نفسه مخترعاً ، وفي عام ١٩٣٢ تم
تسجيله كحاصل على براءة اختراع وسيلة تمنع (
تنسيل) (*) الجوارب النسائية أثناء الصناعة ، ولم
تجلب أي من هذه الأنشطة النجاح أو الاستقرار
لآرلت ، إذ ماتت زوجته جراء إصابتها بالسل
الرئوي ، وتزوج ثانية وبسرعة إليزابيث ماري شاين
، وبدأ ترحاله كصحفي إلى اسبانيا والبرازيل وشيلي
، لكنه مات فجأة من أزمة قلبية

(*) تتسبيل الجوارب يعنى ظهور عيوب في نسج الخيوط الافقية من جانب أو الرأسية من جانب آخر فتبدو كأنها ثقب تعيب بيعها واستخدامها . المترجم

عام ١٩٤٢ في بوينس آيرس قبل مولد ابنه روبيرتو.
حتى ذلك الحين كانت (أرجنتين السنوات المبكرة من
القرن) قد تغيرت بصورة درامية . إذ بعد شهور قليلة

من نشر هذه الرواية أطلحت القوات المسلحة بالحكومة المدنية للرئيس هيبو ليتو يريجووين ، ومن عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٨٣ ، تراوحت الحياة السياسية في الارجنتين فيما بين فترات حاولت فيها القوات المسلحة أن تقمع القوى الجديدة الناشئة في المجتمع الارجنتيني ، وفترات انفجارية عندما نجحت القوة الأخيرة في دفع حركتهم للمقدمة تحت قيادة الضابط جوان دومينجو بيرون .

وتأتي عبقرية آرلت ككاتب من أسلوبه الناجح في النقاط صور ذلك الصراع في المجتمع الارجنتيني قبل أن يصل إلى حد الثورة ، والعاطفة الحقيقية الوحيدة التي تبرز من روايات آرلت هي (الألم) ، فهذا الألم يتفاقم داخل إردوسين تماماً كما يحدث داخل كل شخصيات آرلت ، ففي مدينة تغلي بالعداء يتجول إردوسين بالطرقات محاولاً أن يرى نفسه كجزء من الحياة المتنوعة التي تدور خلف الأبواب المعتمدة بلا جدوى ، وعندما أنكرت عليه الطهارة ، أصبح خياله - مثل هيبوليتا وبارسوت - سلبياً وملتوياً حتى أنهم بدلاً من أن يصبحوا مبدعين مدمرين كيما يحتاجوا العفن الذي يروونه محيطاً بهم ، نرى ذلك الخيال في النهاية يسهم في تدميرهم هم أنفسهم .

وأكثر صفحات الرواية تصادماً مع وعي القارئ هي التي يقاوم فيها إردوسين بيأس شديد

لاكتشاف المكان المادى (الفيزيقي) للروح التي تسبب له هذا الألم العميق ، ولو أننا نعيش في عالم ليس

له وجود آخر مفارق ومتعال كيف لشئ مثل الروح أن توجد ، ولو كان كذلك ما شكل هذا الوجود ؟ هل هو أكثر رهافة وخطورة من حد السيف ؟ ، ويرع آرلت في تصوير ذلك الألم الحقيقي الذي يشعر به داخل عظامه ، كما يفعل في الإيحاء بجنون حقيقي عندما حوَّصِر عند شجرة الأكاسيا فجراً ، وهو ينفجر غاضباً بوجه الحيوانات البكماء الساعية بالحقل مثل الملك لير ، كثيراً ما اشتكى آرلت أنه لم يجد الوقت ولا الراحة الهائلة الضرورية لتطوير " أسلوب "

سليم في الكتابة ، وكان أول من يقر بأنه كتب بصورة سيئة ، ولعدة أعوام كثيرة كان كتاب المدرسة الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة - المادة) مثل خورخي لوي بورخيس أو أدولف بيوي كاساريس يُعدون أكثر نماذج الأدب الارحنتيني كملاً ، كان هو شخصاً مغموراً ، إلا أن هناك دائماً هؤلاء الذين اهتموا بالتحديات الأكثر غرابة ، والتي يمثلها الواقع الارحنتيني ،

بل أن الكاتب الاوروجوايي جوان كارلوس أونيتي اتبع (تيمة) غرابة المدينة الكبيرة في كتبه مثل (حياة موجزة) التي تدين كثيراً لنموذج آرلت الأدبي ، وفي عام ١٩٦٠ رأى جوليو كورتازار في آرلت مؤشراً لهذا الاتجاه ، ومن ثم عاد إلى الجنون المتفجر لبوينس آيرس في روايته المؤثرة **RAY UELA** (لعبة النطة) ، ومنذ ذلك الحين تمسك جيلٌ جديدٌ من الكتاب الارحنتينيين بأسلوب آرلت في استكشاف المدينة الغامضة -

ولازالت - بوينس آيرس ، واستخدامه اللهجة العامية
لشوارعها ، وجمعه المجنون للأفكار المتشزمة وصفها معاً ،
والألم المبتهج بلحظات قصيرة من الفرح .
وكثيراً ما اشتكى النقاد من تكرار آرت اللغوية ،
ونقص دقته النحوية ، وابتعاده عن المنطق ، وإغراء ترجمته
قد تدفع الكاتب الى محاولة تقويمه لاستعادة إحساس
لطيف بالنظام والإحساس بالذوق العام ، وعند ترجمة
سبعة رجال محترمين حاولت ألا أفعل ذلك ، بينما أحاول
تجنب إضافة أية خروقات للسياق من عندياتي لقد أملت
فقط أن ذلك الكتاب المجنون غير المترابط والمجيد أيضاً
مازال يحتفظ في ترجمته بقوة (لكمة في الفك) كما
وصف آرت نفسه قوة الأدب .